قطوف تربوية

حول حديث:

"كلُ معروف صدقةَ"

د. عبدالرحمن سيد عبدالغفار

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله ربّ العالمين أعبد الله وأحمده، وأذكره وأشكره، والصلاة على خير خلقه، ومظهر حقّه، محمّد خاتم النبيين[1]، وسيد المرسلين، ومؤمّل الخلق أجمعين، وعلى آله وصحبه أجمعين، صلاةً وسلاماً دائمين دوام فيض المتواتر، متكاثرين تكاثر النعم التي عمت البادي والحاضر، جعلنا الله ممن تولّى هدايته حتى يبلّغه هذه المنزلة، ويخوّله هذه المكرمة، فلن يهديه البشر من لم يهده الله، جعل الله لنا التوفيق رائداً، والتقوى سائقاً، ونفعنا بما أولانا، وبعد[2]

نص الحديث:

أخرج البخاري في " صحيحه"، (٦٠٢١)، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، رضي الله عنهما، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ»، وفي " جامع الترمذي"، (١٩٧٠)، و"مسند أحمد"، (١٤٧٠٩)، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ، وَإِنَّ مِنَ المَعْرُوفِ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ، وَأَنْ تُفْرِغَ مِنْ دَلْوِكَ فِي إِنَاءِ أَخِيكَ".

وفي "صحيح مسلم"، (١٠٠٥)، عَنْ حُذَيْفَةَ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ"، وأخرج أبو داود في " سننه"، (٤٩٤٧)، وأحمد في " المسند"، (٢٣٢٥٢)، عَنْ حُذَيْفَةَ، قَالَ: قَالَ نَبِيُّكُمْ صلى الله عليه وسلم: "كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ".

وفي " مسند أحمد"، (١٨٧٤١)، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَزِيدَ الْخَطْمِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ»، وأخرج أحمد في " المسند"،(٢٣٤٤١)، عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «الْمَعْرُوفُ كُلُّهُ صَدَقَةٌ وَإِنَّ آخِرَ مَا تَعَلَّقَ بِهِ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ مِنْ كَلَامِ النُّبُوَّةِ إِذَا لَمْ تَسْتَحْيِ فَافْعَلْ مَا شِئْتَ»، وأخرج المحاملي في«الأمالي» (٣٢٥)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٩٤٢)، عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: " الْمَعْرُوفُ كُلُّهُ صَدَقَةٌ، وَإِنَّ اللَّهَ عز وجل صَانِعٌ كُلَّ صَانِعٍ وَصَنْعَتِهِ، وَإِنَّ آخِرَ مَا تَعَلَّقَ بِهِ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ مِنْ كَلَامِ النُّبُوَّةِ: إِذَا لَمْ تَسْتَحْيِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ "، قال اللالكائي: أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي كِتَابِ الرَّدِ عَلَى الْقَدَرِيَّةِ وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي الصَّحِيحِ مِنْ هَذَا الطَّرِيقِ.

وأخرج البخاري في " صحيحه"،(٢٩٨٩)، ومسلم في " صحيحه"،(١٠٠٩)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «كُلُّ سُلَامَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ، كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ

---

١ - قال النووي في «دقائق المنهاج» (ص٢٦):

«الْحَمد الثَّنَاء عَلَيْهِ بجميل صِفَاته وَالشكْر بإنعامه وَيكون قولا وفعلا، وَسمي نَبينَا مُحَمَّد مُحَمَّدًا صلى الله عليه وسلم لِكَثْرَة خصاله المحمودة يُقَال رجل مُحَمَّد ومحمود أي كثير الْخِصَال المحمودة». انتهى

٢- مستلةٌ من مقدمة الراغب الأصبهاني لكتابه: «المفردات في غريب القرآن» (ص٥٣-٥٥)، ومقدمة ابن علان لكتابه: «الفتوحات الربانية على الأذكار النواوية» (١/ ٣)، بتصرف

فِيهِ الشَّمْسُ، يَعْدِلُ بَيْنَ الِاثْنَيْنِ صَدَقَةٌ، وَيُعِينُ الرَّجُلَ عَلَى دَابَّتِهِ فَيَحْمِلُ عَلَيْهَا، أَوْ يَرْفَعُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ، وَالكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ خُطْوَةٍ يَخْطُوهَا إِلَى الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ، وَيُمِيطُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ»، وأخرج عبد بن حميد في " المسند"، (١٠٨١)، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ، وَمَا أَنْفَقَ الْمُسْلِمُ مِنْ نَفَقَتِهِ عَلَى نَفْسِهِ، وَأَهْلِهِ كُتِبَ لَهُ بِهَا صَدَقَةٌ، وَمَا وَقَى بِهِ الْمَرْءُ الْمُسْلِمُ عِرْضَهُ كُتِبَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ نَفَقَةٍ أَنْفَقَهَا الْمُسْلِمُ فَعَلَى اللَّهِ خَلَفُهَا ضَامِنًا، إِلَّا نَفَقَةً فِي بُنْيَانٍ أَوْ مَعْصِيَةٍ".

وفي «أمالي ابن منده» (١٩)، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «الْمَعْرُوفُ كُلُّهُ صَدَقَةٌ، وَالدَّالُّ عَلَى الْخَيْرِ كَفَاعِلِهِ، وَاللَّهُ يُحِبُّ إِغَاثَةَ اللَّهْفَانِ»، وفي «معجم الشيوخ» لابن جميع الصيداوي (ص١٨٤)، و«فوائد تمام» (١١٥٧)، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ، وَالدَّالُّ عَلَى الْخَيْرِ كَفَاعِلِهِ وَاللَّهُ يُحِبُّ إِغَاثَةَ اللَّهْفَانِ»، وأخرج ابن أبي الدنيا في "اصطناع المعروف" (ص٦٧)، والبزار في "المسند" (٧٥٢١)، عَنْ أَنَسٍ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "الدَّالُ عَلَى الخَيرِ كَفَاعِلِهِ، وَاللَّهُ يُحبُّ إِغَاثَةَ اللَّهْفَانِ".

وفي «مكارم الأخلاق» للخرائطي (٨٢)، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ، لِغَنِيٍّ كَانَ أَوْ فَقِيرٍ»، وفي «اصطناع المعروف» لابن أبي الدنيا (١)، عَنْ بِلَالٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ وَالْمَعْرُوفُ يَقِي سَبْعِينَ نَوْعًا مِنَ الْبَلَاءِ وَيَقِي مِيتَةَ السُّوءِ وَالْمَعْرُوفُ وَالْمُنْكَرُ خَلْقَانِ مَنْصُوبَانِ لِلنَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَالْمَعْرُوفُ لَازِمٌ لِأَهْلِهِ يَقُودُهُمْ وَيَسُوقُهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمُنْكَرُ لَازِمٌ لِأَهْلِهِ يَقُودُهُمْ وَيَسُوقُهُمْ إِلَى النارِ»، وفي «الفوائد المنتقاة الحسان» للخلعي (٨٢٦)، عَنْ بِلَالٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم:«كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ، وَالْمَعْرُوفُ يَقِي سَبْعِينَ نَوْعًا مِنَ الْبَلَاءِ، وَيَقِي مِيتَةَ السُّوءِ، والْمَعْرُوفُ لَازِمٌ لأَهْلِهِ، يَقُودُهُمْ وَيَسُوقُهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ، وَالْمُنْكَرُ لَازِمٌ لأَهْلِهِ يَقُودُهُمْ وَيَسُوقُهُمْ إِلَى النَّارِ»، وفي «مسند أبي داود الطيالسي» (٥٣٧)، عَنْ أَبِي مُوسَى، أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ الْمَعْرُوفَ وَالْمُنْكَرَ لَخَلِيقَتَانِ يُنْصَبَانِ لِلنَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ; فَأَمَّا الْمَعْرُوفُ فَيَعِدُ أَهْلَهُ الْخَيْرَ وَيُهَنِّئُهُمْ، وَأَمَّا الْمُنْكَرُ فَيَقُولُ: إِلَيْكُمْ إِلَيْكُمْ، وَمَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُ إِلَّا لُزُومًا».

وأخرج البخاري في "صحيحه"، (٦٠٢٢)، ومسلم في " صحيحه"،(١٠٠٨)، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ" قِيلَ: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ "يَعْتَمِلُ بِيَدَيْهِ فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ وَيَتَصَدَّقُ" قَالَ قِيلَ: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ؟ قَالَ: "يُعِينُ ذَا الْحَاجَةِ الْمَلْهُوفَ" قَالَ قِيلَ لَهُ: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ؟ قَالَ: "يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ أَوِ الْخَيْرِ" قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَفْعَلْ؟ قَالَ: "يُمْسِكُ عَنِ الشَّرِّ، فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ".

المعنى الإجمالي للحديث:

علم الشريعة من أشرف العلوم فإنه يحصل به شرف الدنيا والآخرة فمن تحلى به فقد فاز بالصفقة الرابحة والمنزلة الرفيعة الفاخرة ومن عرى منه فقد حظى بالكرة الخاسرة والأصل في هذا العلم كتاب الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم[٣]

إن من أفضل العلوم بعد كتاب الله سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذ السنة رديفة القرآن وهي جلاؤه وبيانه، فهي المصدر الثاني للتشريع بعد كتاب الله، ولقد وكل الله إلى رسوله تبيان هذا الكتاب بقوله: {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ} [النحل:٤٤] والرسول صلى الله عليه وسلم في بيانه للقرآن الكريم لا ينطق عن الهوى {إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى} [النجم:٤][٤] وعلم الحديث من أفضل القرب إلى رب العالمين، وكيف لا يكون وهو بيان طريق خير الخلق وأكرم الأولين والآخرين[٥] والقرآن يربي العقل والعاطفة متمشيًا مع فطرة الإنسان، إن القرآن الكريم غالبًا ما يضع أفكار الخير والشر تحت اسم "المعروف، والمنكر"[٦] والمعروف والمنكر: متقابلان، فالمعروف: اسمٌ جامعٌ لكل ما عُرف حسنه شرعًا وعقلًا، وهذا يشمل كل معروف حسنه شرعًا وعقلًا من حقوق الله، وحقوق الآدميين والمنكرُ: ضدُّهُ كل منكر شرعًا وعقلًا معروف قبحه[٧]

وقد عد المُظهري في «المفاتيح في شرح المصابيح» (١/ ١٠) هذا الحديث: "كل معروفٍ صدقة": من الأحاديث المشهورة، «قوله: "كل معروفٍ صدقة"، (المعروف): ما عُرف من جملة الخيرات؛ يعني: كل ما فيه رضا الله تعالى من الأفعال والأقوال فهو صدقة، ثم اختلف في المعروف والمنكر، قيل: المعروف: كل مستحسن في العقل فهو معروف، وكل مستقبح فيه فهو منكر، وقيل: المعروف الطّاعة، والمنكر المعصية، وإنما قيل للحسن معروف -مع أنّ القبيح قد يُعرَف أنه قبيحٌ- لأنّ القبيحَ وإنْ عُرف فهو كما لا يُعرَف لخموله وسقوطه، والحسن بمنزلة الشّبيه الذي يُعرف لجلاله وعلوّ قدره كل معروف"؛ أي: ما عُرف فيه رضاء الله من الأقوال والأفعال والمعروف كل حسن في الشرع». انتهى

إن الحسن ما حسنه الشرع، والقبيح ما قبحه الشرع، ولا مدخل للعقول في معرفة المعروف، والمنكر إلا بكتاب الله عز وجل، وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ورب جاهل يستحسن بعقله ما قبحه الشرع، فيرتكب المحظور، وهو غير عالم به[٨]

قال الرازي في «مفاتيح الغيب» (٨/ ٣٣٤): «وَاعْلَمْ أَنَّ لَفْظَ الْمَعْرُوفِ وَالْمُنْكَرِ مُطْلَقٌ فَلَمْ يَجُزْ تَخْصِيصُهُ بِغَيْرِ دَلِيلٍ، فَهُوَ يَتَنَاوَلُ كُلَّ مَعْرُوفٍ وَكُلَّ مُنْكَرٍ...». انتهى

أخبر النبيُّ صلى الله عليه وسلم أن جميعَ أنواع فعل المعروف والإحسان صدقة[٩] فيدخل فيه كل إحْسَان وَلو ببسط الوَجْه والكلمة الطّيبَة[١٠] وقد ندَبَ اللهُ ورسُولُه إلى فِعل الخير، والتّعاوُن على البرِّ[١١] ففي "صحيح البخاري"،(٧٤٤٣)، و"صحيح مسلم"،(١٠١٦)، عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ، قال: قال رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "مَا مِنْكُمْ مِنْ إِحَدٍ إلا سَيُكَلِّمُهُ اللهُ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ، فَيَنْظُرُ أَيْمَنَ مِنْهُ فلا يَرَى إلا مَا قدّمَ،

---

[٣] - ينظر: «أسد الغابة في معرفة الصحابة» (١/ ٢)

٤ - ينظر: «السنة النبوية وحي» (ص١)

٥ - ينظر: «التقريب والتيسير للنووي» (ص٢٣)

[٦] - ينظر: «دستور الأخلاق في القرآن» (ص٦٦٤)

٧ - ينظر: «تيسير الكريم الرحمن» (ص٥٤٠)، و«تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن» (ص٤١٤)

[٨] - ينظر: «نهاية الرتبة في طلب الحسبة» (ص٦)، و«معالم القربة في طلب الحسبة» (ص٨)

٩ - ينظر: «جامع العلوم والحكم» (٢/ ٥٨)

١٠ - ينظر: «جامع الرسائل» لابن تيمية (١/ ٨٣)

١١ - ينظر: «التمهيد» ابن عبد البر (١٠/ ٣٧٢)

وَيَنْظُرُ إِشَامَ مِنْهُ فلا يَرَى إلا مَا قدّمَ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فلا يَرَى إلا النَّارَ تِلقاءَ وَجْهِهِ، فاتقوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ"، وفي " صحيح مسلم"،(١٠٠٦)، عَنْ أَبِي ذَرٍّ، أَنَّ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قالوا لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ذهبَ أهل الدُّثُورِ بالأُجُورِ، يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَيَتَصَدَّقُونَ بِفُضُولِ أَمْوَالِهِمْ، قال: "أَوَلَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ مَا تَصَّدَّقُونَ؟ إِنَّ بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنْ مُنْكَرٍ صَدَقَةٌ، وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ، قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيَأْتِي أَحَدُنَا شَهْوَتَهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ؟ قال: "أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ أَكَانَ عَلَيْهِ فِيهَا وِزْرٌ؟ فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلَالِ كَانَ لَهُ أَجْرٌ".

المعروف مندوب إليه، ودل هذا الحديث أن فعله صدقة عند الله يثيب المؤمن عليه ويجازيه به وإن قل؛ لعموم قوله: "كُلِّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ"، أي له حكمها في الثواب عند الله، وهذا الحديث قد صرح بأن كل معروف صدقة، ومن ذلك بشر الرجل في وجه الرجل، وقد جاء مبينا في حديث آخر أن إرشاد الرجل إلى الطريق التي لا يعرفها صدقة، وأن حلمه عن السفيه إذا كان قادرًا صدقة، ويتسع هذا إلى ما لا يقدر إحصائه إلا الله سبحانه، وكما ينبغي أن يعتد به فاعله، يجب أن يعتده المفعول معه، وقوله في حديث أبي موسى: "على كل مسلم صدقة" معناه أن ذلك عليه في كرم الأخلاق وآداب الإسلام وليس ذلك بفرض عليه؛ للإجماع على أن كل فرض في الشريعة مقدر محدود، وفيه: أن المؤمن إذا لم يقدر على باب من أبواب الخير ولا فتح له فعليه أن ينتقل إلى باب آخر يقدر عليه، فإن أبواب الخير كثيرة، والطريق إلى مرضاة الله غير معدومة، ألا ترى تفضل الله على عبده حين جعل له في حال عجزه عن الفعل عوضا من القول، وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، جُعل عوضا من ذلك لمن لم يقدر على الإمساك عن الشر صدقة، قال المهلب: وهذا يشبه الحديث الآخر: "من هم بسيئة فلم يعملها كتبت له حسنة"، وقد فسر الشارع ذلك بقوله: "فليمسك عن الشر، فإنه له صدقة" وفيه بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف[١٢]

أشعر صلى الله عليه وسلم بهذا القول المتصدق أن الصدقات ليست مقصورة على الأموال التي ربما لا يقبلها إلا غنيا؛ إن الصدقة قد تكون كلمة حكمة فيتصدق بها على الجهال، وفي هدايتك الطريق لمن لا يعرفها، وإن كان في طريق السعي بالأقدام صدقة فإنه في طريق السعي إلى الحق صدقة فوق هذه الصدقة، وهكذا إذا تصدقت على رجلين متنازعين للفصل بينهما كنت متصدقا عليهما بقضاء يفصل بينهما، وكذلك إذا رأيت أخاك المؤمن وقد استشاط به غضبه ألهاه عن معرفة الصواب في سبيل يسلكها من القول وأشرت له إلى الإناة، وحررت له قولا يخلصه فيه من حوادث الغضب الشديد كنت متصدقا عليه بذلك...وعلى ذلك فكل معروف صدقة يقبلها من لا يقبل المال[١٣]

جاء في «رسالة الإمام مالك في السنن والمواعظ والآداب» (ص١٣):

" ارحم المسكين المضطرّ، والغريب المحتاج، وأعِنْه على ما استطعت من أمره، فإنه بلغني عن ابن عباس أنه قال: كل معروف صدقة، ارحم السائل، وارده من بابك بفضل معروفك بالبذل منك أو قول معروف تقوله له، فإنه بلغني عن البني صلى الله عليه وسلم أنه قال: «رُدّ عَنْك مَذمّة السّائِلِ بِمِثْلِ رَأْسِ الطّيْرِ مِنْ الطّعَامِ»[١٤] لا تزهد في المعروف عند من تعرفه، وعند من لا تعرفه، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لا تزْهدْ في اَلْمَعْرُوفِ ولوْ أنْ تصُبّ مِنْ دَلوك في إناءِ الْمُسْتَقِي»[١٥]، أردْ بكل ما يكون منك من خير إلى

---

١٢ - ينظر: «إكمال المعلم بفوائد مسلم» (٣/ ٥٢٧)، «شرح صحيح البخاري» لابن بطال (٩/ ٢٢٣)، و«الإفصاح عن معاني الصحاح» (٢/ ٢٣٨)، و«التوضيح لشرح الجامع الصحيح» (٢٨/ ٣٣٠)

١٣ - ينظر: «الإفصاح عن معاني الصحاح» (٨/ ٣٦)

١٤ - أخرج العقيلي في «الضعفاء الكبير» (١/ ١٠٥)، عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «رُدوا مَذَمَّةَ السَّائِلِ وَلَوْ بِمِثْلِ رَأْسِ الذُبَابِ».

١٥ - أخرج ابن أبي الدنيا في «ذم الغيبة والنميمة» (٢٨)، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ، قَالَ: قَالَ سُلَيْمُ بْنُ جَابِرٍ: أَتَيْتُ النبي صلى الله عليه وسلم فَقُلْتُ: عَلِّمْنِي خَيْرًا يَنْفَعُنِي اللَّهُ بِهِ قَالَ: «لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا وَلَوْ أَنْ تَصُبَّ مِنْ دَلْوِكَ فِي إِنَاءِ الْمُسْتَسْقِي، وَأَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِبِشْرٍ حَسَنٍ، وَإِنْ أَدْبَرَ فَلَا تَغْتَابُهُ».

أحدٍ الله، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أن قوله عز وجل: {وَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ} الآية قال: «الْمُنَافِقُ الَّذِي إِنْ صَلَّى رَاءَى، وإِنْ فَاتَتْهُ لَمْ يَبْلُغْ إِلَيْهَا» {وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ} قال: «الْمَاعُونُ: الزَّكَاةُ الَّتِي فَرَضَهَا اللَّهُ عز وجل»، إياك والرياء، فإنه بلغني أنه لا يصعد عمل المرائي إلى الله عز وجل، ولا يزكيه عنده...". انتهى

وَكُلُّ أَعْمَالِ الْبِرِّ مَعْرُوفٌ لِاعْتِرَافِ الْعُقُولِ بِهَا؛ لِأَنَّ الْعُقُولَ تَعْتَرِفُ بِالْحَقِّ مِنْ جِهَةِ إِقْرَارِهَا بِهِ وَالْتِزَامِهَا لَهُ وَتُنْكِرُ الْبَاطِلَ مِنْ جِهَةِ زَجْرِهَا عَنْهُ وَتَبَرِّيهَا مِنْهُ، وَمِنْ جِهَةٍ أُخْرَى سُمِّيَ أَعْمَالُ الْبِرِّ مَعْرُوفًا، وَهُوَ أَنَّ أَهْلَ الْفَضْلِ وَالدِّينِ يَعْرِفُونَ الْخَيْرَ لِمُلَابَسَتِهِمْ إِيَّاهُ وَعِلْمِهِمْ بِهِ وَلَا يَعْرِفُونَ الشَّرَّ بِمِثْلِ مَعْرِفَتِهِمْ بِالْخَيْرِ؛ لِأَنَّهُمْ لَا يُلَابِسُونَهُ وَلَا يَعْلَمُونَ بِهِ، فَسُمِّيَ أَعْمَالُ الْبِرِّ مَعْرُوفًا وَالشَّرُّ مُنْكَرًا[16]

قال ابن بطة في «الإبانة الكبرى» (٦/ ٢٠٤):

" فَإِرْشَادُكَ الضَّالَّ صَدَقَةٌ، وَتَحِيَّتُكَ لِأَخِيكَ بِالسَّلَامِ صَدَقَةٌ، وَإِنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ مُنْبَسِطٍ صَدَقَةٌ، وَأَمْرُكَ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيُكَ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَمُبَاضَعَتُكَ لِأَهْلِكَ صَدَقَةٌ، فَكَيْفَ يَكُونُ الْإِنْسَانُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي ظِلِّ مُبَاضَعَتِهِ لِأَهْلِهِ؟ إِنَّمَا عَنَى بِذَلِكَ كُلِّهِ ثَوَابَ صَدَقَتِهِ، أَلَيْسَ قَدْ قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُظِلَّهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي ظِلِّ عَرْشِهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ، فَلْيُنْظِرْ مُعْسِرًا أَوْ لِيَدَعْ لَهُ»...". انتهى

قال ابن عبد البر في «التمهيد» (٩/ ٥٠٣):

" وَالتَّطَوُّعُ كُلُّهُ أَدَبٌ وَسُنَّةٌ مَنْدُوبٌ إِلَيْهَا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ"".

وفي الحديث دليل: أن كل شيء تصل منفعته إلى الناس، فهو معروف؛ أي: كل ما يفعل من أعمال البرّ والخير، كان ثوابه كثواب من تصدق بالمال وهو صدقة، والمعروف ما يُعرَف أنه إحسان، وفي الحديث: دليل على أن الصدقة أنواع: منها بإخراج المال، ومنها بالذكر، ومنها بالطاعة؛ حتى في غِشيانه امرأته؛ إذا كان تعففا عن محرم؛ وابتغاء لولد صالح، والصدقة: ما يخرجه الإنسان من ماله على وجه القربة وذلك لأن عليه أن يتحرى الصدق فيها، وقد استعمل في الواجبات وأكثر ما يستعمل في المتطوع به، ويستعمل أيضا في الحقوق التي يتجافى عنها الإنسان، قال الله تعالى: {والجروح قصاص} {فمن تصدق به كفارة له} أي: تجافى عن القصاص الذي هو حقه، وقد أجرى في التنزيل ما يسامح به المعسر مجرى الصدقة، قال الله تعالى: {وان تصدقوا خير لكم} فقوله: {كل معروف صدقة} أي: يحل فعل المعروف محل التصدق بالمال، ويقع التبرع بذلك معه في القربة، فالمعروف والصدقة وإن اختلفا في اللفظ والصيغة فإنهما يتقاربان في المعنى ويتفقان في الأمر المطلوب منهما وقد عرفنا الاختلاف بينهما من الكتاب قال تعالى: {إلا من أمر بصدقة أو معروف} وعرفنا الاتفاق بينهما في المعنى من السنة

المعروف اسم جامع لكل ما عرف من طاعة الله، والتقرب إليه، والإحسان إلى الناس، وهو من الصفات الغالبة، أي أمر معروف بين الناس إذا رأوه لا ينكرونه[17]

قال ابن حجر في «فتح الباري» (١٠/ ٤٤٨):

«قال ابن بطال: دل هذا الحديث على أن كل شيء يفعله المرء أو يقوله من الخير يكتب له به صدقة، وقد فسر ذلك في حديث أبي موسى المذكور في الباب بعد حديث جابر وزاد عليه: إن الإمساك عن الشر صدقة، وقال الراغب: المعروف اسم كل فعل يعرف حسنه بالشرع والعقل معا، ويطلق على الاقتصاد لثبوت النهى عن السرف، وقال ابن أبي جمرة: يطلق اسم المعروف على ما عرف بأدلة الشرع أنه من أعمال البر سواء جرت به العادة أم لا، قال: والمراد بالصدقة الثواب، فإن قارنته النية أجر صاحبه جزما، وإلا ففيه احتمال...".

---

[16] - ينظر: «أحكام القرآن» للجصاص (٢/ ٣٥١)

١٧ - ينظر: «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» (٣/ ٤٩)، و«التحرير في شرح صحيح مسلم» (ص١٤٠)، و«الميسر في شرح مصابيح السنة للتوربشتي» (٢/ ٤٤٧)، و«الجامع لأحكام القرآن» القرطبي (٥/ ٣٨٣)، و«الكاشف عن حقائق السنن» (٥/ ١٥٤٤)

والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ميزان الإيمان، وأصحاب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر هم المؤهلون للتجارة إذا نزل العذاب {أنجَيْنَا الذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأخذنا الذِينَ ظلمُوا بعَذابٍ بَئِيسٍ بمَا كانُوا يَفسُقونَ} {فلوْلا كانَ مِنَ القرُونِ مِنْ قبْلِكمْ أولو بَقِيّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الفسَادِ فِي الأرْضِ إلا قلِيلا مِمّنْ أنجَيْنَا مِنْهُمْ} وقد علق الله عز وجل الفلاح في الدنيا والآخرة على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والدعوة إلى الخير {وَلتَكنْ مِنْكمْ أمّة يَدْعُونَ إلى الخَيْرِ وَيَأمُرُونَ بالمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكرِ وَأولئِك همُ المُفلِحُونَ}، وجعل الخيرية لهذه الأمة على غيرها بأوصاف ثلاثة {كنْتمْ خيْرَ أمّةٍ أخرِجَتْ لِلنّاسِ تأمُرُونَ بالمَعْرُوفِ وَتنْهَوْنَ عَنِ المُنْكرِ وَتؤمِنُونَ باللهِ}، كما جعل التواصي بالحق والتواصي بالصبر من أركان النجاة: {وَالعَصْرِ إنّ الإنسَانَ لفِي خُسْرٍ إلا الذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالحَاتِ وَتوَاصَوْا بالحَقّ وَتوَاصَوْا بالصّبْرِ}، وعرف الرسول صلى الله عليه وسلم الدين بأنه النصيحة وذلك لتبيان أهميتها في دين الله[18] فالمعروف: كل صلاح وعدل وخير، والمنكر: كل فساد وبغى وظلم وفحش[19]، وعليه فكل عمل تتعبد به إلى الله فإنه صدقة، كما في الحديث: «كل تسبيحةٍ صدقة، وكل تهليلةٍ صدقة، وكل تحميدةٍ صدقة، وأمرٌ بالمعروفِ صدقة، ونهيٌ عن المنكرِ صدقة»[20]، وفي هذا الحديث ذكر النبي صلى الله عليه وسلم عملين، وجعلهما من المعروف، وهذا ليس على سبيل الحصر، وإنما على سبيل المثال، وأحد هذه الأعمال منبعه القلب؛ أي: إنه عمل قلبي، والآخر هو عمل الجوارح، وكما هو معروف أن الأعمال في الشرع قسمان: أعمال ظاهرة (أعمال الجوارح)، وأعمال باطنة (أعمال القلوب)، وجميع أعمالنا اليومية ترجع إلى هذين القسمين[20] والإسلام بمضمونه العام جاء شاملاً لكل هذه الأشياء، قوانينه شملت كل جوانب الحياة[21]،لأن القيم الإسلامية تتميز بخصائص ومزايا لا تتوفر لغيرها[22]، والمتأمل في سور القرآن وحياة النبي يجدها مليئة بالمبادئ والقيم التربوية[23]، فها هو حديث نبوي نستنبط منه القيم والمبادئ التربوية.

وقفات تربوية:

تعمل التربية الإسلامية على تنمية الشخصية والأفكار، والسلوك وفقاً للمنهج الإسلامي وتعاليم العقيدة الإسلامية، وتستند التربية الإسلامية إلى تهيئة العقل والفكر عن الكون والحياة ودور الإنسان في عمارة الأرض وما ينتفع به في الدنيا والغاية التي وجد من أجلها والهدف الذي يسعى لتحقيقه، والتربية الإسلامية تربية شاملة متكاملة تهتم بشخصية المتربي عملياً وخلقياً ووجدانياً وسلوكياً، وتوضح له أمور الدنيا والآخرة، وتوجه سلوكه وتدفعه على أعمال الخير، وللتربية الإسلامية مصادر خاصة تنطلق منها[24]؛ وهي كتاب الله

---

١٨ - ينظر: «أيسر التفاسير للجزائري» (٢/ ٢٤٥)، و«الأساس في السنة وفقهها - العبادات في الإسلام» (١/ ١٤١)

١٩ - ينظر: «التمسك بالسنن والتحذير من البدع» (ص١٢١)

٢٠ - كل معروف صدقة، قمصان، الألوكة، وكل معروف صدقة، قاسم، الألوكة

٢١ - ينظر:" طرق تدريس التربية الإسلامية نماذج لإعداد دروسها"،(ص:٤٧-٥٠)،و" نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ"،(١٥٥/١)

٢٢- يراجع خصائص القيم الإسلامية في: "المبادئ والقيم في التربية الإسلامية "،(ص:١٣-٣٧)، و"القيم والتربية" ، بركات ،(ص:١٧-١٨)

٢٣ -ينظر:" مبادئ تربوية مستنبطة من أوائل سورة العلق وتطبيقاتها التربوية "،(ص:١٥-١٦)

٢٤ - مصادر التربية الإسلامية كعلم تربوي تمتاز وتنفرد عن غيرها من أنواع التربية الأخرى بكونها تجمع بين نوعين من المصادر هما أ) المصادر الإلهية (الأصلية) المتمثلة في المصدرين الأساسيين (القرآن و السنة) لأنهما يشتركان في كونهما جاءا وحياً من الله سبحانه.

وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، ولها غايتها العظمى التي تسعى لتحقيقها وهي تحقيق العبودية لله بمفهومها الشامل في حياة الإنسان الشخصية والاجتماعية، وتهدف التربية الإسلامية إلى تكوين وبناء شخصية مسلمة تمتلك معارف وقيم واتجاهات وسلوكيات دينية، وتتمحور أهمية التربية الإسلامية من دورها المهم والعظيم في الإسلام والذي يتضح من خلال أوامر الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم والتي تدعو إلى التربية الصالحة وتنمية الفرد وفق طاعة الله[٢٥]واهتم منهج التربية الإسلامية بتوضيح قضايا العقيدة الإسلامية توضيحاً شاملاً، واتصف منهج التربية الإسلامية بالمنهج الفريد الذي يتسم بالدقة والاستدلال ووضوح البينة وببساطة الفكرة وعمق تأثيرها في شخصية الفرد، وابتعد منهج التربية الإسلامية عن التعقيد الذهني والعقلي الذي يجعل من العقيدة الإسلامية موضوعاً صعباً وجامداً ولا يحرك مشاعر الفرد وجدانياً، والتربية الإسلامية هي نظام تربوي متكامل لبناء الإنسان، داخل المؤسسات التعليمية كالمدارس، أوخارجها كالبيت أوالمسجد، وتهدف إلى تنمية الجوانب الشخصية الإسلامية والاجتماعية والفكرية وتنظيم سلوك الفرد وفقاً لمبادئ الدين الإسلامي لتحقيق أهدافه، وتهدف إلى بناء المجتمع وتنمية البيئة الإسلامية في جانبيها المادي والاجتماعي لمعالجة سلبياتها ودعم إيجابياتها، فهي عملية تحقيق الأهداف المرجوة للدنيا والآخرة من خلال المعرفة الإسلامية والإيمان والعمل، لإصلاح الحال وتعديل السلوكيات في الدنيا والآخرة[٢٦]

وللسنة فائدتان عظيمتان في مجال التربية الإسلامية:

أولاً: توضيح منهج التربية الإسلامية المتكامل الذي ورد في نص القرآن الكريم وشرح ما لم يرد في القرآن بالتفصيل.

ثانياً: الأخذ بالأساليب التربوية من حياة النبي محمد صلى الله عليه وسلم مع أصحابه، ومعاملته للأطفال، وغرس الإيمان في النفوس، فكان النبي محمد صلى الله عليه وسلم قدوة للتعليم الكامل للإنسان[٢٧]

١- السنة النبوية مصدر من مصادر التربية:

ب) المصادر البشرية (الفرعية) التي تتمثل في كل من : تراث السلف الصالح لهذه الأمة وفكرهم التربوي سواءً كان ذلك الفكر في الماضي أو الحاضر، والصالح من الفكر التربوي المُعاصر والمُستجد؛ شريطة أن يتفق هذا التُراث البشري قديماً كان أو حديثاً، مع ما جاء في المصادر الأصلية، ولا يتعارض معه بأي حال من الأحوال.

ينظر:" التربية الإسلامية علمٌ ثنائي المصدر"، (ص١١-١٢)، و هل التربية الإسلامية أحادية أم ثُنائية المصدر ؟، عزّاد

٢٥ - ينظر: " مدى تحقيق أهداف مناهج التربية الإسلامية في رياض الأطفال من وجهة نظر المعلمات في الأردن"، (ص٢)

٢٦ - ينظر: " مدى تحقيق أهداف مناهج التربية الإسلامية في رياض الأطفال من وجهة نظر المعلمات في الأردن"، (ص٤-٥)، بتصرف

٢٧ - ينظر: " أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع"، (ص٢٦)، و«مناهج التربية أسسها وتطبيقاتها» (ص١٦١-١٦٣)

الشريعة لها مصادر تستقي منها علومها التي انبثقت منها، وهي كلها تعتمد على الوحي المنزل على الرسول صلى الله عليه وسلم، قرآناً وسنة، وهذان هما المصدران الأساسيان، وهناك مصادر فرعية أرشدت إليها نصوص الكتاب والسنة: كالإجماع والقياس[٢٨]

السنة النبوية: هي ما أضيف إلى النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير، وهي أحد قسمي الوحي الإلهي الذي نزل به جبريل الأمين على النبي الكريم صلى الله عليه وسلم، والقسم الثاني من الوحي هو القرآن الكريم، فالسنة النبوية من الوحي، بذلك نطق الكتاب العزيز {وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى}، فكل ما ينطق به رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرآن أو سنة هو من وحي رب العالمين، قال تعالى: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ}، فأنزل الله القرآن الكريم وحياً يتلى إلى قيام الساعة محفوظاً من التبديل والتغيير فكان دليلاً قائماً وبرهاناً ساطعاً على إثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم إلى يوم الدين وكان خير حافظ للشريعة المحمدية من عبث العابثين وتحريف الغالين وانتحال المبطلين وكان وما يزال نوراً ساطعاً وضياءً للمتقين قال تعالى: {يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [المائدة:١٦]، وقد أمر الله بطاعة الرسول، وجعل طاعته طاعة لله تعالى واتباعه سبباً في محبة الله وغفران الذنوب ونفى الإيمان عمن لم يرض بقضائه صلى الله عليه وسلم، ومما ورد فيه من الوعيد الشديد لمن خالف رسوله قال تعالى: {وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا} [المائدة:٩٢] وقال سبحانه:{مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ} [النساء:٨٠]، وقوله تعالى: {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [آل عمران:٣١]، وقال سبحانه: {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} [الحشر:٧]، وقال جل شأنه: {فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً} [النساء:٦٥]، وقوله سبحانه: {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُبِيناً} [الأحزاب:٣٦]، وقوله جل شأنه: {فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [النور:٦٣][٢٩] فقد جعل الله تعالى معجزةَ النبي صلى الله عليه وسلم الوحيَ معجزتَه صلى الله عليه وسلم التي بقيت بعده، واستمر عطاؤها إلى زماننا، وستبقى إلى قيام الساعة: هي الوحي، ولهذا طلب الله تعالى منه صلى الله عليه وسلم أن ينذر به، قال الله تعالى: {قُلْ إِنَّمَا أُنْذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنْذَرُونَ} [سورة الأنبياء: ٤٥]، أخرج البخاري في " صحيحه"،(٧٢٧٤)، ومسلم في " صحيحه"،(١٥٢)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "مَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا قَدِ أُعْطِيَ مِنَ الْآيَاتِ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَى اللهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ"، وأخرج أحمد في " المسند"،(١٧١٧٤)، عَنِ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ الْكِنْدِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: " أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ، أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ، أَلَا يُوشِكُ رَجُلٌ يَنْثَنِي شَبْعَانًا عَلَى أَرِيكَتِهِ يَقُولُ: عَلَيْكُمْ بِالْقُرْآنِ، فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَلَالٍ فَأَحِلُّوهُ، وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ، ...". الحديث، ومن خلال الآيات الكريمة والحديثين الشريفين يتضح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أعطاه الله جل شأنه وحيين، هما: وحي القرآن الكريم، ووحي السنة النبوية الشريفة، والنبيُّ صلى الله عليه وسلم هو رسول الله صلى الله عليه وسلم والرسولُ من مرسِله، لأنه يبلِّغ عنه ما يريد[٣٠] وفي «مصنف ابن أبي شيبة» (٣٤٣٣٢): عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ شَيْءٍ يُقَرِّبُكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ وَيُبْعِدُكُمْ مِنَ النَّارِ إِلَّا قَدْ أَمَرْتُكُمْ بِهِ ، وَلَيْسَ شَيْءٌ يُقَرِّبُكُمْ مِنَ النَّارِ وَيُبْعِدُكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ

---

[٢٨] - ينظر: «السنة النبوية ومكانتها» باجمعان (ص١٣)

[٢٩]- ينظر: «السنة النبوية وحي» مفرج (ص١٣)، و"أصول الفقه الإسلامي" شعبان (ص ٦٤ — ٦٥)

٣٠ - ينظر: «السنة النبوية وحي»، (ص١-٣)

إِلَّا قَدْ نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ ، وَإِنَّ الرُّوحَ الْأَمِينَ نَفَثَ فِي رَوْعِي أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ نَفْسٍ تَمُوتُ حَتَّى تَسْتَوْفِيَ رِزْقَهَا ، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ ، وَلَا يَحْمِلَنَّكُمُ اسْتِبْطَاءُ الرِّزْقِ عَلَى أَنْ تَطْلُبُوهُ بِمَعَاصِي اللَّهِ، فَإِنَّهُ لَا يُنَالُ مَا عِنْدَهُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ»

تكفل الله بحفظ هذا الدين كتاباً وسنةً؛ من التحريف والتبديل؛ وقد أرسل الله سبحانه رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم إلى الناس ليبلغهم دينهم، وقد بلغ الرسول صلى الله عليه وسلم هذا الدين كاملاً غير منقوص، وَبيَّنَه للناس بقوله وفعله وتقريراته، ونفذ تعاليمه كاملة في حياته صلى الله عليه وسلم، وقام بتربية المجتمع المسلم، وبتزكيتهم كما أمره الله عز وجل، وبقيت سيرته ومنهجه بعد موته؛ لتكون نبراساً للناس يستضيئون به بعد موته إلى قيام الساعة، أخرج الترمذي في " جامعه"،(١٩٢٠)، عَنْ ثَوْبَانَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَذَلِكَ"، ومنهجه صلى الله عليه وسلم يتمثل في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم؛ أخرج ابن خزيمة في " صحيحه"،(٢٨٠٩)، من حديث جابر بن عبد الله قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم "...وَإِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ كِتَابَ اللَّهِ، وَأَنْتُمْ مَسْئُولُونَ عَنِّي مَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟ فَقَالُوا: نَشْهَدُ إِنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ رِسَالَاتِ رَبِّكَ، وَنَصَحْتَ لِأُمَّتِكَ، وَقَضَيْتَ الَّذِي عَلَيْكَ، فَقَالَ بِأُصْبُعِهِ السَّبَّابَةِ يَرْفَعُهَا إِلَى السَّمَاءِ، وَيُنَكِّسُهَا إِلَى النَّاسِ اللَّهُمَّ اشْهَدْ، اللَّهُمَّ اشْهَدْ "، لذلك كانت السنة مكملة للقرآن ومفسرة له؛ وهي بهذا المعنى المصدر الثاني للتشريع الإسلامي، ولكنها من حيث الاحتجاج والعمل بها فهي مثل القرآن الكريم وقد حفظ الله تعالى سنة رسوله صلى الله عليه وسلم من النسيان والتحريف الكلي الذي يطمس معالمها؛ لأنها تبيّن القرآن الكريم وتُجسّده عملياً، وتُظهر إمكانية تطبيقه وحدود تأويله من غير إفراط ولا تفريط. قال تعالى: {وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} [النحل: ٤٤]، وبناءً عليه لم تكن مهمة الرسول صلى الله عليه وسلم مُجَرِّد تبليغ ألفاظ القرآن للبشرية، أو أنّ فائدة سنته الشريفة مقصورة على تلك الفترة التاريخية فقط؛ إن السنة النبوية هي المصدر الثاني للتربية الإسلامية، وهي الجانب التطبيقي لما جاء في القرآن الكريم، فهي أهم مصدر بعد القرآن الكريم في إعداد الفرد، وتنشئته، وفي تكوين الجماعة، وذلك لكونها زاخرة بالتوجيهات والقواعد والأسس والأصول، والمبادئ والدعائم التربوية الحية والمتجددة التي إذا التزم بها المجتمع كونت له الإنسان الصالح، والفرد الايجابي والمجتمع الناجح وحققت له علوا من الكمال الإنساني المنشود[٣١]وقد أرسى الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم دعائم التربية القويمة بهدْيِهِ الربّاني، فسنّ لكل مُربٍّ أساليب تربوية لا نظير لها، ووضع لبنات المناهج التربوية في الإسلام، قبل أن يصبح علم التربية علمًا قائمًا بذاته، لقد حوت السنة النبوية المطهرة أساليب تربوية رائعة، كالترغيب والترهيب، والقدوة، والدعابة، والألغاز، والثواب والعقاب، والقصص النبوي، وضرب الأمثال، والحوار، وإقامة الحجة، والتذكير بالعاقبة، وغيرها من الوسائل التي ربّى النبي صلى الله عليه وسلم صحابته عليها.

شمول السنة النبوية:

القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة هما المصدران الأساسيان للتربية الإسلامية، حيث يحتويان على فلسفة تربوية واضحة متكاملة الأسس والأهداف، ثم يأتي الإجماع والقياس[٣٢]

السنة النبوية شملت العبادات والمعاملات، والأحوال الشخصية، والحدود والجنايات، وما يتعلق بها من ضروريات، وحاجيات، وتحسينات، وكماليات، بصورة منقطعة النظير، والسنة النبوية قد جاءت مُعبّرةً عن القرآن الكريم بشموله واتّساعه لكلّ الجوانب التي يحتاجها الإنسان في الحياة، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ [الأنعام: ٣٨]، كما جاءت السنة استجابةً لمستجدات الحياة وتطوُّرِها، فلا تكاد تشعر بالعَوَز أو الافتقار إلى ما يُمكِّن الإنسان من الحياة وفق المنهج الإسلامي والتشريع الرباني، رغم كون

---

٣١ - ينظر: "تربية المسلم المعاصر في السنة النبوية"، (ص٢٥٩)، و «السنة النبوية ومكانتها» (ص١)

٣٢ - ينظر: " التربية الإسلامية أصولها ومنهجها ومعلمها"، (ص٢٩)

النصوص ثابتة لم تتغيَّر، واللغة واحدة لم تتبدَّل، وهذا الاستيعاب وذلك الشمول من مظاهر عظمة السنة النبوية[٣٣]

السنة النبوية الشريفة شاملة لجميع التصرفات والمراحل والأحوال التي يمكن أن يوجد عليها الإنسان: من فقر أو غنى، وفرح أو حزن، وقوة أو ضعف، وصحة أو مرض، وخوف أو أمن، وفراغ أو انشغال... إلخ، وتشمل أيضاً جميع الأدوار والمناصب التي يمكن أن يُمارسها الناس بشكل عام، فقد كان النبي إماماً ومفتياً وقاضياً وقائداً عسكرياً، وكان تاجراً وزوجاً وأباً {وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُّنِيرا} [الأحزاب: ٤٦] كما أن مواضيع السنة الشريفة تغطي جميع المجالات التي تؤطر حياة الإنسان: من عقائد وعبادات ومعاملات وأخلاق وغيرها، فإن السنة النبوية هي الأصل الثاني من أصول الأحكام الشرعية التي أجمع المسلمون على اعتبارها أصلاً قائماً بذاته، فهي والقرآن متلازمان، لا ينفك أحدهما عن الآخر، فالقرآن كليُّ هذه الشريعة، والرسول صلى الله عليه وسلم مبين بسنته لجزئياتها، قال تعالى: {وأنزلنا إليك الذِّكرَ لِتُبَيِّنَ للنَّاس ما نُزِّلَ إليهم} [النحل: ٤٤]، فما ورد في القرآن من الآيات مجملاً أو مطلقاً أو عاماً، فإن السنة النبوية، القولية منها أو الفعلية تقوم ببيانها، فتقيد مطلقها، وتخصص عامها، وتفسر مجملها، ولذا كان أثرها عظيماً في إظهار المراد من الكتاب، وفي إزالة ما قد يقع في فهمه من خلاف أو شبهة[٣٤] لقد علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كل شيء، حتى آداب الخلاء، وغرس فينا الإيمان، وربانا على المسؤولية، والرحمة، والعدل، والصدق، مما يجعل السنة منهجًا تربويًا متكاملًا[٣٥]

قال ابن الأثير في «النهاية في غريب الحديث والأثر» (١/ ٣):

«فلا خلاف بين أُولي الألباب والعقول، ولا ارتياب عند ذَوِي المعارف والمحصول، أنّ علم الحديث والآثار من أشرف العلوم الإسلامية قَدْرا، وأحسنِها ذكرا، وأكملها نفْعا وأعظمها أجرا، وأنه أَحَدُ أَقطاب الإسلام التي يَدُورُ عليها، ومعاقِدِهِ التي أضيفَ إليها، وأنه فَرْضٌ من فروض الكفايات يجب التزامُه، وحق من حقوق الدين يتعين إحكامه واعْتزَامُه...». انتهى

وقال النووي في «إرشاد طلاب الحقائق إلى معرفة سنن خير الخلائق صلى الله عليه وسلم» (١/ ١٠٧):

«واعلم أن علم الحديث من أفضل العلوم وأولاها بالاعتناء وأحق ما شمر فيه المبرزون ومحققوا العلماء إذ هو أكثر العلوم تولجًا، في فنونها.....». انتهى

وقال النووي في «شرح النووي على مسلم» (١/ ٤):

«الانشغال بالحديث من أجل العلوم الراجحات وأفضل أنواع الخير وآكد القربات وكيف لا يكون كذلك وهو مشتمل مع ماذكرناه على بيان حال أفضل المخلوقات عليه من الله الكريم أفضل الصلوات والسلام والتبريكات ولقد كان أكثر اشتغال العلماء بالحديث في الاعصار الخاليات حتى لقد كان يجتمع في مجلس الحديث من الطالبين الوف متكاثرات فتناقص ذلك وضعفت الهمم ... وقد جاء في فضل احياء السنن المماتات احاديث كثيرة معروفات مشهورات فينبغي الاعتناء بعلم الحديث والتحريض عليه لما ذكرنا من الدلالات ولكونه ايضا من النصيحة لله تعالى وكتابه ورسوله صلى الله عليه وسلم وللائمة والمسلمين والمسلمات وذلك هو الدين كما صح عن سيد البريات صلوات الله وسلامة عليه وعلى آله وصحبه وذُريته وازواجه الطاهرات ولقد احسن القائل من جمع ادوات الحديث استنار قلبه واستخرج كنوزه الخفيات وذلك لكثرة فوائده البارزات والكامنات

---

٣٣ - شمولية السنة النبوية، د. الدوسري، الألوكة

٣٤ - ينظر: «جامع الأصول» (١/ ٣)

٣٥ - ينظر: "بحوث في السنة "، (ص ١٢-١٥)

وهو جدير بذلك فانه كلام افصح الخلق ومن اعطي جوامع الكلمات صلى الله عليه وسلم صلوات متضاعفات..». انتهى بتصرف

وقال ابن جماعة في «المنهل الروي في مختصر علوم الحديث النبوي» (ص٢٩):

«الْعلم بِحَدِيث رَسُول الله صلى الله عليه وسلم وَرِوَايَته من أشرف الْعُلُوم وأفضلها وأحقها بالاعتناء لمحصلها لِأَنَّهُ ثَانِي أَدِلَّة عُلُوم الْإِسْلَام ومادة عُلُوم الْأُصُول وَالْأَحْكَام وَلذَلِك لم يزل قدر حفاظه عَظِيما وخطرهم عِنْد عُلَمَاء الْأمة جسيما».

تستمد التربية الإسلامية أصولها الثقافية والفكرية من المصدرين الأساسيين للشريعة الإسلامية وهما القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

وقد أمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حياته كلها، وهو يعلم صحابته ما علّمه الله إياه، فكان:

يقرئهم القرآن، ويحفّظهم الأدعية والأذكار، يعلمهم العبادات، وكيفية أدائها، وأحكامها، وواجباتها، يزكي نفوسهم، أخرج البخاري في " صحيحه"،(٦٠٧٦)، ومسلم في " صحيحه"، (٢٥٥٨)، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «لَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا، وَلَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ».

يوجه ميولهم، أخرج البخاري في " صحيحه"، (١٥)، ومسلم في " صحيحه"، (٤٤)، عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ".

يعلمهم أدق تفاصيل الحياة اليومية، مما يعكس اتجاهًا تربويًا شموليًا في بناء الإنسان، أخرج مسلم في " صحيحه"،(٢٦٢)، عَنْ سَلْمَانَ، قَالَ: قِيلَ لَهُ: قَدْ عَلَّمَكُمْ نَبِيُّكُمْ صلى الله عليه وسلم كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى الْخِرَاءَةَ قَالَ: فَقَالَ: أَجَلْ "لَقَدْ نَهَانَا أَنْ نَسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةَ لِغَائِطٍ، أَوْ بَوْلٍ، أَوْ أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِالْيَمِينِ، أَوْ أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِأَقَلَّ مِنْ ثَلَاثَةِ أَحْجَارٍ، أَوْ أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِرَجِيعٍ أَوْ بِعَظْمٍ".

يعلمهم أنماط السلوك الأسري، أخرج مسلم في " صحيحه"،(١٤٦٩)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "لَا يَفْرَكْ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً، إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ".

يعلمهم أنماط السلوك الاقتصادي، أخرج مسلم في " صحيحه"،(١٥٩٨)، عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: "لَعَنَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم آكِلَ الرِّبَا، وَمُؤْكِلَهُ، وَكَاتِبَهُ، وَشَاهِدَيْهِ"، وَقَالَ: "هُمْ سَوَاءٌ".

أخرج البخاري في " صحيحه"، (٦٧٣٣)، ومسلم في " صحيحه"، (١٦٢٨)، عَنْ سعد بن أبي وقاص قَالَ: عَادَنِي رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ مِنْ وَجَعٍ أَشْفَيْتُ مِنْهُ عَلَى الْمَوْتِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، بَلَغَنِي مَا تَرَى مِنَ الْوَجَعِ، وَأَنَا ذُو مَالٍ، وَلَا يَرِثُنِي إِلَّا ابْنَةٌ لِي وَاحِدَةٌ، أَفَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثَيْ مَالِي؟ قَالَ: "لَا"، قَالَ: قُلْتُ: أَفَأَتَصَدَّقُ بِشَطْرِهِ؟ قَالَ: "لَا، الثُّلُثُ، وَالثُّلُثُ كَثِيرٌ، إِنَّكَ أَنْ تَذَرَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ، خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَذَرَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ، وَلَسْتَ تُنْفِقُ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللهِ، إِلَّا أُجِرْتَ بِهَا، حَتَّى اللُّقْمَةُ تَجْعَلُهَا فِي فِي امْرَأَتِكَ".

يعلمهم أنماط السلوك في الحرب، فقد نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل النساء والصبيان.

أثر السنة النبوية في البناء الثقافي هو النتيجة والحاصل والفرق الذي أحدثته سنة النبي صلى الله عليه وسلم وأقواله وأفعاله، وتقريراته، وسياسته، ودعوته، وتعاملاته، وسيرته على العقيدة والفكر واللغة والمعرفة والتي تمثل البناء والمنظومة الثقافية الإسلامية، ومن تأمل سنة النبي ﷺ علم يقينًا الأثر الذي تركته على البشرية جمعاء، فقد غيّرت بعثته صلى الله عليه وسلم الوجه العقدي والاجتماعي والأخلاقي للجزيرة العربية حينها، ومن ثم غيّرت وجه العالم بأجمعه بكل أطيافه، فلم يكن تأثير السنة قاصرًا على مجال دون مجال، لكنها

جاءت كاملةً شاملةً مستوعبةً لكل نواحي الحياة... حتى تركت إرثًا ثقافيًا هائلًا طال المسلمين وغيرهم، وتأثروا به تأثرًا واضحًا[٣٦]

قال النووي في «خلاصة الأحكام» (١/ ٥٩):

«فَإِنَّهُ يَنْبَغِي لكل أحد أَن يتخلق بأخلاق رَسُول الله صلى الله عليه وسلمَ ويقتدي بأقواله وأفعاله وَتَقْرِيره فِي الْأَحْكَام والآداب وَسَائِر معالم الْإِسْلَام وَأَن يعْتَمد فِي ذَلِك مَا صَحَّ ويجتنب مَا ضعف وَلَا يغتر بمخالفي السّنَن الصَّحِيحَة وَلَا يُقَلّد معتمدي الْأَحَادِيث الضعيفة فَإِن الله سبحانه وتعالى قَالَ: (وَمَا أَتَاكُم الرَّسُول فَخُذُوهُ وَمَا نهاكم عَنهُ فَانْتَهوا)، وَقَالَ تَعَالَى (لقد كَانَ لكم فِي رَسُول الله أُسْوَة حَسَنَة) وَقَالَ تَعَالَى (قل إِن كُنْتُم تحبون الله فَاتبعُونِي يحببكم الله وَيغْفر لكم ذنوبكم)...». انتهى

إن التربية الإسلامية لا تُبنى على قواعد نظرية مجردة، بل على نموذج حيّ تمثل في سيرة النبي ﷺ، الذي بُعث معلمًا ومربّيًا، فالتخلق بخلقه هو السبيل الأقوم لبناء الإنسان المسلم المتوازن فرديًا واجتماعيًا.

إن النبي محمدًا ﷺ هو المربّي الأول، والنموذج الأكمل في التربية، فسيرة حياته كلها دروس في بناء الشخصية، وتهذيب الأخلاق، وتربية الجيل على الإيمان والعمل الصالح السنة النبوية تمثل منهجًا تربويًا متكاملًا، فهي لا تقتصر على بيان الأحكام، بل تتعداها إلى تهذيب النفس، وتزكية الروح، وتكوين الشخصية الإسلامية المتوازنة وهي التطبيق العملي للقرآن الكريم، وهي التي جسدت القيم الإسلامية في واقع الحياة، ومن خلالها نعرف كيف كان النبي ﷺ يعيش الإسلام بكل تفاصيله، مما يجعلها المصدر الأساسي للتربية والسلوك، وميزت أخلاق النبي ﷺ بالثبات في جميع المواقف، فلم يتغير خلقه في السلم أو الحرب، وكان دائمًا مثالًا للرحمة والعدل، مما يجعل التخلق بأخلاقه ضرورة تربوية وأخلاقية في بناء الإنسان المسلم، وليس الاقتداء بالنبي ﷺ مجرد تقليد شكلي، بل هو اتباع لمنهجه في التفكير والسلوك والمعاملة، وهو ما يُشكّل الهوية الإسلامية للأفراد والمجتمعات[٣٧] ومن هنا فإن التخلق بأخلاقه ليس مجرد فضيلة فردية، بل ضرورة تربوية ومجتمعية، تُسهم في بناء الإنسان المسلم المتوازن، وتُرسّخ القيم في الواقع المعاش لذا، فإن الدعوة إلى الاقتداء به ﷺ في السلوك والمعاملة، تمثل امتدادًا أصيلًا لرسالة التربية الإسلامية، وركنًا راسخًا في بناء الهوية الإيمانية والسلوكية للأمة.

٢- حقيقة المعروف والمنكر:

المعروف في اللغة: ضد المنكر ، والعرف ضد النكر، ويطلق المعروف على الوجه لأن الإنسان يعرف به، كما يطلق على الجود وقيل: هو اسم ما تبذله وتسديه، و**المعروف في الاصطلاح**: اسم جامع لكل ما عرف من طاعة الله، والتقرب إليه، والإحسان إلى الناس ، وكل ما ندب إليه الشرع ونهى عنه من

---

٣٦ - ينظر: " أثر السنة النبوية في البناء الثقافي"، (ص٤٩٩-٥٠١)

٣٧ - ينظر: " السنة النبوية ومكانتها في التشريع الإسلامي "،(ص٤٥)، و" أخلاق النبي ﷺ في السلم والحرب "،(ص١١٢)، و" أثر السنة النبوية في تهذيب السلوك الإنساني"، (ص٨٨)، و" التربية الإسلامية: مبادئها ومقوماتها"، (ص ١٥٣-١٦١)

المحسنات والمقبحات[٣٨] **وقيل**: هو كل ما يحسن في الشرع[٣٩] **وقيل :** هو كل ما عرف في الشرع من خير وطاعة مندوباً كان أو واجباً، وسمي معروفاً لأن العقول السليمة تعرفه[٤٠] فالمعروف كل ما يعرفه الشرع ويأمر به ويمدحه ويثني على أهله، ويدخل في ذلك جميع الطاعات، وفي مقدمتها توحيد الله عز وجل والإيمان به.

المنكر في اللغة : هو واحد المَنَاكِر، وهو النكر، قال تعالى {لقد جئتم شيئاً نكراً}، والنَكِير والإنْكارُ: تغيير المنكر، والإنكارُ: الجحود، والتناكرُ: التجاهل، **والمنكر في الاصطلاح**: كل ما قبحه الشرع وحرمه وكرهه[٤١] **وقيل**: ما عرف قبحه شرعاً وعقلاً **وقيل** : كل قول وفعل وقصد قبحه الشارع ونهى عنه، وقيل: ما ليس فيه رضا الله من قول أو فعل، فالمنكر كل ما ينكره الشرع وينهى عنه ويذمه ويذم أهله، ويدخل في ذلك جميع المعاصي والبدع، وفي مقدمتها الشرك بالله عز وجل وإنكار وحدانيته أو ربوبيته أو أسمائه أو صفاته[٤٢]

وعبارات المفسرين في تفسير المعروف والمنكر لا تتجاوز ذلك[٤٣]ومن خلال هذا التعريف للمعروف والمنكر يتضح للناظر شمولية كل من المعروف والمنكر للشرع كله: أمره ونهيه، بمعنى أن المعروف يشمل كل ما أمر به الشارع، والمنكر يشمل كل ما نهى عنه الشارع، وعلى هذا، فإن أل التعريف تفيد الاستغراق الذي يفيد العموم وباب الأمر والنهى لا يختصان بجانب واحد من الحياة بل يعمان جميع جوانب الحياة كلها [٤٤]

جاء في «تفسير المنار» (٤/ ٢٣):

«وَالتَّفْرِقَةِ بَيْنَ الْمَعْرُوفِ وَالْمُنْكَرِ، عَلَى أَنَّ الْمَعْرُوفَ عِنْدَ إِطْلَاقِهِ يُرَادُ بِهِ مَا عَرَفَتْهُ الْعُقُولُ وَالطِّبَاعُ السَّلِيمَةُ، وَالْمُنْكَرُ ضِدُّهُ وَهُوَ مَا أَنْكَرَتْهُ الْعُقُولُ وَالطِّبَاعُ السَّلِيمَةُ، وَلَا يَلْزَمُ لِمَعْرِفَةِ هَذَا قِرَاءَةُ حَاشِيَةِ ابْنِ عَابِدِينَ عَلَى الدُّرِّ، وَلَا فَتْحِ الْقَدِيرِ وَلَا الْمَبْسُوطِ، وَإِنَّمَا الْمُرْشِدُ إِلَيْهِ - مَعَ سَلَامَةِ الْفِطْرَةِ - كِتَابُ اللهِ وَسُنَّةُ رَسُولِهِ الْمَنْقُولَةُ بِالتَّوَاتُرِ وَالْعَمَلِ، وَهُوَ مَا لَا يَسَعُ أَحَدًا جَهْلُهُ، وَلَا يَكُونُ الْمُسْلِمُ مُسْلِمًا إِلَّا بِهِ، فَالَّذِينَ مَنَعُوا عُمُومَ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ جَوَّزُوا أَنْ يَكُونَ الْمُسْلِمُ جَاهِلًا لَا يَعْرِفُ الْخَيْرَ مِنَ الشَّرِّ، وَلَا يُمَيِّزُ بَيْنَ الْمَعْرُوفِ وَالْمُنْكَرِ، وَهُوَ لَا يَجُوزُ دِينًا...». انتهى

٣٨- ينظر: "لسان العرب"، (٢٣٦/٩-٢٤٣) و"الصحاح"،(١٤٠١/٤)، و" القاموس المحيط "، (١٧٣/٣)

٣٩- ينظر: "التعريفات"، (ص ٢٢١)

٤٠- ينظر: "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"، (ص ٧)

٤١- ينظر: "لسان العرب"، (٢٣٣/٥)، و" الصحاح"، (٨٣٧/٢)

٤٢ - ينظر: «المفاتيح في شرح المصابيح» (٢/ ٥٣٣)، و«التيسير في التفسير» (٤/ ٢٠٤) و«تفسير الماتريدي » (٢/ ٤٥١)، و«مشارق الأنوار على صحاح الآثار» (٢/ ١٢)، و«الكنز الأكبر من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر » (ص٣٩)، و«شرح المصابيح لابن الملك» (٢/ ٤٦٥)

٤٣ - ينظر: " النهاية في غريب الحديث والأثر "،(٥ / ١١٥)، و " الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الحث على فعله والتحذير من تركه "،(ص٥-٦) و "الحسبة في الإسلام"،(ص ٩)، و "تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان"،(١ /٤٠٦)، و «الموسوعة الفقهية الكويتية» (٣٩/ ١٢٣)، و«القول البين الأظهر في الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» (ص٥)

٤٤ - ينظر: «التفسير الموضوعي للقرآن الكريم ونماذج منه» (ص١١٦)

الشريعة الإسلامية هي **الأصل** في تقرير المعروف المنكر والأصل في ذلك هو الكتاب والسنة، فالذي تقره الشريعة الإسلامية وتستحسنه وتأمر به يجب أن يكون معروفاً، وإذا استقبحت الشريعة الإسلامية أمراً أو نهت عنه أو حكمت عليه بأنه منكر فيجب أن يكون كذلك، فإذا اكتشفت عقولنا فكرة وراجت لدى الناس وأعجبوا بها واستحسنوها، فإنها لا تدعى "معروفا" إلا إذا كانت معروفا بنص القرآن الكريم أو السنة الشريفة، وكذلك ما لا يعرفه عقلنا ولا يحبه، وليس بشائع مألوف في الناس لن يكون منكراً ما دامت الشريعة الإسلامية لا تحكم بكونه منكراً، **الميزان والمعيار** الذي يعول عليه في معرفة المعروف والمنكر هو الشرع وأما التحسين والتقبيح العقليين لا يستقلان في تحديد المعروف والمنكر[٤٥]

قال الشَّيْزَرِي في «نهاية الرتبة في طلب الحسبة» (ص٦):

«فإن الحسن ما حسنه الشرع، والقبيح ما قبحه الشرع، ولا مدخل للعقول في معرفة المعروف، والمنكر إلا بكتاب الله عز وجل، وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ورب جاهل يستحسن بعقله ما قبحه الشرع، فيرتكب المحظور، وهو غير عالم به، ولهذا المعنى كان طلب العلم فريضة على كل مسلم، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم...». انتهى

أخبر سبحانه بأنه أرسل النبي صلى الله عليه وسلم بالأمر بما هو طيب وحسن والنهي عما هو خبيث وقبيح، قال تعالى: {الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ} [الأعراف: ١٥٧]، فأخبر سبحانه بأن رسوله يأمر بكل معروف وينهى عن كل منكر، ويحل كل طيب ويحرم كل خبيث، ولو كان هذا المعروف والمنكر والطيب والخبيث إنما اكتسب هذه الصفات بأمره الشرع ونهيه؛ لكان معنى الآية: يأمرهم بما يأمرهم وينهاهم عما ينهاهم، ويحل لهم ما أحله، ويحرم عليهم ما حرمه، وهذا باطل ينزه عنه كلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم، ومثله قوله سبحانه: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ} [النحل: ٩٠]، فالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى أفعال حسنة في ذاتها، لم تكتسب الحسن من أمر الشرع بها، والفحشاء والمنكر والبغي أفعال قبيحة قبل نهي الشرع عنها، ولو لم تكن كذلك للزم أن يكون المعنى: يأمرهم بما يأمرهم به، وينهاهم عما ينهاهم عنه، وهو باطل، ومثله قوله تعالى: {وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٢٨) قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ} [الأعراف: ٢٨- ٢٩]، إذ لو كان حسن القسط، وقبح الفاحشة مستفادًا من الأمر والنهي فحسب لكان المعنى: إن الله لا يأمر بما ينهى عنه، وإنما يأمر بما أمر به، وهذا لغو ينزه الرب عز وجل عنه[٤٦] فإن الله قد حث نبيه صلى الله عليه وسلم بأن يأمر أمته بالمعروف، وأن يكون ذلك سجية وخلقاً له ولهم؛ فقال الله تعالى: {خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ}؛ قال ابن سعدي في قوله: {وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ} "أي

---

٤٥ - ينظر: «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في ضوء الكتاب والسنة» (ص٨٩)، و«فقه الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» (ص٧)

٤٦ - ينظر: «القواعد الكلية في باب القدر» (٢/ ٧٧١)

بكل قول حسن، وفعل جميل، وخلق كامل؛ للقريب والبعيد، فاجعل ما يأتي إلى الناس منك، إما تعليم علم، أو حث على خير، من صلة رحم، أو برٍّ والدين، أو إصلاح بين الناس، أو نصيحة نافعة، أو رأي مصيب، أو معاونة على بر وتقوى، أو زجر عن قبيح، أو إرشاد إلى تحصيل مصلحة دينية أو دنيوية"[٤٧]

قال الطبري في «جامع البيان» (١٣/ ٣٣١):

«والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يأمر الناس بالعرف وهو المعروف في كلام العرب، مصدر في معنى: "المعروف".. فإذا كان معنى العرف ذلك، فمن "المعروف" صلة رحم من قطع، وإعطاء من حرم، والعفو عمن ظلم، وكل ما أمر الله به من الأعمال أو ندب إليه، فهو من العرف. ولم يخصص الله من ذلك معنى دون معنى; فالحق فيه أن يقال: قد أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يأمر عباده بالمعروف كله، لا ببعض معانيه دون بعض..». انتهى

قال البخاري ج٦ص٦: قوله تعالى: {خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين} [الأعراف: ١٩٩] " العرف: المعروف "، وأخرج البخاري في " صحيحه"، (٤٦٤٣)، عن عبد الله بن الزبير، {خذ العفو وأمر بالعرف} [الأعراف: ١٩٩] قال: «ما أنزل الله إلا في أخلاق الناس»، وأخرج البخاري في " صحيحه"،(٤٦٤٢)، عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: أَخْبَرَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ، أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: «قَدِمَ عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنِ بْنِ حُذَيْفَةَ فَنَزَلَ عَلَى ابْنِ أَخِيهِ الحُرِّ بْنِ قَيْسٍ، وَكَانَ مِنَ النَّفَرِ الَّذِينَ يُدْنِيهِمْ عُمَرُ، وَكَانَ القُرَّاءُ أَصْحَابَ مَجَالِسِ عُمَرَ وَمُشَاوَرَتِهِ، كُهُولاً كَانُوا أَوْ شُبَّانًا»، فَقَالَ عُيَيْنَةُ لِابْنِ أَخِيهِ: يَا ابْنَ أَخِي، هَلْ لَكَ وَجْهٌ عِنْدَ هَذَا الأَمِيرِ، فَاسْتَأْذِنْ لِي عَلَيْهِ، قَالَ: سَأَسْتَأْذِنُ لَكَ عَلَيْهِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «فَاسْتَأْذَنَ الحُرُّ لِعُيَيْنَةَ فَأَذِنَ لَهُ عُمَرُ»، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ: هِيْ يَا ابْنَ الخَطَّابِ، فَوَاللَّهِ مَا تُعْطِينَا الجَزْلَ وَلَا تَحْكُمُ بَيْنَنَا بِالعَدْلِ، فَغَضِبَ عُمَرُ حَتَّى هَمَّ أَنْ يُوقِعَ بِهِ، فَقَالَ لَهُ الحُرُّ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ لِنَبِيِّهِ صلى الله عليه وسلم: {خُذِ العَفْوَ وَأْمُرْ بِالعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الجَاهِلِينَ} [الأعراف: ١٩٩]، وَإِنَّ هَذَا مِنَ الجَاهِلِينَ، «وَاللَّهِ مَا جَاوَزَهَا عُمَرُ حِينَ تَلَاهَا عَلَيْهِ، وَكَانَ وَقَّافًا عِنْدَ كِتَابِ اللَّهِ»، وفي «تفسير عبد الرزاق» (٩٧٤)، عَنْ أُمَيٍّ الْمُرَادِيِّ ، قَالَ: بَلَغَنِي أَنَّهُ لَمَّا نَزَلَتْ {خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ ، وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ} [الأعراف: ١٩٩] ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لِجِبْرِيلَ: «مَا هَذَا؟» ، قَالَ: «لاَ أَدْرِي حَتَّى أَسْأَلَ الْعَالِمَ» ، قَالَ: فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ ، فَقَالَ: «يَا مُحَمَّدُ إِنَّ اللَّهَ تبارك وتعالى يَأْمُرُكَ أَنْ تَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَكَ ، وَتُعْطِيَ مَنْ حَرَمَكَ ، وَتَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ».

وفي «الزهد» لهناد بن السري (٢/ ٥٩٦)، عَنْ وَهْبِ بْنِ كَيْسَانَ قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ يَقُولُ عَلَى الْمِنْبَرِ: {خُذِ الْعَفْوَ} [الأعراف: ١٩٩] وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ، ثُمَّ قَالَ: «وَاللَّهِ مَا أَمَرَ بِهَا أَنْ تُؤْخَذَ إِلَّا مِنْ أَخْلَاقِ النَّاسِ وَاللَّهِ لَتَخُذَنَّهَا مِنْهُمْ مَا صَحِبَتْهُمْ».

وقد وصف الله تعالى الأمة الإسلامية بأنها خير أمة أخرجت للناس؛ لأنها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر قال الله تعالى: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ}

---

٤٧ - ينظر: «عون الحنان في شرح الأمثال في القرآن» (ص١١٥)

[آل عمران: ١١٠]، وقال تعالى {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ} [التوبة: ٧١][٤٨] قال ابن العربي: والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أصل في الدين وعمدة من عمد المسلمين وخلافة رب العالمين والمقصود الأكبر من فائدة بعث النبيين وهو فرض على جميع الناس مثنى وفرادى بشرط القدرة والأمن[٤٩]

قال ابن عاشور في «التحرير والتنوير» (٩/ ١٣٤-١٣٥):

«وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ الْمَعْرُوفَ وَالْمُنْكَرَ، وَالطَّيِّبَاتِ، وَالْخَبَائِثَ، وَالْإِصْرَ وَالْأَغْلَالَ مُتَعَلِّقَاتٍ لِتَشْرِيعِ النَّبِيءِ الْأُمِّيِّ وَعَلَامَاتٍ، فَوَجَبَ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ مِنْهَا مَا يَتَبَادَرُ مِنْ مَعَانِي أَلْفَاظِهَا لِلْأَفْهَامِ الْمُسْتَقِيمَةِ.. فَالْمَعْرُوفُ **شَامِلٌ** لِكُلِّ مَا تَقْبَلُهُ الْعُقُولُ وَالْفِطَرُ السَّلِيمَةُ، وَالْمُنْكَرُ ضِدُّهُ، ... وَيَجْمَعُهَا مَعْنَى: الْفِطْرَةِ، الَّتِي هِيَ قِوَامُ الشَّرِيعَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا}، وَهَذِهِ أَوْضَحُ عَلَامَةٍ لِتَعَرُّفِ أَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ». انتهى

المعروف هو **فعل الخير وإسداؤه للعباد**، سواء كان هذا الخير مالاً كالصدقة والإطعام وسقاية الماء وسداد الديون، أو جاهاً كما في الإصلاح بين المتهاجرين والشفعة وبذل الجاه، أوعلماً، أو سائر المصالح التي يحتاجها الناس، كحسن المعاملة وإماطة الأذى وعيادة المرضى[٥٠] قال القرطبي في "الجامع لأحكام القرآن"(٣٨٣/٥) "والمعروف لفظ يعم أعمال البر كلها، قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

لا يزهدنك في المعروف كفر من كفره، فقد يشكر الشاكر بأضعاف جحود الكافر

وقال الحطيئة: من يفعل الخير لا يعدم جوازيه ... لا يذهب العرف بين الله والناس

وأنشد الرياشي: يد المعروف غنم حيث كانت ... تحملها كفور أو شكور

ففي شكر الشكور لها جزاء ... وعند الله ما كفر الكفور ". انتهى

يُخْبِرُ النبيُّ صلى الله عليه وسلم أنَّ كلَّ إحسانٍ ونَفْعٍ للآخرين مِن قول أو عمل يكون صدقةً، وفيه الأجر والثواب، وفي هذا الترغيب في بذل المعروف وكل ما فيه نفع للآخرين، وعدم احتقار شيءٍ من المعروف، ولو كان يسيرًا فعلى المسلم والمسلمة أن يبادر في فعل المعروف، وأن لا يتواني ولا يتأخر[٥١]

أخرج مسلم في " صحيحه"،(١٠٠٧)، حَدَّثَنِي عَبْدُ اللهِ بْنُ فَرُّوخَ، أَنَّهُ سَمِعَ عَائِشَةَ، تَقُولُ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "إِنَّهُ خُلِقَ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْ بَنِي آدَمَ عَلَى سِتِّينَ وَثَلَاثِمِائَةِ مَفْصِلٍ، فَمَنْ كَبَّرَ اللهَ، وَحَمِدَ اللهَ، وَهَلَّلَ اللهَ، وَسَبَّحَ اللهَ، وَاسْتَغْفَرَ اللهَ، وَعَزَلَ حَجَرًا عَنْ طَرِيقِ النَّاسِ، أَوْ شَوْكَةً أَوْ عَظْمًا عَنْ طَرِيقِ النَّاسِ، وَأَمَرَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ نَهَى عَنْ مُنْكَرٍ، عَدَدَ تِلْكَ السِّتِّينَ وَالثَّلَاثِمِائَةِ السُّلَامَى، فَإِنَّهُ يَمْشِي يَوْمَئِذٍ وَقَدْ زَحْزَحَ نَفْسَهُ عَنِ النَّارِ" قَالَ أَبُو تَوْبَةَ: وَرُبَّمَا قَالَ: "يُمْسِي".

---

٤٨ - ينظر: «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في ضوء الكتاب والسنة» (ص٣٦)

٤٩ -ينظر: «فيض القدير» (٥/ ٥٢٢)

٥٠ - صنائع المعروف د.السقار، الألوكة.

٥١ - ينظر: «عون الحنان في شرح الأمثال في القرآن» (ص١١٥)، و"توضيح الأحكام من بلوغ المرام"، للبسام (٧/ ٣٤١)

وفي «جامع الترمذي» (٢٠٧١)، عن أبي ذَرٍّ، قال: قال رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "تَبَسُّمُكَ في وَجْهِ أخِيكَ، لكَ صَدقةٌ، وأمْرُكَ بالمَعْرُوفِ ونَهْيُكَ عن المُنْكَرِ صَدقَةٌ، وإرْشادُكَ الرَّجُلَ في أرْضِ الضّلالِ، لكَ صَدقَةٌ، وبَصَرُكَ لِلرَّجُلِ الرَّدِيءِ البَصَرِ، لكَ صَدقَةٌ، وإماطتُكَ الحَجَرَ والشَّوك والعَظْمَ عن الطَّرِيقِ، لكَ صدقَةٌ، وإفْراغُكَ من دَلْوِكَ في دَلْوِ أخِيكَ، لكَ صَدَقةٌ".

قال النووي في «شرح صحيح مسلم» (٧/ ٩١):

«قال القاضي يحتمل تسميتها صدقة أن لها أجراً كما للصدقة أجر وأن هذه الطاعات تماثل الصدقات في الأجور وسماها صدقة على طريق المقابلة وتجنيس الكلام وقيل معناه أنها صدقة على نفسه».

وقال الماوردي في «أدب الدنيا والدين» (ص٢٠٢-٢٠٤):

«فَيَنْبَغِي لِمَنْ يَقْدِرُ عَلَى ابْتِدَاءِ الْمَعْرُوفِ أَنْ يُعَجِّلَهُ حَذَرَ فَوَاتِهِ، وَيُبَادِرَ بِهِ خِيفَةَ عَجْزِهِ. وَلْيَعْلَمْ أَنَّهُ مِنْ فُرَصِ زَمَانِهِ، وَغَنَائِمِ إمْكَانِهِ، وَلَا يُهْمِلُهُ ثِقَةً بِقُدْرَتِهِ عَلَيْهِ، فَكَمْ وَاثِقٍ بِقُدْرَةٍ فَاتَتْ فَأَعْقَبَتْ نَدَمًا، وَمُعَوِّلٍ عَلَى مُكْنَةٍ زَالَتْ فَأَوْرَثَتْ خَجَلًا»، وَقَالَ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رضي الله عنه: لَا يَتِمُّ الْمَعْرُوفُ إلَّا بِثَلَاثٍ خِصَالٍ: تَعْجِيلُهُ وَتَصْغِيرُهُ وَسَتْرُهُ، فَإِذَا عَجَّلْتَهُ هَنَّأْتَهُ، وَإِذَا صَغَّرْتَهُ عَظَّمْتَهُ، وَإِذَا سَتَرْتَهُ أَتْمَمْتَهُ». انتهى

٣- قيمة بذل المعروف:

صنع المعروف من الأعمال التي حضنا عليها الإسلام، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: 195]، وقال تعالى في سورة الحج: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[الحج:٧٧]، إن المعروف هو فعل الخير وإسداؤه للعباد، فقوله: ﴿وَافْعَلُوا الْخَيْرَ﴾ أمر يشمل كل خير، وقد حضنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على صنع المعروف مهما كان يسيرًا، وأخبرنا أن المعروف صدقة، فهو عمل إذا تهفو إليه نفوس من يحبون عمل الصالحات واكتساب الأجور لينالوا ثواب صدقة ببسمة أو بمعونة يسيرة يقدمونها للآخرين، ولا شك أن الذي يملأ حياته بصنائع المعروف تمتلئ حياته بالبركة والسعادة وعون الله وقضاء الله لحوائجه، فقد جاءت أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم مؤكدة أهمية قضاء الحوائج وصنائع المعروف، ومبينة أنها تعود على صاحبها في الدنيا قبل الآخرة، وأبواب الخير والمعروف كثيرة جدًّا.

أخرج ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٥٤٢٨)، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ، قالَ: قالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «رَأْسُ العَقْلِ بَعْدَ الإِيمَانِ باللَّهِ مُدَارَاةُ النَّاسِ، وَلَنْ يَهْلِكَ رَجُلٌ بَعْدَ مَشُورَةٍ، وَأَهْلُ المَعْرُوفِ فِي الدُّنْيَا هُمْ أَهْلُ المَعْرُوفِ فِي الآخِرَةِ».

وأخرج ابن أبي الدنيا في «اصطناع المعروف» (١٧٦)، عَنِ ابْنِ عُمَرَ قالَ قالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ أَهْلَ المَعْرُوفِ فِي الدُّنْيَا هُمْ أَهْلُ المَعْرُوفِ فِي الآخِرَةِ وَأَهْلُ المُنْكَرِ فِي الدُّنْيَا هُمْ أَهْلُ المُنْكَرِ فِي الآخِرَةِ وَإِنَّ اللَّهَ لَيَبْعَثُ أَهْلَ المَعْرُوفِ يَوْمَ القِيَامَةِ فِي صُورَةِ الرَّجُلِ المُسَافِرِ فَيَأْتِي صَاحِبَهُ إِذَا انْشَقَّ عَنْهُ قَبْرُهُ فَيَمْسَحُ عَنْ وَجْهِهِ التُّرَابَ وَيَقُولُ أَبْشِرْ يَا وَلِيَّ اللَّهِ بِأَمَانِ اللَّهِ وَكَرَامَتِهِ وَلَا يَهُولَنَّكَ مَا تَرَى مِنْ أَهْوَالِ يَوْمِ القِيَامَةِ فَلَا يَزَالُ يَقُولُ لَهُ

احْذَرْ هَذا وَاتّقِ هَذا فَيُسَكِّنُ بذلِك رَوْعَهُ حَتّى يُجَاوِز بِهِ الصِّرَاطَ فإذا جَاوَز الصِّرَاطَ عَدَلَ وَلِيُّ اللّهِ إلى مَنازِلِهِ فِي الجَنّةِ ثمَّ يَلْتَفِتُ عَنْهُ المَعْرُوف فيَتَعَلّق بِهِ فيَقُولُ يَا عَبْدَ اللّهِ مَنْ أنت خذلنِي الخلائِق فِي أهْوَالِ يَوْمِ القِيَامَةِ غيْرُك فمَنْ أنت فيَقُولُ أمَا تعْرِفُنِي فيَقُولُ لا فيَقُولُ أنا المَعْرُوف الّذِي عَمِلتهُ فِي الدُّنْيَا بَعَثَنِي اللّهُ خلقا لِيُجَازِيَك بِهِ فِي يَوْمِ القِيَامَةِ».

وفي «مسند الشهاب» (١٠١)، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، قالَ: قالَ رَسُولُ اللّهِ صلى الله عليه وسلم: «فِعْلُ المَعْرُوفِ يَقِي مَصَارِعَ السُّوءِ»، وفي «مسند الشهاب» (١٠٢)، عَنْ بَهْزِ بْنِ حَكِيمٍ، عَنْ أبيهِ، عَنْ جَدِّهِ، أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قالَ: «صَنائِعُ المَعْرُوفِ تَقِي مَصَارِعَ السُّوءِ، وَإِنَّ صَدَقَةَ السِّرِّ تُطْفِئُ غضبَ الرَّبِّ، وَإِنَّ صِلَةَ الرَّحِمِ تزيدُ فِي العُمُرِ وَتنفِي الفقرَ».

والخيرات التي تصيب صاحب المعروف كثيرة تجمع بين خيري الدنيا والآخرة، أخرج البخاري في " صحيحه"،(٦٥٢)، ومسلم في " صحيحه"،(١٩١٤)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، قالَ: "بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بطَرِيقٍ، وَجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ عَلَى الطَّرِيقِ فأَخَّرَهُ، فشكرَ اللَّهُ لَهُ، فغفرَ لهُ"، وفي "صحيح مسلم"،(١٥٦٣)، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي قتادَة، أَنَّ أَبَا قتادَة، طَلَبَ غريمًا لهُ، فتوَارَى عَنْهُ ثمَّ وَجَدَهُ، فقالَ: إِنِّي مُعْسِرٌ، فقالَ: آللَّهِ؟ قالَ: آللَّهِ؟ قالَ: فإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، يَقُولُ: "مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُنْجِيَهُ اللَّهُ مِنْ كُرَبِ يَوْمِ القِيَامَةِ، فلْيُنْفِسْ عَنْ مُعْسِرٍ، أَوْ يَضَعْ عَنْهُ"، وفي "مسند أحمد"،(٤٧٤٩)، عَنِ ابْنِ عُمَرَ قالَ: قالَ رَسُولُ اللّهِ صلى الله عليه وسلم: "مَنْ أَرَادَ أَنْ تُسْتَجَابَ دَعْوَتُهُ، وَأَنْ تُكشف كُرْبَتُهُ، فلْيُفَرِّجْ عَنْ مُعْسِرٍ"، وفي "سنن ابن ماجه"،(٢٣٨)، عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ، أَنَّ رَسُولَ اللّهِ صلى الله عليه وسلم قالَ: "إِنَّ هَذا الخَيْرَ خزائِنُ، وَلِتِلك الخزائِنِ مَفاتِيحُ، فطُوبَى لِعَبْدٍ جَعَلَهُ اللّهُ مِفتاحًا لِلخَيْرِ، مِغلاقًا لِلشرِّ، وَوَيْلٌ لِعَبْدٍ جَعَلَهُ اللّهُ مِفتاحًا لِلشرِّ، مِغلاقًا لِلخَيْرِ"، وفي "سنن ابن ماجه"،(٢٣٧)، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قالَ: قالَ رَسُولُ اللّهِ صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ مِنَ النَّاسِ مَفاتِيحَ لِلخَيْرِ، مَغالِيق لِلشرِّ، وَإِنَّ مِنَ النَّاسِ مَفاتِيحَ لِلشرِّ مَغالِيق لِلخَيْرِ، فطُوبَى لِمَنْ جَعَلَ اللّهُ مَفاتِيحَ الخَيْرِ عَلَى يَدَيْهِ، وَوَيْلٌ لِمَنْ جَعَلَ اللّهُ مَفاتِيحَ الشرِّ عَلَى يَدَيْهِ".

وفي " سنن ابن ماجه"،(٢٤٢)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قالَ: قالَ رَسُولُ اللّهِ صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ مِمَّا يَلحَقُ المُؤمِنَ مِنْ عَمَلِهِ وَحَسَناتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ عِلمًا عَلَّمَهُ وَنشرَهُ، وَوَلَدًا صَالِحًا تَرَكَهُ، وَمُصْحَفًا وَرَّثَهُ، أَوْ مَسْجِدًا بَناهُ، أَوْ بَيْتًا لِابْنِ السَّبِيلِ بَناهُ، أَوْ نَهْرًا أَجْرَاهُ، أَوْ صَدَقَةً أَخْرَجَهَا مِنْ مَالِهِ فِي صِحَّتِهِ وَحَيَاتِهِ، يَلحَقُهُ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ".

وحتى صنائع المعروف للحيوان مأجورة وأجرها عظيم، حتى إن ذلك الأجر قد يصل لمغفرة الذنوب لمجرد سقيا كلب عطش، أخرج البخاري في "صحيحه"،(٢٤٦٦)، ومسلم في " صحيحه"،(٢٢٢٤)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قالَ: " بَيْنَا رَجُلٌ بطَرِيقٍ، اشْتَدَّ عَلَيْهِ العَطَشُ، فوَجَدَ بِئْرًا، فنزلَ فِيهَا، فشربَ ثمَّ خرَجَ، فإِذا كلبٌ يَلهَثُ، يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ العَطَشِ، فقالَ الرَّجُلُ: لقَدْ بَلَغ هَذا الكلبَ مِنَ العَطَشِ مِثْلُ الَّذِي كانَ بَلَغ مِنِّي، فنزلَ البِئْرَ فمَلأ خُفَّهُ مَاءً، فسَقى الكلبَ، فشكرَ اللَّهُ لهُ فغفرَ لهُ"، قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَإِنَّ لنا فِي البَهَائِمِ لأَجْرًا؟ فقالَ: «فِي كُلِّ ذاتِ كبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ»

هذه الوصية هي دعوة من النبي صلى الله عليه وسلم لعدم الاستهانة بأي عمل خير، مهما كان صغيرًا، فالمعروف لا ينحصر في الأعمال الكبيرة؛ " لا تحقِرَنَّ من المعروف شيئا، ولو أن تلقى أخاك بوجه طَلق".

ومن ذلك ما أخرجه البخاري في " صحيحه"،(٤٥٨)، ومسلم في " صحيحه"،(٩٥٦)، عَنْ أبي هُرَيْرَة، أَنَّ امْرَأَة سَوْدَاءَ كانت تقمُّ المَسْجدَ - أَوْ شابًّا - ففقدَهَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم، فسَأَلَ عَنْهَا - أَوْ عَنْهُ - فقالوا: مَات، قالَ: "أفلا كُنْتُمْ آذنْتُمُونِي" قالَ: فكأنَّهُمْ صَغَّرُوا أَمْرَهَا - أَوْ أَمْرَهُ - فقالَ: "دُلُّونِي عَلى قبْرِهِ" فدَلُّوهُ، فصَلَّى عَلَيْهَا، ثُمَّ قالَ: "إنَّ هَذِهِ القُبُورَ مَمْلُوءَة ظُلمَة عَلى أَهْلِهَا، وَإنَّ اللَّهَ عز وجل يُنَوِّرُهَا لَهُمْ بصَلاتِي عَلَيْهِمْ"[٥٢]

على المسلم أن يعلم أن جنة الرحمن تنال بنفحات الله، وبقيمة العمل عند الله، لا بقيمة العمل عند الناس، أخرج البخاري في " صحيحه"،(٣٣٢١)، ومسلم في " صحيحه"،(٢٢٤٥)، عَنْ أبي هُرَيْرَة، عَنِ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم: "أَنَّ امْرَأَة بَغِيًّا رَأَت كلبًا فِي يَوْمٍ حَارٍّ يُطِيفُ ببئرٍ، قدْ أَدْلعَ لِسَانهُ مِنَ العَطَشِ، فنزَعَت لهُ بمُوقِهَا فغُفِرَ لهَا"، وأخرج الترمذي في "جامعه"،(٢٤٩٤)، عَنْ جَابرٍ، قالَ: قالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: " ثلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ نشرَ اللَّهُ عَلَيْهِ كنفهُ ، وَأَدْخلهُ جَنَّتهُ: رفْق بالضَّعِيفِ، وَشفقة عَلى الوَالِدَيْنِ، وَإحْسَانٌ إلى المَمْلوكِ"، وفي "مسند أحمد"،(٧٥٧٦)، عَنْ أبي هُرَيْرَة: أَنَّ رَجُلًا، شكا إلى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قسْوَة قلبِهِ، فقالَ لهُ: "إنْ أَرَدْت أَنْ يَلِينَ قلبُك، فأَطْعِم المِسْكِينَ، وَامْسَحْ رَأسَ اليَتِيمِ".

وفي «المعجم الأوسط» للطبراني (٦٠٢٦)، عَنِ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فقالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ وَأَيُّ الأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ عز وجل؟ فقالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ، وَأَحَبُّ الأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ سُرُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ، أَوْ تَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا، أَوْ تُطْرَدُ عَنْهُ جُوعًا، وَلأَنْ أَمْشِيَ مَعَ أَخٍ لِي فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي هَذَا المَسْجِدِ، يَعْنِي مَسْجِدَ المَدِينَةِ، شَهْرًا، وَمَنْ كَفَّ غَضَبَهُ سَتَرَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ، وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُمْضِيَهُ أَمْضَاهُ، مَلأَ اللَّهُ عز وجل قَلْبَهُ أَمْنًا يَوْمَ القِيَامَةِ، وَمَنْ مَشَى مَعَ أَخِيهِ فِي حَاجَةٍ حَتَّى أَثْبَتَهَا لَهُ أَثْبَتَ اللَّهُ عز وجل قَدَمَهُ عَلَى الصِّرَاطِ يَوْمَ تَزِلُّ فِيهِ الأَقْدَامُ».

وأخرج المعافى في «الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي» (ص١٧٢)، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، "أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم، فقالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قالَ: أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ، وَإِنَّ مِنْ أَحَبِّ الأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى سُرُورًا يَدْخُلُ عَلَى مُسْلِمٍ، أَوْ يَكْشِفُ عَنْ كُرْبَةٍ أَوْ يَسُدُّ عَنْهُ جُوعًا، وَلأَنْ أَمْشِيَ مَعَ أَخٍ لِي فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ

---

٥٢ - قال الطيبي في: «الكاشف عن حقائق السنن» (٤/ ١٣٩٥):

«قوله: ((تقم المسجد)) ((نه)): أي تكنسه، والقمامة: الكناسة، والمقمة: المكنسة. وقوله: ((قال: فكأنهم صغروا أمرها)) وهو معطوف على ((قال)) الأولي، ومقول أبي هريرة، وفاعله رسول الله صلى الله عليه وسلم. وأما قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إن هذه القبور مملوءة ظلمة)) إلى آخره، فكالأسلوب الحكيم، يعني ليس النظر في الصلاة على الميت إلى حقارته ورفعة شأنه، بل هي بمنزلة الشفاعة له لينور قبره ويخفف من عذابه». انتهى

شهْرَيْن فِي المَسْجدِ، وَمَنْ كفّ غضبَهُ سَترَ اللّهُ عَوْرَتهُ، وَمَنْ كظمَ غيْظهُ وَلوْ شاءَ أنْ يُمْضِيَهُ لأمْضاهُ مَلأ اللّهُ قلبَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ رِضا، وَمَنْ مَشى مَعَ أخٍ لهُ فِي حَاجَةٍ حَتّى يُثبتهَا ثبَّت اللّهُ قدَمَهُ يَوْمَ تزُولُ الأقدَامُ، وَسُوءُ الخُلق يُفسِدُ العَمَلَ كمَا يُفسِدُ الخلُّ العَسَلَ "، قالَ القاضِي: وَفِي هَذا الخبَر ترغيبٌ فِي أنْوَاع من أفعَال الخيْر وأبواب البر وَمَكارم الأخْلاق، وذمٌّ لسوء الخلق وتكريهٌ لهُ، وكل فصل من فُصُول هَذا الخبَر قدْ أتى فِي مَعْناهُ أخْبَار، وَرويت فِي مجالسه آثار عَن النّبيّ صلى الله عليه وسلم وَعَن الصَّحَابَة وَالتّابِعِين....». انتهى

وقد كان صنع المعروف من دأب الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فقد كانوا أعلامًا في صنع المعروف وإسدائه، فهذا إبراهيم خليل الرحمن قد بلغ الدرجات العُلا من صناعته للمعروف، وهذا موسى عليه الصلاة والسلام قد نال أجر صناعة المعروف بسقي المرأتين كما حكى لنا القرآن ذلك؛ يقول المولى تبارك وتعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ (٢٣) فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٣- ٢٤]، فلا تحتقر أي عمل من أعمال المعروف، هَلُمَّ إلى فعل الخير بأشكاله كافة: بأموالكم، وألسنتكم، وأفعالكم، وابتساماتكم، ولا تقللوا من شأن أي عمل؛ لا تعلم أي الأعمال سيكون سببًا في سعادتك ونجاتكم من الفتن والمصائب، والأهوال في الدنيا والآخرة، فمن أعظم ما ينفع العبد في حياته وبعد مماته، ويدفع عنه من السوء ما يعلمه وما لا يعلمه: بذل المعروف للناس، ومحبة الخير لهم، والإحسان إليهم؛ فإن ذلك لا يكون إلا نتاج قلب طيب طاهر يحب الخير للغير، والله تعالى يحب أصحاب القلوب السليمة، الرحماء لخلقه «وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ» ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦] ﴿وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج:٧٧].واصطناع المعروف باب من أبواب فعل الخير، وبذل الإحسان للخلق، والباعث عليه ما في القلب من رحمة الغير؛ ولذا كان بذل المعروف صدقة كما قال النّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ: «كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ» والمعروف كلمة جامعة تجمع بذل الخير والإحسان للناس بالقول أو بالفعل، فمن معروف القوْلُ: طِيبُ الكلامِ، وَالتَّوَدُّدُ بجَمِيلِ اللفظ. وَهَذا يَبْعَثُ عَلَيْهِ حُسْنُ الخُلق وَرِقّةُ الطَّبْع. وَمن معروف الفعل: بَذْلُ الجَاهِ، وَالإسْعَادُ بالنّفسِ، وَالمَعُونةُ فِي النّائِبَةِ، وَهَذا يَبْعَثُ عَلَيْهِ حُبُّ الخيْرِ والصَّلاح لِلنّاسِ، وكلما كان العبد أكثر بذلا للمعروف كان أكثر جنيا لثمراته، وتحصيلا لآثاره التي جمعت خيري الدنيا والآخرة، فمن آثار اصطناع المعروف: استدامة النعم؛ لأن الله تعالى إذا أنعم على عبد نعمة أحب أن يرى أثرها عليه وفي عباده، أخرج ابن أبي الدنيا في «قضاء الحوائج» (0)، عَنِ ابْنِ عُمَرَ قالَ: قالَ رَسُولُ اللّهِ صلى الله عليه وسلم : «إنَّ لِلّهِ قوْمًا يَختصُّهُمْ بالنّعَم لِمَنافِع العِبَادِ، وَيُقِرُّهَا فِيهِمْ مَا بَذلوهَا، فإذا مَنعُوهَا نزعَهَا مِنْهُمْ فحَوَّلهَا إلى غيْرِهِمْ»، فأقوى ما تحفظ به نعم المال والجاه والقوة شكر المنعم عليها، باصطناع المعروف بها، وبذلها لمن يحتاجها، هذا عدا ما يناله من دعاء من بذل لهم معروفه، وصنع فيهم صنيعته، ومن آثار اصطناع المعروف: محبة الناس ودعاؤهم؛ لأن النفوس مجبولة على حب من يتمنى لها الخير،

ويصنع لها المعروف، ويبذل لها ماله وجاهه ووقته ونفسه، أخرج أبوداود في"سننه"،(١٦٧٢)، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، قالَ: قالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "مَن اسْتَعَاذ باللهِ فأعِيذُوهُ، وَمَنْ سَألَ باللهِ فأعْطُوهُ، وَمَنْ دَعَاكُمْ فأجيبُوهُ، وَمَنْ صَنعَ إليْكُمْ مَعْرُوفًا فكافِئُوهُ، فإنْ لَمْ تجدُوا مَا تكافِئُونهُ، فادْعُوا لهُ حَتى ترَوْا أنكُمْ قدْ كافأتُمُوهُ"، وفي «اصطناع المعروف لابن أبي الدنيا» (٢٣)، قالَ العَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ مَا رَأيْتُ رَجُلا قطُّ سَبَق مِنِّي إليْهِ مَعْرُوفٌ إلا أضاءَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ وَمَا رَأيْتُ رَجُلا قطُّ سَبَق مِنِّي إليْهِ سُوءٌ إلا أظْلَمَ مَا بَيْنِي وبينه»، فصنائع المعروف تنشر المودة والسرور، وتقرب القلوب، وتزيل شحناء النفوس، اصطناع المعروف، وإغاثة الملهوف، وإسعاف المكروب؛ وبذل الخير، والسعي في حاجة المحتاج؛ كان فعل الرسل عليهم السلام؛ لأنه من مكارم الأخلاق التي جاءوا بها، ودعوا إليها[٥٣]

القدوة الأولى في صنائع المعروف:

القدوة الأولى في ميدان الخير وصنائع المعروف وإغاثة الملهوف هو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، شهدت بذلك أم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضي الله تعالى عنها بعد أن أخبرها النبي صلى الله عليه وسلم بما حدث له في الغار وقال لها كما في الحديث الذي أخرجه البخاري في " صحيحه"،(٦٩٨٢)، ومسلم في " صحيحه"،(١٦٠)، عَنْ عَائِشة رضي الله عنها، أنَّهَا قالت: أوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مِنَ الوَحْيِ الرُّؤيَا الصَّادِقة فِي النَّوْمِ، فكانَ لا يَرَى رُؤيَا إلا جَاءَت مِثلَ فلقِ الصُّبْحِ، فكانَ يَأتِي حِرَاءً فيَتَحَنَّثُ فِيهِ، وَهُوَ التَّعَبُّدُ، اللَّيَالِيَ ذوَاتِ العَدَدِ، وَيَتزوَّدُ لِذلِكَ، ثمَّ يَرْجِعُ إلى خدِيجَة فتزوِّدُهُ لِمِثلِهَا، حَتى فجئَهُ الحَقُّ وَهُوَ فِي غارِ حِرَاءٍ، فجَاءَهُ المَلَكُ فِيهِ، فقالَ: اقرَأ، فقالَ لهُ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم: " فقلتُ: مَا أنا بقارئٍ، فأخذنِي فغطَّنِي حَتى بَلغ مِنِّي الجَهْدُ، ثمَّ أرْسَلنِي فقالَ: اقرَأ، فقلتُ: مَا أنا بقارئٍ، فأخذنِي فغطَّنِي الثانِيَة حَتى بَلغ مِنِّي الجَهْدُ، ثمَّ أرْسَلنِي فقالَ: اقرَأ، فقلتُ: مَا أنا بقارئٍ، فأخذنِي فغطَّنِي الثالِثة حَتى بَلغ مِنِّي الجَهْدُ، ثمَّ أرْسَلنِي فقالَ: {اقرَأ باسْمِ رَبِّكَ الذِي خلق} [العلق: ١]- حَتى بَلغ - {عَلَّمَ الإنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ} [العلق: ٥] " فرَجَعَ بهَا ترْجُفُ بَوَادِرُهُ، حَتى دَخلَ عَلى خدِيجَة، فقالَ: «زمِّلُونِي زمِّلُونِي» فزمَّلُوهُ حَتى ذهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ، فقالَ: «يَا خدِيجَة، مَا لِي» وَأخبَرَهَا الخبَرَ، وَقالَ: «قدْ خشِيتُ عَلى نفسِي» فقالت لهُ: كلا، أبْشِرْ، فوَاللَّهِ لا يُخزِيكَ اللَّهُ أبَدًا، إنَّك لتصِلُ الرَّحِمَ، وَتصْدُقُ الحَدِيثَ، وَتحْمِلُ الكلَّ، وَتقرِي الضَّيْف، وَتعِينُ عَلى نوَائِبِ الحَقِّ، ثمَّ انطَلقتْ بهِ خدِيجَة حَتى أتتْ بهِ وَرَقة بْنَ نوْفلِ بْنِ أسَدِ بْنِ عَبْدِ العُزَّى بْنِ قُصَيٍّ وَهُوَ ابْنُ عَمِّ خدِيجَة أخُو أبيهَا، وَكانَ امْرَأً تنصَّرَ فِي الجَاهِلِيَّةِ، وَكانَ يَكْتُبُ الكِتَابَ العَرَبيَّ، فيَكْتُبُ بالعَرَبيَّةِ مِنَ الإنْجِيلِ مَا شاءَ اللَّهُ أنْ يَكْتُبَ، وَكانَ شيْخًا كبيرًا قدْ عَمِيَ، فقالت لهُ خدِيجَة: أيْ ابْنَ عَمِّ، اسْمَعْ مِنَ ابْنِ أخِيك، فقالَ وَرَقة: ابْنَ أخِي مَاذا ترَى؟ فأخبَرَ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم مَا رَأى، فقالَ وَرَقة: هَذا النَّامُوسُ الذِي أنزلَ عَلى مُوسَى، يَا ليْتَنِي فِيهَا جَذعًا، أكُونُ حَيًّا حِينَ يُخرِجُك قوْمُك. فقالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم:

---

٥٣ - صنائع المعروف تقي مصارع السوء، د. الحقيل، الألوكة.

«أَوَمُخرِجيَّ هُمْ» فقالَ وَرَقة: نعَمْ، لمْ يَأتِ رَجُلٌ قطُّ بمِثلِ مَا جئت بهِ إلا عُودِيَ، وَإنْ يُدْركنِي يَوْمُك أنْصُرْك نصْرًا مُؤزَرًا، ثمَّ لمْ يَنشبْ وَرَقة أنْ تُوُفِّيَ، وَفترَ الوَحْيُ فترَة حَتى حَزِنَ النَّبي صلى الله عليه وسلم، فِيمَا بَلغنا، حُزْنًا غدَا مِنْهُ مِرَارًا كي يَتردَّى مِنْ رُءُوسِ شوَاهِقِ الجبَالِ، فكُلمَا أوْفى بذِرْوَةِ جَبَلٍ لِكيْ يُلقِيَ مِنْهُ نفسَهُ تبَدَّى لهُ جبْرِيلُ، فقالَ: يَا مُحَمَّدُ، إنَّك رَسُولُ اللَّهِ حَقًا، فيَسْكُنُ لِذلِك جَأشُهُ، وَتقِرُّ نفسُهُ، فيَرْجعُ، فإذا طَالتْ عَلَيْهِ فترَة الوَحْيِ غدَا لِمِثلِ ذلِك، فإذا أوْفى بذِرْوَةِ جَبَلٍ تبَدَّى لهُ جبْرِيلُ فقالَ لهُ مِثلَ ذلِك قالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: {فالِقِ الإصْبَاحِ} [الأنعام: ٩٦]: «ضوْءُ الشمْسِ بالنهَارِ، وَضوْءُ القمَرِ باللَّيْلِ».

أخرج البخاري في " صحيحه"،(٦٠٣٣)، ومسلم في " صحيحه"،(٢٣٠٧)، عَنْ أنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قالَ: "كانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أحْسَنَ النَّاسِ، وَكانَ أجْوَدَ النَّاسِ، وَكانَ أشْجَعَ النَّاسِ"، وَلقدْ فزِعَ أهْلُ المَدِينةِ ذات ليْلةٍ، فانْطَلق ناسٌ قِبَلَ الصَّوْتِ، فتلقاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم رَاجعًا، وَقدْ سَبَقهُمْ إلى الصَّوْتِ، وَهُوَ عَلى فرَسٍ لِأبي طَلحَة عُرْيٍ، فِي عُنُقِهِ السَّيْفُ وَهُوَ يَقُولُ: "لمْ تُرَاعُوا، لمْ تُرَاعُوا" قالَ: "وَجَدْناهُ بَحْرًا، أوْ إنَّهُ لبَحْرٌ" قالَ: وَكانَ فرَسًا يُبَطَّأ.

وهكذا نرى أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يتأخر عن نجدة الناس في وقت الفزع والخوف بل كان أسرعهم على فرس عريٍّ إلى موقع الحدث وعاد ليؤمِّنهُم من فزعهم وخوفهم، وكذلك كان على الدوام؛ أقرب الناس إلى مظنات الأخطار ليحميَهم ويسدَّ عنهم الثغرات،

أخرج الحاكم في «المستدرك على الصحيحين» (٢٦٦٣)، عَنْ عَلِيٍّ قالَ: كُنَّا إذا حَمِيَ البَأسُ، وَلقِيَ القوْمُ القوْمَ، اتقيْنا برَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فلا يَكونُ أحَدٌ مِنَّا أدْنى إلى القوْمِ مِنْهُ»، وأخرج أحمد في " المسند"،(٦٥٤)، عَنْ عَلِيٍّ، قالَ: لقدْ "رَأيْتنا يَوْمَ بَدْرٍ وَنحْنُ نلوذُ برَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، وَهُوَ أقرَبُنا إلى العَدُوِّ، وَكانَ مِنْ أشدِّ النَّاسِ يَوْمَئِذٍ بَأسًا".

قال الغزالي في «إحياء علوم الدين» (٢/ ٣٨٠):

«كان صلى الله عليه وسلم أنجد النَّاسِ وَأشْجَعَهُمْ، قيل وكان صلى الله عليه وسلم قليل الكلام قليل الحديث فإذا أمر الناس بالقتال تشمر وكان من أشد الناس بأسا، وكان الشجاع هو الذي يقرب منه في الحرب لقربه من العدو، وقال عمران بن حصين ما لقى رسول الله صلى الله عليه وسلم كتيبة إلا كان أول من يضرب وقالوا كان قوي البطش وَلمَّا غشِيَهُ المُشركُونَ نزلَ عَنْ بَغلتِهِ فجَعَلَ يَقولُ أنا النَّبيُّ لا كذِبْ أنا ابْنُ عبد المطلب فما رؤي يومئذ أحد كان أشد منه، كانَ صلى الله عليه وسلم أشدَّ النَّاسِ تواضعا في علو منصبه، قال ابن عامر رأيته يرمي الجمرة على ناقة شهباء لا ضرب ولا طرد ولا إليك إليك وَكانَ يَرْكبُ الحِمَارَ مُوكفًا عَلَيْهِ قطِيفةٌ وَكانَ مع ذلك يسترذف وكان يعود المَرِيض وَيَتْبَعُ الجنازة وَيُجيبُ دَعْوَة المَمْلوكِ وَيَخصِفُ النَّعْلَ وَيُرَقِّعُ الثَّوْبَ وَكانَ يَصْنعُ فِي بَيْتِهِ مَعَ أهْلِهِ فِي حَاجَتِهِمْ وَكانَ أصْحَابُهُ لا يَقُومُونَ لهُ لِمَا عَرَفُوا مِنْ كرَاهَتِهِ لِذلِك وكان يمر على الصبيان فيسلم عليهم وأتى صلى الله عليه وسلم برجل فأرعد من هيبته فقال له هون عليك فلست بملك إنما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد وَكانَ يَجْلِسُ بَيْنَ أصْحَابِهِ مُختلِطًا بهِمْ كأنَّهُ أحَدُهُمْ فيَأتِي

الغريبُ فلا يَدْري أيُّهُمْ هُوَ حتى يسأل عنه حتى طلبوا إليه أن يجلس مجلسا يعرفه الغريب فبنوا له دكانا من طين فكان يجلس عليه وقالت له عائشة رضي الله عنها كل جعلني الله فداك متكئا فإنه أهون عليك قال فأصغى رأسه حتى كاد أن تصيب جبهته الأرض ثم قال بل آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد وكان لا يأكل على خوان ولا في سكرجة حتى لحق بالله تعالى وكان لا يدعوه أحد من أصحابه وغيرهم إلا قال لبيك وَكانَ إذا جَلَسَ مَعَ النَّاسِ إنْ تكلَّمُوا فِي مَعْنى الآخِرَةِ أخذ مَعَهُمْ وَإنْ تحَدَّثوا في طعام أو شراب تحدث معهم وإن تكلموا في الدنيا تحَدَّث مَعَهُمْ رفقا بهمْ وَتوَاضُعًا لهُمْ وَكانُوا يَتناشدُونَ الشِّعْرَ بَيْنَ يَدَيْهِ أحْيَانًا وَيَذكُرُونَ أشْيَاءَ من أمر الجاهلية ويضحكون فتبسم هُوَ إذا ضحِكوا وَلا يَزْجُرُهُمْ إلا عَنْ حرام..". انتهى

وهذا درسٌ من أعظم الدروس لكل قائدٍ أيا كان موقعه وفي أيِّ مجال أن يبدأ بنفسه ليكون قدوةً في باب الشهامة والإقدام.

وكان صلى الله عليه وسلم يبين لأصحابه أن إغاثة ذي الحاجة الملهوف من أكرم الأعمال وأجلّ القربات وصدقة من الصدقات، ففي " صحيح ابن حبان"،(٣٣٧٧)، عَنْ أَبِي ذَرٍّ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قالَ: "لَيْسَ مِنْ نفسِ ابْنِ آدَمَ إلا عَلَيْهَا صَدَقَةٌ فِي كُلِّ يَوْمٍ طَلَعَتْ فِيهِ الشَّمْسُ"، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمِنْ أَيْنَ لنا صَدَقَةٌ نتصَدَّقُ بِهَا؟، فقالَ: "إنَّ أَبْوَابَ الخَيْرِ لكَثِيرَةٌ: التَّسْبِيحُ، وَالتَّحْمِيدُ، وَالتَّكبِيرُ، وَالتَّهْلِيلُ، وَالأَمْرُ بالمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ المُنكَرِ، وَتَمِيطُ الأذى عَنِ الطَّرِيقِ، وَتُسْمِعُ الأَصَمَّ، وَتَهْدِي الأَعْمَى، وَتَدُلُّ المُسْتَدِلَّ عَلَى حَاجَتِهِ، وَتَسْعَى بِشِدَّةِ سَاقَيْكَ مَعَ اللَّهْفَانِ المُسْتَغِيثِ، وَتَحْمِلُ بِشِدَّةِ ذِرَاعَيْكَ مَعَ الضَّعِيفِ، فَهَذا كُلُّهُ صَدَقَةٌ مِنْكَ عَلَى نفسِكَ".

وجعل النبي صلى الله عليه إغاثة الملهوف من حق الطريق، ففي "مسند أحمد"، (١٨٤٨٤)، عَنِ البَرَاءِ، قالَ: مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، عَلَى مَجْلِسٍ مِنَ الأَنْصَارِ فقالَ: «إنْ أَبَيْتُمْ إلا أنْ تَجْلِسُوا، فاهْدُوا السَّبِيلَ، وَرُدُّوا السَّلامَ، وَأَعِينُوا المَظْلُومَ».

وفي " مسند أحمد"، (٢١٤٨٤)، عَنْ أَبِي سَلامٍ، قالَ أَبُو ذَرٍّ: عَلَى كُلِّ نفسٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ طَلَعَتْ فِيهِ الشَّمْسُ صَدَقَةٌ مِنْهُ عَلَى نفسِهِ. قُلتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مِنْ أَيْنَ أَتَصَدَّقُ وَلَيْسَ لنا أَمْوَالٌ؟ قالَ: «لِأَنَّ مِنْ أَبْوَابِ الصَّدَقَةِ التَّكبِيرَ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ، وَالحَمْدُ لِلَّهِ، وَلا إلَهَ إلا اللَّهُ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ، وَتَأْمُرُ بالمَعْرُوفِ، وَتَنْهَى عَنِ المُنكَرِ، وَتَعْزِلُ الشَّوْكَةَ عَنْ طَرِيقِ النَّاسِ وَالعَظْمَ وَالحَجَرَ، وَتَهْدِي الأَعْمَى، وَتُسْمِعُ الأَصَمَّ وَالأَبْكَمَ حَتَّى يَفْقَهَ، وَتَدُلُّ المُسْتَدِلَّ عَلَى حَاجَةٍ لَهُ قَدْ عَلِمْتَ مَكَانَهَا، وَتَسْعَى بِشِدَّةِ سَاقَيْكَ إلَى اللَّهْفَانِ المُسْتَغِيثِ، وَتَرْفَعُ بِشِدَّةِ ذِرَاعَيْكَ مَعَ الضَّعِيفِ، كُلُّ ذَلِكَ مِنْ أَبْوَابِ الصَّدَقَةِ مِنْكَ عَلَى نفسِكَ، وَلَكَ فِي جِمَاعِكَ زَوْجَتَكَ أَجْرٌ» قالَ أَبُو ذَرٍّ: كَيْفَ يَكُونُ لِي أَجْرٌ فِي شَهْوَتِي؟ فقالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ لَكَ وَلَدٌ فأَدْرَكَ وَرَجَوْتَ خَيْرَهُ فمَاتَ، أَكُنْتَ تَحْتَسِبُ بِهِ؟» قُلتُ: نَعَمْ قالَ: «فأَنْتَ خَلَقْتَهُ؟» قالَ: بَلِ اللَّهُ خَلَقَهُ. قالَ: «فأَنْتَ هَدَيْتَهُ؟» قالَ: بَلِ اللَّهُ هَدَاهُ قالَ: «فأَنْتَ تَرْزُقُهُ؟» قالَ: بَلِ اللَّهُ كَانَ

يَرْزُقُهُ. قالَ: «كذلِك فضعْهُ فِي حَلالِهِ وَجَنِّبْهُ حَرَامَهُ، فإنْ شاءَ اللَّهُ أحْيَاهُ، وَإنْ شاءَ أمَاتهُ، وَلك أجْرٌ»[٥٤].

مروءة الصِّدِّيق نبي الله يوسف والكليم نبي الله موسى عليهما الصلاة والسلام:

موقف سيدنا يوسف الصدِّيق عليه السلام الذي سارع بتأويل منامِ الملكِ وبلا أجرةٍ ولم يساوم في حريته من السجن وهو المظلوم منذ بضع سنين، وكان رده فوريا للعبد الذي وفد من الملكِ يسألهُ بقوله: ﴿ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴾ [يوسف ٤٦-٤٩]، لقد كان تأويل الصدِّيق يوسف عليه السلام كطوق النجاة للبلاد والعباد، ويعد من باب إغاثة الملهوف في باب التعبير والرؤيا، ويُدْهَش الملك من التأويل ويطلب يوسف عليه السلام لكنه أبى أن يخرج من باب العفو الملكي وطلب تحقيقا جديدا في قصة امرأة العزيز ونسوة الوزراء، قال الله تعالى: ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴾ [يوسف:٥٠]، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم كما في الحديث الذي أخرجه البخاري في "صحيحه"،(٤٦٩٤)، ومسلم في " صحيحه"،(١٥١)،عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: " نَحْنُ أَحَقُّ بِالشَّكِّ مِنْ إِبْرَاهِيمَ صلى الله عليه وسلم إِذْ قَالَ: {رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ: أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي} [البقرة: ٢٦٠] "، قالَ: "وَيَرْحَمُ اللَّهُ لُوطًا لَقَدْ كَانَ يَأْوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ، وَلَوْ لَبِثْتُ فِي السِّجْنِ طُولَ لَبْثِ يُوسُفَ لَأَجَبْتُ الدَّاعِيَ"، وتجلت المروءة وصُنْعُ المعروفِ من سيدنا موسى الكليم عليه السلام حينما سقى للبنتين وبلا أجرة مع أنه كان في شدة الحاجة مفتقرٌ إلى عطاءِ الله وفضله، قال الله تعالى عنه: ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ [القصص ٢٣ - ٢٤]، قالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: وَكَانَ قَدْ بَلَغَ بِهِ الْجُوعُ، وَاخْضَرَّ لَوْنُهُ مِنْ أَكْلِ الْبَقْلِ فِي بَطْنِهِ، وَإِنَّهُ لَأَكْرَمُ الْخَلْقِ عَلَى اللَّهِ، وَيُرْوَى أَنَّهُ لَمْ يَصِلْ إِلَى مَدْيَنَ حَتَّى سَقَطَ بَاطِنُ قَدَمَيْهِ. وَفِي هَذَا مُعْتَبَرٌ وَإِشْعَارٌ بِهَوَانِ الدُّنْيَا عَلَى اللَّهِ وَقَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ طَاهِرٍ فِي قَوْلِهِ:"إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ" أَيْ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ مِنْ فَضْلِكَ وَغِنَاكَ فَقِيرٌ إِلَى أَنْ تُغْنِيَنِي بِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ»[٥٤]، ووافاه فضل الله بعد ذلك حينما رجعت إليه إحدى البنتين قائلة: ﴿ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ﴾ [القصص: ٢٥]، فقد أغاثهما موسى عليه السلام بلا مقابل ولم يطلب أي

٥٤ - ينظر: «الجامع لأحكام القرآن» القرطبي (١٣/ ٢٧٠)

شيء بل إنه تولى عنهما بعد أن أدى واجبه، وهذا دأبُهُ ودَأبُ الأنبياء والصالحين، قال الله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ﴾ [الأنبياء:٧٣][٥٥]

ومن مواقف أمير المؤمنين الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه النابضة بالشهامة والمروءة ما جاء في "صحيح البخاري"،(٤١٦٠)، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: خَرَجْتُ مَعَ عُمَرَ بْنِ الخَطَّاب رضي الله عنه إِلَى السُّوقِ، فَلَحِقَتْ عُمَرَ امْرَأَةٌ شَابَّةٌ، فَقَالَتْ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، هَلَكَ زَوْجِي وَتَرَكَ صِبْيَةً صِغَارًا، وَاللَّهِ مَا يُنْضِجُونَ كُرَاعًا، وَلَا لَهُمْ زَرْعٌ وَلَا ضَرْعٌ، وَخَشِيتُ أَنْ تَأْكُلَهُمُ الضَّبُعُ، وَأَنَا بِنْتُ خُفَافِ بْنِ إِيمَاءَ الغِفَارِيِّ، «وَقَدْ شَهِدَ أَبِي الحُدَيْبِيَةَ مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم». فَوَقَفَ مَعَهَا عُمَرُ وَلَمْ يَمْضِ، ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِنَسَبٍ قَرِيبٍ، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى بَعِيرٍ ظَهِيرٍ كَانَ مَرْبُوطًا فِي الدَّارِ، فَحَمَلَ عَلَيْهِ غِرَارَتَيْنِ مَلَأَهُمَا طَعَامًا، وَحَمَلَ بَيْنَهُمَا نَفَقَةً وَثِيَابًا، ثُمَّ نَاوَلَهَا بِخِطَامِهِ، ثُمَّ قَالَ: اقْتَادِيهِ، فَلَنْ يَفْنَى حَتَّى يَأْتِيَكُمُ اللَّهُ بِخَيْرٍ، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، أَكْثَرْتَ لَهَا؟ قَالَ عُمَرُ: ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرَى أَبَا هَذِهِ وَأَخَاهَا، قَدْ حَاصَرَا حِصْنًا زَمَانًا فَافْتَتَحَاهُ، ثُمَّ أَصْبَحْنَا نَسْتَفِيءُ سُهْمَانَهُمَا فِيهِ.

وسار سلف الأمة على الهدي النبوي في بذل المعروف، ونفع الناس[٥٦]

إن هذا الحديث الشريف لا يقتصر على كونه توجيها أخلاقيا، بل هو دعوة صريحة إلى الإيجابية والفاعلية في الحياة، إنه يربي في نفس المسلم حس المبادرة، ويجعله يبحث عن فرص الخير في كل تفاصيل يومه، مدركا أن كل حركة وسكنة يمكن أن تتحول إلى عبادة وقربة إذا صحت النية وصلح القصد، وأن الصدقة لا تنحصر في المال، بل تشمل كل فعل فيه نفع للناس، كالبشاشة، والمساعدة، والأمر بالمعروف، مما يوسع مفهوم العطاء ليشمل كل تفاصيل الحياة[٥٧]

وختاما، فإن بذل المعروف ليس مجرد سلوك فردي، بل هو أساس تماسك المجتمعات ورقيها، فبانتشار المعروف، تسود المحبة، وتزول الأحقاد، ويشعر كل فرد بقيمته وأهميته، وتتحول الحياة إلى رحلة عطاء متبادل، يكون فيها الجميع باذلا للخير ومستقبلا له، فما أروع هذا الدين الذي جعل من كل معروفٍ صدقة، ومن كل إحسانٍ قربة، ومن كل حياةٍ فرصة للعطاء والبناء، فليس فعل الخير عملا سطحيا أو عملا إحسانيا عابرا، بل هو انعكاس دقيق للمشاعر الإنسانية الحقيقية والفهم الوجودي، إنه دليل على ذلك الوعي الراسخ الذي يُدرك أننا جميعا أجزاء من كل واحد، وأن الخير المتبادل هو اللبنة الأساسية في بناء مجتمعات متماسكة، وفي زمنٍ تسود فيه مظاهر الانعزال والانكفاء الذاتي، يصبح بث ثقافة المعروف وسيلة فاعلة لإحياء الروح الجماعية، وإعادة بناء جسور التواصل والإنسانية بين الناس.

إن التربية في الإسلام تهدف إلى تزكية النفس ولكن لا تقتصر على تزكية النفس فحسب، بل تمتد إلى تنمية الجانب الخُلقي والاجتماعي، وتحفيز الفرد على بذل المعروف، ومساعدة

---

٥٥ - فَضْلُ صَنَائِعِ المَعْرُوفِ وإِغَاثَةِ المَلْهُوفِ، الألوكة.

٥٦ - صنائع المعروف تقي مصارع السوء، د. الحقيل.

٥٧ - ينظر: "منحة العلام في شرح بلوغ المرام"، (١٠، ١١٧)

الآخرين، لأن في ذلك صلة بالله، وقربة إليه، وخدمة للمجتمع، ولكن هذه التزكية لا تقبل ما لم تترجم إلى سلوك خُلقي وإنساني، بل يجب أن تنعكس في السلوك، وتظهر في المعاملات مع الناس كالإحسان، ومساعدة المحتاج، وصلة الرحم، لأن الدين كله معاملة[٥٨] الدين الإسلامي لم يُفرّق بين عبادة الله ومعاملة الناس، فالإحسان إلى الناس جزء من التزكية، بل هو تجليها الحقيقي في الحياة ويجعل من الإحسان إلى الخلق تعبيرًا حقيقيًا عن التزكية [٥٩] والتزكية حركة مستمرة نحو الإحسان، والتكامل الفردي لا يتم إلا من خلال الانخراط في خدمة المجتمع، باعتبار الإنسان خليفة الله في أرضه، والإسلام لا يكتفي بتطهير النفس، بل يمدها بالعمل الصالح، ويدفعها إلى الإحسان إلى الناس، وخدمة المجتمع، لأن في ذلك تكاملًا للفرد، واستخلافًا له في الأرض[٦٠] والإحسان في الإسلام ليس مجرد فعل عابر، بل هو أسلوب حياة، ووسيلة لبناء المجتمع، وطريق إلى رضا الله، وقد جُعل في كل معروف صدقة، ليدل على أن الإسلام يُعلي من قيمة بذل المعروف ويجعلها من أكمل العبادات والإحسان في التربية الإسلامية ليس مجرد فعل خيري، بل هو أسلوب حياة، يُربّي الفرد على الاستمرارية في الخير، ويشكل وعيه بالانتماء إلى مجتمع المؤمنين، ويعزز الترابط بين أفراده[٦١]

٤- شمولية الدين الإسلامي:

يمثّل الحديث النبوي الشريف: "كل معروف صدقة" مدخلًا تربويًا عميقًا **يُبرز** شمولية الدين الإسلامي في رؤيته للسلوك الإنساني، حيث يُوسّع مفهوم الصدقة ليشمل كل فعل نافع، وكل خلق حسن، وكل معروف يُقدّمه الإنسان للآخرين، حيث يُحوّل كل فعل إيجابي – مهما بدا بسيطًا – إلى عبادة تربوية، مما يجعل الدين الإسلامي نظامًا متكاملًا يُخاطب القلب والعقل والسلوك، ويُربي الإنسان ليكون فاعلًا في مجتمعه، مسؤولًا عن أثره، وممتثلًا للقيم في كل مقام شمولية الدين الإسلامي ليست مجرد خاصية نظرية، بل هي واقع تربوي وسلوكي يُترجم في حياة المسلم اليومية، ويُحوّل كل فعل نافع إلى صدقة، وكل خلق حسن إلى عبادة يُربّي الإنسان على أن يكون مصدر خير دائم، وأن يُمارس الفضيلة في كل موقف، مما يجعل الدين الإسلامي دينًا حيًّا، شاملًا، ومؤثرًا في بناء الفرد والمجتمع على حدّ سواء، إن توسيع مفهوم الصدقة ليشمل كل معروف، هو تربوية إسلامية عظيمة، تُربّي الفرد على أن

---

٥٨ - ينظر: "التربية في الإسلام"، (ص١٠٤)

٥٩ - ينظر: "التربية الإسلامية: نظريتها وتطبيقاتها"، (ص١٣٨)

٦٠ - ينظر: "الفكر التربوي في الإسلام"، (ص١٧٦- ١٧٨)، و"التربية في الإسلام"، (ص١٤٣)

٦١ - ينظر: "الفكر التربوي في الإسلام"، (ص٢١٠)، و"التربية الإسلامية: نظريتها وتطبيقاتها"، (ص٢٩٥)

يكون دائم العطاء، وأن يُحوّل سلوكه اليومي إلى وسيلة للتزكية وبناء المجتمع، مما يجعل الدين الإسلامي دين حياة، لا مجرد شعائر[٦٢]

ومن هنا يُستنبط أن الإسلام **بنظامه التربوي والتشريعي** يشكّل منهجًا شاملًا لكل مجالات الحياة، حيث لا يقتصر على العبادات، بل يتعداها إلى تنظيم العلاقات، وبناء الإنسان، وتوجيه سلوكه في كل الأحوال ولا يقتصر على الشعائر التعبدية، بل يمتد ليشمل تفاصيل الحياة اليومية، ويُوجّهها نحو الخير العام، مما يُؤكّد شموليته في التشريع، والتربية، وبناء الإنسان والمجتمع، فهو إيمان وعمل، عقيدة وشريعة، عبادة ومعاملة، فكر وعاطفة، أخلاق وعمران[٦٣] الإسلام دين يعتني بالإنسان في كل أحواله، في عبادته، ومعاملاته، وأخلاقه، وسلوكه، ويقدّم له التوجيه في كل ما يواجهه من مواقف حياتية[٦٤] يربّي الإنسان على أن يكون نافعًا في كل حال، ويحوّل العادات إلى عبادات، والمعاملات إلى قربات، ويجعل من المعروف اليومي وسيلة للتزكية وبناء المجتمع وهذا يُربّي الفرد على التزكية اليومية، ويبني مجتمعًا متعاونًا[٦٥] يُحوّل المنهج الإسلامي العادة إلى عبادة بالنية، والمعاملة إلى قربة بالصدق، ويجعل من أبسط أفعال الحياة وسيلة لتطهير النفس، وبناء المجتمع، فكل معروف صدقة، وكل خطوة في الخير حسنة، وهكذا يُربّى الفرد على النفع العام، ويُبنى مجتمع التكافل والرحمة[٦٦] يُربّي الإسلام المسلم على أن يكون عضوًا فعّالًا نافعًا، لا سلبيًا متفرجًا، ويعمل على تحويل عاداته اليومية إلى عبادات، ومعاملاته إلى قربات، من خلال تزكية النية، فيُصبح أكله وشربه وعمله عبادة، وكل معروف يُقدمه صدقة، وهكذا تتكامل عملية التزكية مع بناء المجتمع[٦٧] فالعبادة ليست في المسجد وحده، بل في السوق، وفي البيت، وفي الطريق، فبإحسانك إلى الناس، وتبسيط وجهك لهم، ومساعدتك لهم، تُؤدي صدقاتك، وتُزكّي نفسك، وتبني مجتمعك[٦٨]

الشريعة جاءت شاملة لشعب الحياة كلها، في العقيدة وما يتصل بها من عالم الغيب، وفي العبادات وكيفيتها وتفصيلها، وفي المعاملات اللازمة لحياة الجماعة في تبادل المنافع، وفي حياة الأسرة منذ تكوين نواتها الأولى في بناء الحياة الزوجية، وما يتلو ذلك من عشرة ولد،

---

٦٢ - ينظر: "وظيفة الصدقة في التزكية الاجتماعية"، (ص٤٧)

٦٣ - ينظر: "شمولية الإسلام"، (ص ٣)

٦٤ - ينظر: "مقاصد الشريعة الإسلامية"، (ص ٤٥)

٦٥ - يراجع: "موقف الإسلام من الظواهر النفسية"، (ص ٧٧)، و" أسس التربية الإسلامية"، (ص ١٣٣)

٦٦ - ينظر: "مقاصد الشريعة في التزكية"، (ص١١٢)

٦٧ - ينظر: "الإحسان في الإسلام وأثره في بناء المجتمع"، (ص ٦٧)

٦٨ - ينظر: "الأسس التربوية في السنة النبوية"، (ص٨٩)

وفي شئون الحكم وأسسه وتبعاته، وواجبات كل من الراعي والرعية، وفي القضايا المالية والاقتصادية والإدارية، وفي حالات الحرب والسلم، والعلاقات مع غير المسلمين، وفي الحياة الخاصة للفرد بالأكل والشرب واللباس والكلام ونحو ذلك، فما من ناحية من هذه النواحي إلا وتناولتها الشريعة الإسلامية في القرآن والحديث بالنص أو الفحوى، وأوضحت فيها الخير من الشر، والطيب من الخبيث، والصحيح من الفاسد، في صورة كاملة لنظام الحياة في الإسلام الذي يجب أن يقوم على فعل الحسنات وتنميتها، وتجنب السيئات والعمل على استئصالها.

الشريعة كل لا يقبل التجزئة: وهذا المنهج التشريعي لفروع الحياة الإنسانية بكافة صورها، يمثل وحدة متكاملة لا تقبل التجزئة، هذه الوحدة هي التي تسمي "إسلاما" فلا يجوز أن يأخذ الناس بعض هذه الشريعة دون بعض، لأن جوانبها المختلفة هي التي تكون بمجموعها "دين الله" والأخذ بجزء دون آخر يخل بهذه الشريعة، ويشوه حقيقتها، والمجتمعات التي تنتسب إلى الإسلام، وتعمل بجانب منه وتترك جوانب أخرى، لا يتحمل الإسلام أوزارها ومفاسدها فالإسلام: عقيدة وعبادة، وخلق وتشريع ومنهج حياة.

العقيدة الإسلامية هي الأمور التي يجب أن يصدق بها قلبك، وتطمئن إليها نفسك، والشريعة الإسلامية هي النُّظم التي شرعها الله، ليأخذ الإنسان بها نفسه في علاقته بربه، وبالناس، وبالكون[٦٩]

يمكن إجمال الأحكام الواردة بالقرآن والسنة في الأبواب الآتية:

١- الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، وما يتبع ذلك من الإيمان بالغيب والبعث والحشر والحساب والجزاء، والجنة والنار، ويسمى هذا بالعقائد.

٢- الأحكام المتعلقة بصلة العبد بربه في عبادته لله وحده، وتشمل: الصلاة والزكاة، والصوم والحج، وما يتعلق بها من شروط وأركان وواجبات، ومندوبات وتسمى العبادات.

٣- الأحكام المتعلقة بنظام الأسرة، وحياة البيت، وتتناول: النكاح، والصداق، والخلع، والطلاق، وحقوق الحياة الزوجية، والرضاع، والنفقات، والمواريث، ولواحق هذا كله، ويسميها الناس اليوم: الأحوال الشخصية.

---

٦٩ - الإسلام عقيدة ونظام، د. عبد الغني، شبكة الألوكة.

٤- الأحكام المتعلقة بتعامل الناس بعضهم مع بعض، ومعاوضاتهم المالية، كالبيع، والربا، والسلم، والقرض، والرهن، والكفالة، والوكالة، والشركة، والمزرعة، والإجارة، والغصب، والشفعة، ومبادئ الإسلام في النظام الاقتصادي، وإحياء الموات وتسمى: "المعاملات".

٥- الأحكام المتعلقة بنظام الحكم وسياسة الوالي مع الرعية، وحقوق كل وواجباته، كالإمامة والوزارة، والولاية، والقضاء، ونحو ذلك، وتسمى "الأحكام السلطانية" أو "السياسة الشرعية".

٦- الأحكام المتعلقة بمؤاخذة المجرمين، وتتناول: القصاص، والديات، والحدود، والتعزيرات، وتسمى "العقوبات".

٧- الأحكام المتعلقة بصلة الدولة الإسلامية بغيرها في: السلم، والحرب، والأمان، والهدنة، والقتال، والغنائم، وهي المعروفة في الإسلام بباب "الجهاد والسير" وتسمى في اصطلاح القانون: الحقوق الدولية.

٨ - الأحكام المتعلقة بالطعام والشراب واللباس، وما أحل الإسلام من ذلك وما نهى عنه، والأصل في ذلك أنه من المباحات.

٩- الآداب الاجتماعية والفضائل الأخلاقية، كآداب المناجاة، وآداب المجلس، والزيارة، والسلام، والاستئذان، والأكل، والشرب، والحث على مكارم الأخلاق، كالتواضع، والحلم والصبر، والصدق، والحياء، والتعاون، والأمانة، وحقوق الجار، وإكرام الضيف، وتراحم المسلمين، والنهي عن الرذائل، وهذا يسمى "الأخلاق".

تهدف الشريعة الإسلامية إلى تأسيس الحياة الإنسانية على المعروف، وتجنبها للمنكر، والمعروف، هو: الخير الذي يوافق {فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا}، وعرف في الشرع حسنه، والمنكر، هو: الذي ينافي هذه الفطرة، وعرف بالشرع قبحه ولا تكتفي الشريعة الإسلامية ببيان المعروف وتعداد أنواعه، ولكنها ترسم للإنسانية، منهاج الحياة المتكامل على وجه ينمي فيها المكارم والفضائل، ويبعث فيها روح الخير، ويساعدها على النماء والرقي، ويجب إليها فعل المعروف بكافة صوره كما لا تكتفي بالنهي عن المنكر وبيان الرذائل، وإنما توضح مضارها، وتحذر من اقترافها حتى يصير المجتمع المسلم مجتمعاً فاضلاً نظيفاً[٧٠]

تُعد **شمولية الدين الإسلامي** من أبرز خصائصه التربوية والتشريعية ومن دلائل شمولية الإسلام أنه لم يترك صغيرة ولا كبيرة في حياة الإنسان إلا وبيّن حكمها، حتى جعل التبسم في

---

٧٠ - ينظر: «تاريخ التشريع الإسلامي» (ص١٣٢-١٣٥)

وجه الآخر صدقة، والكلمة الطيبة عبادة، مما يدل على أن الأخلاق جزء لا يتجزأ من الدين[٧١] شمولية الإسلام تتجلّى في الزمان والمكان والإنسان والأحكام، حيث تناولت أحكام الإسلام جميع شؤون الحياة، فهو يخاطب الإنسان في جميع مراحل حياته، ويحكم جميع علاقاته بربه وبنفسه وبغيره[٧٢] دين شامل، لا يقتصر على العبادات، بل يشمل الأخلاق والمعاملات والتشريعات، ويُقدّم نظامًا متكاملًا للحياة الفردية والجماعية، وشمولية الإسلام تتجلّى في كونه نظامًا يربط بين العقيدة والسلوك، ويُقدّم حلولًا تربوية واجتماعية واقتصادية، ويُوجّه الإنسان نحو الخير في كل حال[٧٣] ومن خصائص الإسلام أنه يخاطب الإنسان في جميع مراحل حياته، ويحكم جميع علاقاته بربه وبنفسه وبغيره، ويصلح لكل مجتمع وزمان ومكان، ومنهج الإسلام في بناء الفرد والمجتمع يقوم على شمولية التوجيه، حيث يُرسي قواعد الإيمان، ويُهذّب السلوك، ويُنمّي العقل، ويُرسّخ الأخوة والعدل والتكافل[٧٤]

إن الدين في المفهوم الإسلامي هو النظام العام أو المنهج الذي يحكم الحياة، نشاط الإنسان كله عبادة الله، ما دام متجها به إلى الله، فكل عمل أو فكر أو سلوك يقوم به الإنسان في ليل أو نهار، يبتغي به وجه الله، فهو عبادة لله، فالعبادة في الإسلام تشمل الشعائر والشرائع معاً، وعلى هذا، فكل هدف يقصد من ورائه تدريب المربين على تعلم شعيرة أو تشريع، أو مهارة، أو فكرة، أو اتجاه، فهو هدف ديني، ما دام القصد هو إقدار المتعلم والمتربي على المساهمة في عمارة الأرض وترقيتها بإيجابية وفاعلية وفق منهج الله، وإذا كان الشمول يعني كل جوانب النشاط الإنساني، المعرفي والوجداني والحركي، فإنه يشمل أيضاً كل جوانب النفس الإنسانية: العقلية، والوجدانية، والجسمية [٧٥] الإسلام ليس دينًا جزئيًا يُعنى بجانب دون آخر، بل هو منهج حياة شامل يُخاطب الإنسان في عقيدته، وسلوكه، وعلاقاته، وتفاصيل يومه، ويُحوّل المعروف البسيط إلى صدقة، والمعاملة الحسنة إلى عبادة، والدين الاسلامي يوضح للإنسان صلاته بربه، ويدعوه إلى الإيمان بالله، وهذا الايمان، هو خير ما يعصم المرء من الزلل، ويدفعه إلى فعل الخير، ويبعده عن الشر وهذا الاعتقاد بلا شك باعث على تحرر النفس البشرية ورفعتها، وتطهيرها من خرافات الشرك وأوهامه، فلا تنحط الى عبادة جماد أو نبات،

---

٧١ - ينظر: المدخل إلى دراسة الشريعة الإسلامية، (ص ٨٨)

٧٢ - يتميز الإسلام بالشمولية والعموم، شبكة الألوكة، ٢٠٢٤م

٧٣ - ينظر: "بناء المجتمع الإسلامي"، (ص ١٧)

٧٤ - ينظر: "منهج الإسلام في بناء الفرد والمجتمع"، (ص ٥-٦)، ويتميز الإسلام بالشمولية والعموم، الألوكة، ٢٠٢٤م

٧٥ - ينظر: «مناهج التربية أسسها وتطبيقاتها» (ص١٣٤)

أو حيوان، ولا تصف بالألوهية أو الربوبية إنساناً كائناً من كان أما ما فرضه من عبادات، فكلها ذات أثر محمود في تهذيب النفوس، وبناء المجتمع السعيد، فالنظافة شطر الايمان، والصلاة تبعث للنفس الطمأنينة، وتنهَى عن الفحشاء والمنكر ... والصوم يربى الانسان على الصدق والصبر، وضبط النفس، وقوة الارادة، واحتمال المشاق، ومراقبة الله في السر والعلانية، والزكاة تربى الوجدان، وتني الرحمة والشفقة القلوب وتستل الضغائن والحسد من قلوب البائسين والمحرومين، والحج يشعر النفوس بالمساواة فلا يستعلى غني على فقير، ولا قوي على ضعيف، ولا رئيس على مرؤوس [٧٦] الإسلام دين شامل للبشرية، لا يفرق بين الناس بسبب اللون أو اللغة، وإنما يقيّمهم بالتقوى والعمل الصالح، وبذلك، تتجلى شمولية الإسلام في توازن عجيب بين العقيدة والسلوك، بين الإيمان والعمل، وبين الفرد والأسرة والمجتمع، فالإسلام يبني الإنسان عقليًا وروحيًا وجسديًا، ويجعله عنصرًا فاعلًا في محيطه، من خلال منظومة متكاملة من القيم والممارسات.

وهكذا، فإن الحديث الشريف: "كل معروف صدقة" يُجسّد هذه الشمولية التربوية، يُمثّل تجسيدًا عمليًا لشمولية الإسلام، حيث يُحوّل المعروف إلى عبادة، ويُبرز أن الإسلام يُربّي الإنسان على أن يكون فاعلًا في مجتمعه، نافعًا في سلوكه، مما يجعل الدين الإسلامي منهجًا تربويًا شاملًا يُسهم في بناء الإنسان والمجتمع معًا، مسؤولًا في أخلاقه، مما يجعل الدين الإسلامي نظامًا متكاملًا يُخاطب القلب والعقل والسلوك، ويُسهم في بناء الإنسان والمجتمع معًا مما يجعل من الدين الإسلامي نظامًا تربويًا راشدًا يُسهم في صناعة إنسان متكامل يحمل رسالة الخير في أقواله وأفعاله[٧٧]

---

٧٦ - ينظر: " التربية الإسلامية"، مجموعة من المؤلفين، (ص٤-٥)

٧٧ - ينظر: "الإسلام دين الإنسانية"، (ص ٢٥)

٥- قيمة العقيدة والدين الإسلامي للبشرية[٧٨]:

ا العقيدة الإسلامية لم تكن مجرد علاقة روحية بين العبد وربه، بل كانت منهجًا عمليًا ينظم السلوك الفردى والجماعى، ويُعلى من قيمة الإنسان ويحفظ حقوقه، العقيدة الإسلامية ليست مجرد منظومة إيمانية، بل هى منهج شامل للحياة، يربط الإنسان بخالقه، ويوجه سلوكه، ويمنحه الطمأنينة والهدف، عقيدة شمولية لم تترك صغيرة ولا كبيرة إلا أتت بإيضاحها، ووضعت لها نظاما بأروع إحكام، وأتقن بيان؛ فقد أحاطت وهيمنت على الأعمال، والأقوال، والسلوك، وكل أمور الحياة، ولا يتم إيمان العبد إلا عندما يخضع كل أمور حياته لهذا الدين، لم تغفل العقيدة الإسلامية أمرا من أمور الدين والدنيا إلا أتت عليه بالبيان والإيضاح التامين؛ فالله عز وجل ما فرط فى الكتاب من شىء، ورسوله صلى الله عليه وسلم بين لأمته جميع ما يحتاجون إليه، فقد أعطت الإنسان تصورا كاملا عن الكون الذى يحيا فيه، وتناولت كل القضايا التى بها تستقيم حياة الإنسان، وأحاطت بالإنسان كله من حين ولادته، حتى وفاته، بل قبل ولادته، وبعد وفاته [٧٩]

لقد عاشت الأمم قبل الرسالات السماوية فى إطار الفكر المادى وحده، تتنازعها الأهواء والرغبات المتعلقة بحياتها المعيشية، وحتى عصرنا هذا توجد أمم تحيا على هذا الفكر، ولأنه فكر يتعلق بجانب واحد من جوانب الوجود، أرسل الله الرسل بتعاليم ومبادئ تنتشل الإنسان من هذه الهوة المادية، فجاء الإسلام منظما للفكر الإنسانى تنظيما يجعله متوازنا بين الروحية والمادية، والدين فى **حقيقته** نزعة فطرية فى الإنسان من يوم خلق الله الدنيا وهو أنجح الوسائل لتهذيب الفكر، وجعله فكرا ينشد الغايات الإنسانية العليا بعيدا عن الاضطراب والفوضى، فهو الذى يستغل الميل الفطرى فى الإنسان فى غرس الخلق الكريم فى نفسه، وتوجيه سلوكه وجهة الخير، لأن الدين يدعو إلى صيانة الأمم، وجاء الإسلام خاتما للأديان كلها، فكان أعلاها فى كل شىء، فلا عصبية فى الإسلام، ولكن رابطة أخوية تجمع بين بنى الإنسان، وتوجههم إلى وجهة واحدة، هو الإيمان بخالق السموات والأرض والامتثال لأوامره واجتناب نواهيه، وهذا ولا شك يؤدى إلى تماثل فى المجتمع، وتوحد فى عقيدته واستقامة فى حياته، وقد كانت الأمم الأولى التى شقت طريقها نحو العقائد الدينية الصحيحة من أنضج الأمم وأحسنها مسلكا فى حياتها، وأنظمها فى العلاقات الاجتماعية بين أبنائها، كما أكسبها الدين قوة مادية ومعنوية جعلتها مرهوبة الجانب مخشية البأس، على العكس من الأمم الوثنية، فقد كانت تعمها الفوضى، وتعتريها الفتن، وتتغير عقائدها بتغير الأفراد والقائمين بأمرها، ففى الدين الإسلامى ما يشيع الخشوع فى النفوس لله، والرغبة فى ثوابه، والخوف من عقابه فتسلك طريق الهدى والرشاد راضية مختارة، وتنأى عن الغواية والضلال عن يقين وحجة، والعقيدة فى الإسلام قائمة على الإيمان بإله منزه عن الشرك، منزه عن النقائص لا صاحبة له ولا ولد، منزه عن التشبيه، فالله الذى يؤمن به المسلمون إله واحد، خلق الكون وأبدع صنعه لا شريك له ولا شبيه، {سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ}، وهو رب العالمين خلق الناس جميعا ليتعارفوا ويتفاضلوا بالتقوى، فلا فضل بينهم لعربى على أعجمى ولا لقرشى على حبشى إلا بالتقوى {إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ}، وهو حكم عدل لا يأخذ إنسانا بذنب إنسان ولا يحاسب أمة خلقت بجريرة أمة سلفت {كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ}، {وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى}، {تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ}، {وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا}

---

٧٨ - ينظر:" عقيدة التوحيد في القرآن الكريم"،(ص:٣٢-٤٧)، و" القيم و الأساليب التربوية المستنبطة من سورة السجدة"،(ص:١٠٨-١١٠)، و "الإسلام وأثره في الحضارة الإنسانية" ،(ص ٧٨—٨٢)، و"أثر العقيدة الإسلامية في تحقيق الأمن الروحي والاجتماعي"،(ص٣٣—٥٨)، و"القيم الإسلامية وتأثيرها في تطوير المجتمعات" (ص ٦٧—٧٣)

٧٩ - ينظر: " المفيد في مهمات التوحيد"، (ص٣١)

فالإسلام دين الرحمة والعدل وتعاليمه توجه بنى البشر إلى حياة فاضلة خالية من الأوهام والمخاوف، بعيدة عن الشك وزيفه، وبقدر ما يصنع المرء يسأل ويحاسب،{وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلعَبِيدِ}، {وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلمًا}،{وَهُوَ بِكُلِّ خَلقٍ عَلِيمٌ}،فالإسلام جاء يصحح العقائد البشرية كلها ويتمم ما سبقه من ديانات الأمم الأخرى وحضاراتها، وقد رسم للحياة الإنسانية طرق النجاة، إلى القرآن الكريم ومبادئه الأخلاقية التى جاء يخاطب بها "الإنسان" فى مواضع كثيرة، {يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ}{يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الكَرِيمِ}،كما يخاطب بها الناس: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ}{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً}، وبعد أن يحرك الشعور الفردى والجماعى بمخاطبة الفرد والجماعة يخص المؤمنين بالنداء تلو النداء الذى يدل على أهمية هؤلاء وامتيازهم وسط المجتمع الإنسان كله، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالقِسْطِ}{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ}،والقرآن حين يخاطب "الإنسان" لا يريد إنسانا من جماعة معينة، وإنما يريد كل إنسان على الأرض يحمل صفات الإنسانية وسماتها، فدعوته حتى وهى فى مظهرها فردية، فى حقيقتها جماعية، لأنها إنما تخاطب الإنسان أيا كان شكله أو لونه أو منهجه، فهو يدمج الفرد فى الجماعة ويدمج الجماعة فى الفرد بحيث يشعر الفرد أنه جزء من كل، ويشعر الكل أنه مؤلف من أجزاء متماسكة، فالإسلام يربى المؤمنين على التماسك، ويدعوهم إلى الرحمة والمودة ويوجد بينهم الرباط النفسى والمادى الذى يجعلهم كمجموعة من الأعصاب تتأثر ببعضها وتختل باختلال إحداها، ومع رعايته للجماعة وتقريره الدائم لأثرهما الفعال لا يهمل الفروق الفردية، فمن مبادئه " أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ"، أخرجه الطبرانى فى "المعجم الكبير" (١٣٦٤٦)،وابن أبى الدنيا فى "قضاء الحوائج" (٣٦)، فالمؤمن الحق من كان خيره للناس علما وعملا، ونحن نستطيع أن نقول بغير تردد أن النظريات الأخلاقية التى تطورت فى عصرنا الحديث هى أثر من آثار ما جاء فى القرآن من المبادئ والأخلاق، وأن العلوم الإنسانية الحديثة أخذت الكثير من القرآن ولم تضف إليه شيئا، وحين يرى القرآن الفرد أخلاقيا، نراه يضع الإنسان أمام نفسه، مبينا ما فيها من خير وشر، محللا للدوافع التى تكمن بينهما وتحث عليهما، ففى الإنسان من دوافع الخير ما يدعوه إلى الطاعة وعمل الصالحات، وفيه من دوافع الشر، ما يسوقه إلى العصيان والتمرد وارتكاب السيئات وله من الإرادة والحرية والعقل ما يحميه من الوقوع فى السيئات، وقد منحه الله ميزة العقل وكرمه على كل مخلوقاته، ليكون هذا العقل هو الحكم بين الخير ونزعات الشر ووساوس الشياطين ويتضح ذلك فى قول الله تعالى:{وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا، وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا}{إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ} {كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ}،فحرية الفرد فى الإسلام واضحة كل الوضوح، حيث إن الغرائز فيه، يقابلها العقل وهو بينهما قادر على تمييز الصالح من الفاسد وله أن يختار، وعلى هذا الاختيار يحاسب وتكون مكانته الإنسانية والاجتماعية، ومن المعلوم أنه لا تكليف من غير اختيار، {إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ}،ففى الدين الإسلامى ما يحتاج إليه البشر كل البشر، والإنسان كرم بين كل المخلوقات، {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي البَرِّ وَالبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ}، ورفع الله قدر العقل الإنسانى فى الدين الإسلامى، فمنحه الحرية والاختيار فيما يعتقد، وبين أن الإيمان الصحيح ما كانت نتيجة للتأمل والنظر، والبحث والإقناع، ولم يجعل للإيمان التقليدى بما كان عليه الآباء والأسلاف أى أثر، ونتيجة لهذا كانت أوامر التكليف، وكان الثواب والعقاب، وهكذا كانت عقيدة الإسلام، وكان الإيمان بها لدى المؤمنين مما غير وجه الأرض، وصنع فى الفكر الإنسانى صنعة قضت على الوثنية، وعبادة الأوثان، والخضوع للفرد واستعباد الشر، والتسليم لغير الله، وقد حاولت المجتمعات الإنسانية منذ ميلادها، أن تضع لها أسلوبا للمعاملة يكفل لها الأمن والتضامن والمحبة، وقد جاء الإسلام إلى الأرض وأهلها يعيشون على هذه الصورة الأخيرة من ذل واستعباد وقهر وجبروت، فساوى بين الناس، الغنى والفقير، المرأة والرجل، الصغير والكبير، جميعهم فى الإسلام متساوون،

لا عصبية ولا حسب ولا جاه ولا سلطان، الكل أبناء آدم وحواء وإن اختلفوا في الموطن والبيئة والشكل، فلا تفاخر بالأنساب ولا تباهى بالألقاب، إنما الجميع أمام الله سواسية لا يتفاضلون إلا بالتقوى وفعل الخيرات:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَومٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ}،وتحديد الإسلام للمساواة بين الناس يحقق أقصى درجات العدالة الاجتماعية، فهو يرى أن الجميع متساوون في الحقوق والواجبات، وإن دماءهم وأعراضهم وأموالهم مصانة الحق بدرجة واحدة، بصرف النظر عن مكانتهم الاجتماعية وحسبهم ونسبهم، فعند البخاري،(٣٤٧٥)، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّهُمْ شَأْنُ الْمَرْأَةِ الْمَخْزُومِيَّةِ الَّتِي سَرَقَتْ، فَقَالُوا: وَمَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ؟ فَقَالُوا: وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ، حِبُّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَكَلَّمَهُ أُسَامَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ، ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ، أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ، وَايْمُ اللَّهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا"، فقد ساوى الإسلام بينهم في عملية القصاص {الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنْثَى بِالأُنْثَى} على عكس ما كان سائداً قبل الإسلام، يقول تعالى:{وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنْفَ بِالأَنْفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ}، جاء الإسلام وألغى العبودية وحرص على الحرية وحرم العصبية القبلية وجعلها من علامات الجاهلية المنفرة، ففي "سنن أبي داود"،(٥١٢١)، عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: "لَيْسَ مِنَّا مَنْ دَعَا إِلَى عَصَبِيَّةٍ، وَلَيْسَ مِنَّا مَنْ قَاتَلَ عَلَى عَصَبِيَّةٍ، وَلَيْسَ مِنَّا مَنْ مَاتَ عَلَى عَصَبِيَّةٍ"، واتبع المسلمون ذلك النهج في حياتهم الخاصة ومع الأمم التي عاشت معهم، وقد حرص الإسلام على توجيه الناس دائما إلى أوجه الخير، فدعا إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ليوجد بذلك المحبة بين الناس ويزيل أسباب العداوة والبغضاء من قلوبهم؛ لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يقوم في المجتمع مقام الوقاية من الأمراض في جسم الإنسان، وقد تحقق ذلك في صدر الإسلام، فعلى الرغم مما كان عليه المجتمع العربي قبل الإسلام، من انحلال أخلاقي، وتفكك اجتماعي، نراه بعد الإسلام تحول تحولا جذريا، فبعد أن كان قبائل متنافرة، أصبح أمة تحررت عقولها من الأوهام ونفوسها من الشهوات، ومن البغي والعدوان والظلم، واستطاعت أن تفرض وجودها على العالم، وكانت عند الله خير أمة:{كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ}،لم يكتف الإسلام بدعوة الناس إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بل شرح لهم أساليب المعاملة التي تحقق هذه الغاية فقال تعالى في سورة المائدة:{وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ}، وفي سورة الأنعام:{وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى}، وفي سورة النساء:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ}، وتحقيقا لأقصى درجات المحبة في المجتمع الإسلامي، نادى القرآن باتباع أساليب معينة في التعرف على الحقائق، واجتناب الظلم وقول الزور والتجسس والسعي بالغيبة والنميمة بين الناس، يقول تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا}، وليس هناك ما يفرق بين الناس، ويوقع العداوة في قلوبهم أكثر من سوء التعامل المادي، سواء أكان عن طريق البيع والشراء، أم عن طريق الإجارة والقرض، وليحمي الإسلام مجتمعاته من ذلك، وجه المسلمين إلى قواعد العدل في المعاملة فقال تعالى:{وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ}، وفي سورة الأعراف:{فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ}، وفي سورة الإسراء:{وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ}، وفي سورة الرحمن:{وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ}، وفي سورة يونس:{وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا

لِيُؤمِنُوا كذلِك نجْزِى القوْمَ الْمجْرِمِينَ ثمّ جَعَلنَاكمْ خلائِف فِى الأرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظرَ كيْف تعْمَلون}،والتعاون فى الإسلام هو من أوفى أساليب التعاون، وقد وضح ذلك القرآن فى أروع صوره:{وَتعَاوَنُوا عَلى البرِّ وَالتّقوَى وَلا تعَاوَنُوا عَلى الإثمِ وَالعُدْوَانِ وَاتقوا اللهَّ إنّ اللهَّ شدِيدُ العِقاب}،{وَاعْتصِمُوا بحَبْلِ اللهِّ جَمِيعًا وَلا تفرّقوا}، {ويسئلونك عَنِ اليَتَامَى قل إصْلاحٌ لهُمْ خيْرٌ وَإنْ تخالِطُوهمْ فإخْوَانُكمْ وَاللهُّ يَعْلمُ المُفسِدَ مِنَ المُصْلِحِ}، والرسولﷺ يوضح أسس المجتمع المتعاون القائم على الرحمة والمودة ،"إنّ الرِّفق لا يَكونُ فِى شىْءٍ إلا زانه، وَلا يُنْزَعُ مِنْ شىْءٍ إلا شانه" أخرجه مسلم،(٢٥٩٤)،ويحث على العفو والتواضع، وعدم ظلم الناس واحتقارهم فيقول: "مَا نقصَتْ صَدقةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بعَفوٍ إلا عِزًّا، وَمَا توَاضعَ أحَدٌ لِلهِ إلا رَفعَهُ اللهُ" أخرجه مسلم،(٢٥٨٨)، وقال: "مَنْ نفسَ عَنْ مُؤمِنٍ كرْبَةً مِنْ كرَبِ الدّنيَا، نفسَ اللهُ عَنْهُ كرْبَةً مِنْ كرَبِ يَوْمِ القِيَامَةِ، وَمَنْ يَسّرَ عَلى مُعْسِرٍ، يَسّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِى الدّنيَا وَالآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللهُ فِى الدّنيَا وَالآخِرَةِ، وَاللهُ فِى عَوْنِ العَبْدِ مَا كانَ العَبْدُ فِى عَوْنِ أخِيهِ"، أخرجه مسلم،(٢٦٩٩).

ودعوته إلى الحب والإخاء فى المجتمع بلغت حد تحريم الهجر بين المتشاحنين فوق ثلاث ليال، يقول ﷺ: "لا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أنْ يَهْجُرَ أخاهُ فوْق ثلاثِ لَيالٍ، يَلتَقِيَانِ فيُعْرِضُ هذا وَيُعْرِضُ هذا، وَخيْرُهمَا الذِى يَبْدَأ بالسّلام" البخارى،(٢٥٦٠)، وحرم إيذاء الجار ودعا إلى التعاون معه يقول: "لا يَدْخُلُ الجَنّةَ مَنْ لا يَأمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ" مسلم،(٤٦)،"مَنْ كانَ يُؤمِنُ باللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فلا يُؤْذِ جَارَهُ، وَمَنْ كانَ يُؤمِنُ باللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فليُكرِمْ ضيْفهُ، وَمَنْ كانَ يُؤمِنُ باللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فليَقُل خيْرًا أوْ لِيَصْمُتْ"، البخارى،(٦٠١٨)، تلك نبذة عن أساليب المعاملة فى الإسلام، وهى الأساليب التى غيرت كل شىء فى جزيرة العرب، وفى البلاد الإسلامية التى دخلها نور الله، وبها تطهرت النفوس من العدوات والأحقاد، وصار المسلمون أمة واحدة متراحمة، وأصبح التراحم بينهم صفة غالبة فى أقوالهم وأفعالهم بفضل العقيدة الإسلامية ٨٠

ومن هنا فإن منهاج التربية الإسلامية يركز على غرس الحق والعدل والإحسان والإخاء والمساواة والعفو والرحمة والمعروف والاستقامة وغير ذلك من أفعال الخير وصالح الأعمال، لأن الإيمان بالله هو الموجه للسلوك والضابط له والمتصل اتصالا وثيقا بالأعمال الصادرة من الإنسان، فإن التربية الإسلامية تربط دائما بين العمل والسلوك ثم بين العمل الصادر من هذا الإيمان وبين الجزاء، وهناك آيات كثيرة تقرن الإيمان بالعمل، فالإيمان الحق هو الإيمان الذى يصدر عنه السلوك وينبع منه العمل الصالح ويخرج منه الخلق الكريم، فحسن الخلق والإخاء والمودة واجتناب الكبائر والتمسك بالفضائل يجب أن تصدر عن هذه العقيدة، كما تحدث النبى عن أثر الإيمان فى تجنب الرذائل وارتباط الإيمان بالسلوك ساعة فعل العمل، "لا يَزْنِى الزّانِى حِينَ يَزْنِى وَهوَ مُؤمِنٌ، وَلا يَشْرَبُ الخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُ وَهوَ مُؤمِنٌ، وَلا يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهوَ مُؤمِنٌ، وَلا يَنْتهِبُ نُهْبَةً، يَرْفعُ النّاسُ إلَيْهِ فِيهَا أبْصَارَهمْ حِينَ يَنْتهِبُهَا وَهوَ مُؤمِنٌ"، أخرجه البخارى(٢٤٧٥)،"لا يُؤمِنُ أحَدُكمْ، حَتّى يُحِبّ لِأخِيهِ مَا يُحِبّ لِنَفسِهِ"، أخرجه البخارى،(١٣)، فالعقيدة لابد أن تنعكس على الإنسان وسلوكه، وتترجم فى حياة الفرد، وحياة الجماعة. فالعقيدة لابد ان تنعكس على الإنسان وسلوكه9لابد ان تترجم فى حَيَاة الفرد الذِى يعلم بأن الله يطلع على سره ونجواه وَإن إفعاله مَكْتُوبَة وَهوَ محاسب عَلَيْهَا، ولابد ان تترجم فى حَيَاة الجَمَاعَة فتبنى نظام حَيَاتهَا وفق هذِه العقيدة التى آمَنت بهَا.

من كل ما سبق: يتقرر أنه لا سعادة لهذه النفس الإنسانية ولا استقامة لها إلا إذا ارتبطت كافة جوانبها بعقيدة التوحيد، ومن هنا يجب على المربى المسلم أن يربط كل جوانب التربية بهذا الأصل الاعتقادى لما له من أهمية كبرى فى حياة الإنسان النفسية، وتوحد نوازعه وتفكيره وأهدافه وتجعل كل عواطفه، وسلوكه وعاداته قوى متضافرة متعاونة ترمى كلها إلى تحقيق هدف واحد هو

٨٠ - ينظر:" طرق تدريس التربية الإسلامية نماذج لإعداد دروسها"، (ص:٨٤-٩٠)

الخضوع لله وحده والشعور بألوهيته ورحمته وعلمه لما في النفوس وقدرته وسائر صفاته[٨١] العقيدة الإسلامية تمثل الركيزة الأساسية لسعادة الإنسان واستقامته، فردًا ومجتمعًا، هي مفتاح التحول الداخلي والخارجي للإنسان، وهي الأساس الذي ينطلق منه الفرد المسلم نحو حياة متزنة ذات غاية، ترتبط بخالقه وتنعكس في سلوكه، وتضمن له الشعور بالطمأنينة والمسؤولية، العقيدة الإسلامية هي التي تمنح الإنسان وحدة في الهدف، وانسجامًا في السلوك، وتحرره من التناقض الداخلي الذي تعانيه المجتمعات المادية[٨٢] الإسلام لا يطلب من الإنسان أن يعيش في عزلة روحية، بل يدعوه إلى أن تكون عقيدته منبعًا لحركة إيجابية في الحياة[٨٣]

فهذا الحديث يُبرز أن العقيدة الإسلامية ليست مجرد منظومة إيمانية جامدة، بل هي دين حياة، يُعيد تعريف الخير، ويُحوّل أبسط صور المعروف إلى عبادة وقربة، مما يُؤكد أن الإسلام جاء ليُهذب الوجود الإنساني، ويُرسي دعائم التراحم والتكافل، ويُعيد للبشرية وعيها الجماعي بأن الخير المتبادل هو أساس البناء الحضاري، فالعقيدة الإسلامية لا تحصر الخير في المال، بل تفتح أبوابًا متعددة للعطاء، كالكلمة الطيبة والتعاون والبشاشة، وهذا يُبرز شمولية الدين في بناء مجتمع إنساني متكامل، يُقدّر كل مساهمة مهما كانت بسيطة[٨٤]

٦- شمولية العبادة في الإسلام وبيان كثرة طرق الخيرات:

إن من أبرز ملامح التشريع الإسلامي هو شموله الشامل لجميع جوانب حياة الإنسان، حتى إن النية الصالحة تحوّل المُعاملات المادية والعادات إلى عبادات، قال النبي ﷺ أنه قال: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى»، فبمجرد توجيه النية لله في الكسب أو الخدمة أو التعليم، يصبح العمل عبادة[٨٥]، إن الإسلام دين شامل لجميع مناحي الحياة، ولا يقتصر على عبادات محدودة، بل يُوسّع مفهوم العبادة ليشمل كل عمل صالح يُقصد به وجه الله، وهذا يدل على شمولية الدين وسعة باب الخير في الإسلام، وتُعد شمولية العبادة من أبرز خصائص الدين الإسلامي، حيث لا تقتصر على الشعائر التعبدية، بل تمتد لتشمل كل فعل يُرضي الله، من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، وقد دلّ حديث النبي ﷺ: "كل معروف صدقة" على أن أبواب الخير في الإسلام متعددة، وأن كل معروف يُعد عبادة وقُربة، مهما كان بسيطًا، وشمول العبادة لجميع جوانب الحياة، حيث جعل العبد في عبادة ما دام قاصدًا وجه الله في أقواله وأفعاله، حتى في معاشه ونومه إذا ابتغى به قوة على طاعة الله، مما يوسع دائرة الخير ويشجع على استثمار الوقت في كل عمل نافع، فالابتسامة، والكلام الطيب، وردّ السلام، كلها صدقات، وهذا يدل على أن العبادة في الإسلام ليست قاصرة على الصلاة والصيام، بل تشمل كل عمل طيّب يُقصد به وجه الله مما يدل على أن باب الخير في الإسلام واسع، يشمل أبسط أنواع المعروف[٨٦]

---

٨١ - ينظر:" معالم أصول التربية الإسلامية من خلال وصايا لقمان لابنه"، (ص:٤٤٣)

٨٢ - ينظر: "المنهج الإسلامي في بناء العقيدة التربوية"، (ص٤٥)

٨٣ - ينظر: "جدد حياتك"، (ص١٣٤)

٨٤ - ينظر: "توضيح الأحكام من بلوغ المرام "، (٣٤١/٧)، و"منحة العلام في شرح بلوغ المرام "،(١١٧/١٠)

٨٥ - ينظر: "العبادة في الإسلام: مفهومها ومقوماتها"،(ص٧٦)

٨٦ - ينظر: " العبادة في الإسلام: دراسة تحليلية"، (ص٨٩)

الدين كله داخل في مفهوم العبادة بدون استثناء[٨٧] والعبادة لا تُقاس بحجم العمل، بل بنية الفاعل، فقد يأكل الرجل ويشرب ويكون في عبادة إن كان يقصد بذلك التقوّي على طاعة الله، وهذا ما يُظهر عمق التصور الإسلامي للعبادة، الذي يتجاوز الطقوس إلى السلوك اليومي[٨٨] لقد عظّم الإسلام من شأن كل فعل خير، حتى جعل ردّ السلام صدقة، والكلام الطيب عبادة، وهذا يدل على أن الدين ليس انعزالًا عن الحياة، بل هو منظومة متكاملة تجعل الحياة كلها عبادة لله، إذا قُصد بها وجهه الله[٨٩]

دعا الله جل وعلا للمسارعة إلى الخيرات، والمنافسة فيما عنده من جزيل الثواب والنعم[٩٠] فقال تعالى: {خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ} [المطففين: ٢٦]، وقال سبحانه: {لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ} [الصافات: ٦١]، وقال جل وعلا: {وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ} [الواقعة: ١٠ - ١٢] أمر الله تعالى المؤمنين الصالحين بالمسارعة إلى الصالحات والمسابقة في عمل الخيرات قال سبحانه: {وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}، ووصف عز وجل المؤمنين المتقين بأنهم هم الذين يسارعون في الخيرات ويتسابقون إلى فعلها، قال تعالى:{وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ}، وحث النبي صلى الله عليه وسلم على المبادرة والمسارعة في عمل الخير قبل أن تتغير النفوس وتتقلب القلوب، أخرج مسلم في "صحيحه"،(١١٨)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا"، وفي " جامع الترمذي"، (٢١٩٧)، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "تَكُونُ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ فِتَنٌ كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ يُصْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، وَيُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ أَقْوَامٌ دِينَهُمْ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا"، وفي " جامع الترمذي"، (٢٣٠٦)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ سَبْعًا هَلْ تُنْظَرُونَ إِلَّا إِلَى فَقْرٍ مُنْسٍ، أَوْ غِنًى مُطْغٍ، أَوْ مَرَضٍ مُفْسِدٍ، أَوْ هَرَمٍ مُفَنِّدٍ، أَوْ مَوْتٍ مُجْهِزٍ، أَوِ الدَّجَّالِ فَشَرُّ غَائِبٍ يُنْتَظَرُ، أَوِ السَّاعَةِ فَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ".

وأخرج الترمذي في " جامعه"،(٤٧٤٤)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: " لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الجَنَّةَ وَالنَّارَ أَرْسَلَ جِبْرِيلَ إِلَى الجَنَّةِ فَقَالَ: انْظُرْ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أَعْدَدْتُ لِأَهْلِهَا فِيهَا"، قَالَ: "فَجَاءَهَا وَنَظَرَ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أَعَدَّ اللَّهُ لِأَهْلِهَا فِيهَا"، قَالَ: " فَرَجَعَ إِلَيْهِ، قَالَ: فَوَعِزَّتِكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا، فَأَمَرَ بِهَا فَحُفَّتْ بِالمَكَارِهِ، فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَيْهَا فَانْظُرْ إِلَى مَا أَعْدَدْتُ لِأَهْلِهَا فِيهَا "، قَالَ: " فَرَجَعَ إِلَيْهَا فَإِذَا هِيَ قَدْ حُفَّتْ بِالمَكَارِهِ، فَرَجَعَ إِلَيْهِ فَقَالَ: وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خِفْتُ أَنْ لَا يَدْخُلَهَا أَحَدٌ، قَالَ: اذْهَبْ إِلَى النَّارِ فَانْظُرْ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أَعْدَدْتُ لِأَهْلِهَا فِيهَا، فَإِذَا هِيَ يَرْكَبُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَرَجَعَ إِلَيْهِ فَقَالَ: وَعِزَّتِكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ فَيَدْخُلَهَا، فَأَمَرَ بِهَا فَحُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ، فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَيْهَا، فَرَجَعَ إِلَيْهَا فَقَالَ: وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لَا يَنْجُوَ مِنْهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا ".

---

٨٧ - ينظر: «الدعاء ومنزلته من العقيدة الإسلامية» (١/ ٦٣-٦٤)

٨٨ - ينظر: "العبادة بين الطهارة والنية"، (ص ١١٤)

٨٩ - ينظر: " العمل الصالح في ضوء السنة النبوية"، (ص٢٠٣)

٩٠ - ينظر: " فاستبقوا الخيرات"، (ص٥-٨)، بتصرف

ولقد ضرب النبي صلى الله عليه وسلم أروع الأمثلة في المسارعة والمبادرة إلى الخير وعدم تسويف المسابقة إليه، أخرج البخاري في "صحيحه"،(٨٥١)، عَنْ عُقْبَةَ، قَالَ: صَلَّيْتُ وَرَاءَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم بِالْمَدِينَةِ العَصْرَ، فَسَلَّمَ، ثُمَّ قَامَ مُسْرِعًا، فَتَخَطَّى رِقَابَ النَّاسِ إِلَى بَعْضِ حُجَرِ نِسَائِهِ، فَفَزِعَ النَّاسُ مِنْ سُرْعَتِهِ، فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ، فَرَأَى أَنَّهُمْ عَجِبُوا مِنْ سُرْعَتِهِ، فَقَالَ: «ذَكَرْتُ شَيْئًا مِنْ تِبْرٍ عِنْدَنَا، فَكَرِهْتُ أَنْ يَحْبِسَنِي، فَأَمَرْتُ بِقِسْمَتِهِ».

والمسابقة إلى الخيرات خلق لا يتصف به إلا المؤمن الصادق، والمسارعة إلى أعمال البر طبع لا يتخلق عليه إلا من وهبه الله تعالى رجاحة في العقل وانشراحاً في الصدر وسلامة في القلب[٩١] ففي " صحيح البخاري"،(٤٩٩٧)، و"صحيح مسلم"،(٢٣٠٨)، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم أَجْوَدَ النَّاسِ بِالْخَيْرِ، وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ إِنَّ جِبْرِيلَ عليه السلام كَانَ يَلْقَاهُ، فِي كُلِّ سَنَةٍ، فِي رَمَضَانَ حَتَّى يَنْسَلِخَ، فَيَعْرِضُ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم الْقُرْآنَ، فَإِذَا لَقِيَهُ جِبْرِيلُ كَانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم أَجْوَدَ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ» ، والأعمال الصالحة ليست ثمناً للأجر والنعم وهذا الأجر على عمل الصالحات ليست الأعمال ثمناً له، ولا معاوضة عنه، ففي "صحيح البخاري"،(٦٤٦٣)، و"صحيح مسلم"،(٢٨١٦)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قَالَ: "لَنْ يُنْجِيَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ" قَالَ رَجُلٌ: وَلَا إِيَّاكَ؟ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: "وَلَا إِيَّايَ، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ اللهُ مِنْهُ بِرَحْمَةٍ، وَلَكِنْ سَدِّدُوا".

بل إن ربنا لم يجعل الأجور على الأعمال التعبدية المحضة، وإنما جعل لنا حتى فيما تميل إليه نفوسنا وعواطفنا أجراً عظيماً، ففي "صحيح البخاري"،(٥٦)، عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، أَنَّهُ أَخْبَرَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ إِلَّا أُجِرْتَ عَلَيْهَا، حَتَّى مَا تَجْعَلُ فِي فَمِ امْرَأَتِكَ»، بل جعل لنا حتى في الإحسان إلى البهائم أجراً، ففي "صحيح البخاري"،(٢٣٦٣)، و"صحيح مسلم"،(٢٢٤٤)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ، فَوَجَدَ بِئْرًا، فَنَزَلَ فِيهَا فَشَرِبَ، ثُمَّ خَرَجَ فَإِذَا كَلْبٌ يَلْهَثُ يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ الْعَطَشِ، فَقَالَ الرَّجُلُ لَقَدْ بَلَغَ هَذَا الْكَلْبَ مِنَ الْعَطَشِ مِثْلُ الَّذِي كَانَ بَلَغَ مِنِّي، فَنَزَلَ الْبِئْرَ فَمَلَأَ خُفَّهُ مَاءً، ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ حَتَّى رَقِيَ فَسَقَى الْكَلْبَ فَشَكَرَ اللهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ" قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَإِنَّ لَنَا فِي هَذِهِ الْبَهَائِمِ لَأَجْرًا؟ فَقَالَ: "فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ"، وكان الصحابة يحرصون على الأعمال ذات الأجر العظيمة، ويريدون صادقين أن ينالوا ذلك يريدون بصدق أن ينالوا الأجر، ومن ذلك أجر الشهادة في سبيل الله، ففي "مسند أحمد"، (٢٢١٤٠)، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ: أَنْشَأَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم غَزْوَةً فَأَتَيْتُهُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ادْعُ اللَّهَ لِي بِالشَّهَادَةِ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ سَلِّمْهُمْ وَغَنِّمْهُمْ» قَالَ: فَسَلِمْنَا وَغَنِمْنَا قَالَ: ثُمَّ أَنْشَأَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم غَزْوًا ثَانِيًا، فَأَتَيْتُهُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ادْعُ اللَّهَ لِي بِالشَّهَادَةِ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ سَلِّمْهُمْ وَغَنِّمْهُمْ» قَالَ: فَسَلَّمْنَا وَغَنِمْنَا قَالَ: ثُمَّ أَنْشَأَ غَزْوًا ثَالِثًا، فَأَتَيْتُهُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أَتَيْتُكَ مَرَّتَيْنِ قَبْلَ مَرَّتِي هَذِهِ فَسَأَلْتُكَ أَنْ تَدْعُوَ اللَّهَ لِي بِالشَّهَادَةِ، فَدَعَوْتَ اللَّهَ أَنْ يُسَلِّمَنَا وَيُغَنِّمَنَا فَسَلِمْنَا وَغَنِمْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَادْعُ اللَّهَ لِي بِالشَّهَادَةِ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ سَلِّمْهُمْ وَغَنِّمْهُمْ» قَالَ: فَسَلِمْنَا وَغَنِمْنَا، ثُمَّ أَتَيْتُهُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مُرْنِي بِعَمَلٍ قَالَ: «عَلَيْكَ بِالصَّوْمِ؛ فَإِنَّهُ لَا مِثْلَ لَهُ». قَالَ: فَمَا رُئِيَ أَبُو أُمَامَةَ وَلَا امْرَأَتُهُ وَلَا خَادِمُهُ إِلَّا صُيَّامًا قَالَ: فَكَانَ إِذَا رُئِيَ فِي دَارِهِمْ دُخَانٌ بِالنَّهَارِ

---

٩١ - ينظر: " البركات في المسارعة إلى الخيرات"، (ص١-٣)

قِيلَ اعْتَرَاهُمْ ضَيْفٌ نَزَلَ بِهِمْ نَازِلٌ قَالَ: فَلَبِثْتُ بِذَلِكَ مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ أَتَيْتُهُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَمَرْتَنَا بِالصِّيَامِ فَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ قَدْ بَارَكَ اللَّهُ لَنَا فِيهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَمُرْنِي بِعَمَلٍ آخَرَ قَالَ: «اعْلَمْ أَنَّكَ لَنْ تَسْجُدَ لِلَّهِ سَجْدَةً إِلَّا رَفَعَ اللَّهُ لَكَ بِهَا دَرَجَةً، وَحَطَّ عَنْكَ بِهَا خَطِيئَةً»، وهكذا كان الصحابة يحرصون على الأعمال، ونيلها؛ لأجل الأجر الذي فيها، وكانوا يحتسبون الأجر في خطوات من المسجد، وقوي العزيمة لم يكن يتمنى الانتقال بقرب المسجد من أجل الأجر والثواب، ففي "صحيح مسلم"،(٦٦٣)، عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، قَالَ: كَانَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ بَيْتُهُ أَقْصَى بَيْتٍ فِي الْمَدِينَةِ، فَكَانَ لَا تُخْطِئُهُ الصَّلَاةُ مَعَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: فَتَوَجَّعْنَا لَهُ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا فُلَانُ لَوْ أَنَّكَ اشْتَرَيْتَ حِمَارًا يَقِيكَ مِنَ الرَّمْضَاءِ، وَيَقِيكَ مِنْ هَوَامِّ الْأَرْضِ، قَالَ: أَمَ وَاللهِ مَا أُحِبُّ أَنَّ بَيْتِي مُطَنَّبٌ بِبَيْتِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: فَحَمَلْتُ بِهِ حِمْلًا حَتَّى أَتَيْتُ نَبِيَّ اللهِ صلى الله عليه وسلم، فَأَخْبَرْتُهُ، قَالَ: فَدَعَاهُ، فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ، وَذَكَرَ لَهُ أَنَّهُ يَرْجُو فِي أَثَرِهِ الْأَجْرَ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ لَكَ مَا احْتَسَبْتَ"، والأجر لا يثبت إلا بالإخلاص، ولا يكتب إلا بالإخلاص، ولا يمكن أن يحصل الأجر إذا قارن العمل شرك، أو إرادة الدنيا، أخرج أبو داود في "سننه"،(٢٥١٦)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، رَجُلٌ يُرِيدُ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَهُوَ يَبْتَغِي عَرَضًا مِنْ عَرَضِ الدُّنْيَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "لَا أَجْرَ لَهُ" فَأَعْظَمَ ذَلِكَ النَّاسُ، وَقَالُوا لِلرَّجُلِ: عُدْ لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَلَعَلَّكَ لَمْ تُفَهِّمْهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، رَجُلٌ يُرِيدُ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَهُوَ يَبْتَغِي عَرَضًا مِنْ عَرَضِ الدُّنْيَا، فَقَالَ: "لَا أَجْرَ لَهُ" فَقَالُوا: لِلرَّجُلِ عُدْ لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ لَهُ: الثَّالِثَةَ. فَقَالَ لَهُ: "لَا أَجْرَ لَهُ"، وفي " جامع الترمذي"،(٢٥٦٨)، عَنْ زَيْدِ بْنِ ظَبْيَانَ، يَرْفَعُهُ إِلَى أَبِي ذَرٍّ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: "ثَلَاثَةٌ يُحِبُّهُمُ اللَّهُ، وَثَلَاثَةٌ يُبْغِضُهُمُ اللَّهُ، فَأَمَّا الَّذِينَ يُحِبُّهُمُ اللَّهُ، فَرَجُلٌ أَتَى قَوْمًا فَسَأَلَهُمْ بِاللَّهِ وَلَمْ يَسْأَلْهُمْ بِقَرَابَةٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ فَمَنَعُوهُ، فَتَخَلَّفَ رَجُلٌ بِأَعْيَانِهِمْ فَأَعْطَاهُ سِرًّا لَا يَعْلَمُ بِعَطِيَّتِهِ إِلَّا اللَّهُ، وَالَّذِي أَعْطَاهُ، وَقَوْمٌ سَارُوا لَيْلَتَهُمْ حَتَّى إِذَا كَانَ النَّوْمُ أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِمَّا يُعْدَلُ بِهِ نَزَلُوا فَوَضَعُوا رُءُوسَهُمْ، فَقَامَ أَحَدُهُمْ يَتَمَلَّقُنِي وَيَتْلُو آيَاتِي، وَرَجُلٌ كَانَ فِي سَرِيَّةٍ فَلَقِيَ العَدُوَّ فَهُزِمُوا وَأَقْبَلَ بِصَدْرِهِ حَتَّى يُقْتَلَ أَوْ يُفْتَحَ لَهُ، وَالثَّلَاثَةُ الَّذِينَ يُبْغِضُهُمُ اللَّهُ، الشَّيْخُ الزَّانِي، وَالفَقِيرُ المُخْتَالُ، وَالغَنِيُّ الظَّلُومُ"، فهذا قد بطل أجره وحبط عمله مع أنه قصد حصول الأجر؛ لما ضم إليه قصد الذكر بين الناس، فلم يخلص عمله للَّه فبطل كله[٩٢] وكما على المسلم أن يحرص على الأعمال الصالحة ولو كانت قليلة، فعليه أن يحذر المعاصي ولو كانت حقيرة؛ ويجب أن نحذر من نقصان الأجر، فهناك أعمال تنقص الأجور وتحبط العمل، ففي " مسند أحمد"، (٣٨١٨)، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ، فَإِنَّهُنَّ يَجْتَمِعْنَ عَلَى الرَّجُلِ حَتَّى يُهْلِكْنَهُ" وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ضَرَبَ لَهُنَّ مَثَلًا: كَمَثَلِ قَوْمٍ نَزَلُوا أَرْضَ فَلَاةٍ، فَحَضَرَ صَنِيعُ الْقَوْمِ، فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَنْطَلِقُ، فَيَجِيءُ بِالْعُودِ، وَالرَّجُلُ يَجِيءُ بِالْعُودِ، حَتَّى جَمَعُوا سَوَادًا، فَأَجَّجُوا نَارًا، وَأَنْضَجُوا مَا قَذَفُوا فِيهَا"، وفي " مسند أحمد"، (٢٢٨٠٨)، عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ فَإِنَّمَا مَثَلُ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ كَقَوْمٍ نَزَلُوا فِي بَطْنِ وَادٍ، فَجَاءَ ذَا بِعُودٍ، وَجَاءَ ذَا بِعُودٍ حَتَّى أَنْضَجُوا خُبْزَتَهُمْ، وَإِنَّ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ مَتَى يُؤْخَذْ بِهَا صَاحِبُهَا تُهْلِكْهُ».

---

٩٢ - ينظر: «عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين» (ص٤٢٩)

الإيمان والعمل الصالح سبب النجاح والفلاح والصلاح، وجِماعُ الخير كله الأعمال الصالحات، وجِماعُ الشر كله الأعمال السيئات[٩٣] وقد جعل الله الجنةَ ثوابًا لفعل الخيرات وترك المنكرات، وجعل النار عقابًا لفعل المنكرات وترك الخيرات، كما قال عز وجل: {فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (٦) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى (٧) وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى (٨) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى (٩) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى}[الليل: ٥ - ١٠]، وقال تعالى: {وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} [الزخرف: ٧٢]، وقال تعالى: {فَأَمَّا مَنْ طَغَى (٣٧) وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٣٨) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى}[النازعات: ٣٧ - ٣٩]، وقد جعل الله الأعمال الصالحات أسبابًا لكل خير في الدنيا والآخرة، قال تعالى: {فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ (٦) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ} [القارعة: ٦، ٧]، والإكثارُ من قليل الأعمال الصالحة يكون كثيرًا مباركًا، كما قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا}[النساء: ٤٠]؛ وطرق الخير كثيرة، وأبوابُ البرِّ مُشرَعةٌ مُفتَّحة، والأعمالُ الصالحةُ واسعةُ الميادين، قال تعالى: {وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ}[آل عمران: ١٣٣]، وقال تعالى: {سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ}[الحديد: ٢١]، وقال عز وجل: {فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ}[المائدة: ٤٨].

قرن الله تعالى بين الإيمان والعمل الصالح في كتابه العزيز ،في جميع المواضع، وهذا يدل على تلازمهما معاً ، فلا إيمان بلا عمل ، ولا عمل بلا إيمان ،فهما متلازمان تلازم الروح للجسد، قال تعالى: {قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا}، وكلما قوي إيمان المرء كلما كثرت أعماله الصالحة، وكلما ضعف إيمانه كلما قلت أعماله الصالحة، وكثرت أعماله الطالحة، فالتفكر في الكون، وكيف خلق الله الإنسان، والتفكر في الآخرة، وفي الموت، وأن الإنسان سوف يموت، وسوف يلاقي ربه، وذكر الآخرة والحساب والصراط والميزان، وتذكر عقوبة العاصين ونعيم المطيعين، كل هذا مما يقوي الإيمان ويثبته، ورأس ذلك كله تقوى الله سبحانه في السر والعلانية، والوقوف حيث أمر الله، فإذا قرأ الإنسان أية من كتاب الله، أو سمع حديثاً من كلام رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيه حرام فليزدجر وليرتدع، وإن كان فيه أمر فليمتثل وليعمل به، فهذه كلها مما يقوي الإيمان[٩٤]

إن من مقاصد السنة النبوية توسيع باب الخير، حتى يشمل أبسط أنواع المعاملات، وهذا يدل على أن الإسلام يُعلي من شأن العمل الأخلاقي، ويجعله في زمرة الطاعات إذا صاحبته نية خالصة، يُظهر حديث «كل معروف صدقة» بعدًا عظيمًا من أبعاد التشريع الإسلامي، ألا وهو توظيف الحياة اليومية في طاعة الله، حيث لا يُستهان بأي فعل خير، مهما صغر، ما دام مقصودًا به الوجه الكريم، فالدين ليس انقطاعًا عن الدنيا، بل تزكية للدنيا بالعبادة، من خلال نية خالصة، وسلوك قويم، وبذلك تصبح المعايش عبادة، والأقوال الطيبة صدقات، والأعمال الاجتماعية

---

٩٣ - ينظر: "الإيمانُ والعملُ الصالحُ سَببُ النَّجاح والفلاح"، (ص١)

٩٤ - ينظر: «مناهج التربية أسسها وتطبيقاتها» (ص١٣٧)

أفعالاً دينية، وهذا ما يجعل المسلم دائمًا في جِيرة الأجر، ما لم يشغله عن ذلك سوء النية أو التفريط في الشريعة[٩٥]

ختاماً: يُظهر حديث «كل معروف صدقة» بعدًا تربويًا عظيمًا في التشريع الإسلامي، حيث لم يقتصر الخير على الأعمال الروحية الظاهرة، بل شمل كل فعل طيب يُصلح ذات البين أو ينفع الناس، من رد السلام، وحسن المُعاملة، إلى إماطة الأذى عن الطريق، حيث جعلت كل عمل نافع، ولو بسيطًا، وسيلة للتقرب إلى الله، شريطة النية الصالحة، ويتجلى في حديث: «كل معروف صدقة» عظمة الشريعة الإسلامية في تشجيعها على فعل الخير وتوسيعها لباب الأجر، فلم يقتصر الخير على الصدقة المالية، بل شمل الابتسامة، وردّ السلام، وتعليم الخير، وكل ما ينفع الناس، وهذا يدل على أن العبادة في الإسلام ليست قاصرة على المحراب، بل تمتد إلى الشارع والبيت والمدرسة وبذلك يصبح المسلم دائمًا في عبادة ما دام قلبه موصولًا بالنية الصالحة، وعمله موجهًا لوجه الله، فالدين دينُ سهولة، ورحمة، وتشجيع على الخير المطلق، وهذا يُشعر المسلم بأن حياته كلها يمكن أن تكون عبادة، ما دام قلبه موصولًا بالنية الصالحة[٩٦]

٧- قيمة الإحسان في الإسلام:

الإحسان معناه مراقبة الله تعالى في السر والعلن، مراقبة من يحبه ويخشاه ويرجو ثوابه ويخاف عقابه بالمحافظة على الفرائض والنوافل واجتناب المحرمات والمكروهات والمحسنون هم السابقون بالخيرات المتنافسون في فضائل الأعمال.

الإحسان في التربية الإسلامية لا يُنظر إليه كفضيلة فردية فحسب، بل كمنهج حياة يُغرس في النفوس منذ الطفولة، ويُمارس في كل العلاقات الاجتماعية، وهو قيمة تربوية تتكامل مع الإيمان والتقوى، وتُعد من أهم أدوات بناء الشخصية المسلمة المتزنة[٩٧]

الإحسان قيمة إسلامية عظيمة، تتجلى في أسمى صورها في تعامل الإنسان مع الله ومع الخلق، وهو ليس مجرد عمل خير، بل هو منهج حياة وسلوك راقٍ يشمل جميع جوانب الحياة، كتب الله سُبْحَانَهُ الْإِحْسَان على كل شَيْء وَأخْبر أَنه يَأْمر بِهِ على الدَّوَام والاستمرار بقوله: {إِن الله يَأْمر بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَان}، وَرغب فِيهِ بقوله {إِن الله يحب الْمُحْسِنِينَ}، وَإِن أمراً يكون سَبباً لحب الله سُبْحَانَهُ لجدير بِأَن يحرص عَلَيْهِ ويتنافس فِيهِ ويبادر إِلَيْهِ وَلَا يتَقَيَّد ذَلِك الْإِحْسَان بالإنسان بل يجْرِي فِي حق الْمَلَائِكَة عليهم السلام فَإِنَّهُم يتأذون مِمَّا يتَأَذَّى مِنْهُ النَّاس بل يجْرِي فِي حق الْحَيَوَان الْمُحْتَرَم بل فِي غير الْمُحْتَرَم، أخرج مسلم في " صحيحه"،(١٩٥٥)، عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ، قَالَ: ثِنْتَانِ حَفِظْتُهُمَا عَنْ

---

٩٥ - ينظر: "دلالة الأحاديث النبوية على شمولية العبادة"، (ص٤٥)، و" مفهوم الصدقة في السنة النبوية دراسة تطبيقية"، (ص ١١٣)

٩٦ - ينظر: "الأعمال اليومية بين العبادة والعادة في ضوء السنة النبوية"، (ص ٥٥)، و"النية وأثرها في تحويل العادة إلى عبادة"، (ص٨٩)

٩٧ - ينظر: "الإحسان في ضوء التربية الإسلامية: دراسة تربوية أخلاقية"، (ص١١٧-١٢٠)، و«أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة» (ص٦١)

رَسُولِ اللَّه صلى الله عليه وسلم، قَالَ: "إِنَّ اللَّه كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذِّبْحَ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، فَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ".

وَالْإِحْسَان منحصر فِي جلب الْمصَالح ودرء الْمَفَاسِد وَهُوَ غَايَة الْوَرع أَعْلَاهَا إِحْسَان الْعِبَادَات وَهُوَ أَن تعبد الله عز وجل كَأَنَّك تراهُ فَإِن لم تكن تراهُ فَقدر أَنه يراك وأفضلهما أَن تعبد الله عز وجل مُقَدرا أَنَّك تراهُ فَإِنَّك إِذا قدرت فِي عبادتك ترى المعبود فَإِنَّك تعظمه غَايَة التَّعْظِيم وتجله أعظم الإجلال وَاعْتبر ذَلِك لَهَا صُورَة الأكابر والملوك فَإِن من نظر إِلَى ملك بِنَظَر إِلَيْهِ فَإِنَّهُ يعظمه أبلغ التَّعْظِيم ويهابه أتم المهابة ويتقرب إِلَيْهِ بغاية مَا يقدر عَلَيْهِ وَهَذَا مَحْكُوم بالعادات فَإِن عزفت عَن تَقْدِير رؤيتك إِيَّاه فقد ترى أَنه يراك وَينظر إِلَيْك فَإِنَّك تَسْتَحي مِنْهُ وَتَأْتِي بِعِبَادَتِهِ على أتم الْوُجُوه.

النَّوْع الثَّانِي الْإِحْسَان إِلَى الْخَلَائق وَذَلِكَ إِمَّا بجلب الْمَنَافِع أَو بِدفع المضار أَو بهما وَلَا فرق بَين قَلِيله وَكَثِيره وجليله وحقيره فَإِن {فَمن يعْمل مِثْقَال ذرة خيرا يره}، {وَإِن كَانَ مِثْقَال حَبَّة من خَرْدَل أَتَيْنَا بهَا وَكفى بِنَا حاسبين}، وعَلى الْجُمْلَة فالإحسان مَكْتُوب على كل شَيْء وكل مَعْرُوف صَدَقَة كالكلمة الطّيبَة وطلاقة الْوَجْه وتبسمه وانبساطه وهداية الطَّرِيق.

النَّوْع الثَّالِث إِحْسَان الْمَرْء إِلَى نَفسه بجلب مَا أَمر الله بجلبه من الْمصَالح الْوَاجِبَة والمندوبة ودرء مَا أَمر الله بدرئه عَنْهَا من الْمَفَاسِد الْمُحرمَة والمكروهة وَلَا فرق بَين قَلِيله وَكَثِيره وجليله وحقيره {فَمن يعْمل مِثْقَال ذرة خيرا يره وَمن يعْمل مِثْقَال ذرة شرا يره} و {من يعْمل سوءا يجز بِهِ} {وَإِن كَانَ مِثْقَال حَبَّة من خَرْدَل أَتَيْنَا بهَا}[٩٨]

الإحسان في السنة النبوية جاء بصيغ متعددة، منها الإحسان في العبادة، كما في حديث جبريل، ومنها الإحسان في المعاملة، كما في قوله صلى الله عليه وسلم: (إن الله كتب الإحسان على كل شيء)، وهو بذلك يشكّل قاعدة تشريعية وتربوية شاملة[٩٩]

الإحسان هو الإتقان، والإحسان الإتيان بالمطلوب شرعاً على وجه حسن، والإحسان بذل المعروف لعباد الله من قول أو فعل أو مال أو جاه، والإحسان ضد الإساءة، وهو فعل ما هو حسن وجميل، وترك ما هو سيء وقبيح، **وحقيقة الإحسان:** أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، وأن تبذل ما تستطيعه من النفع والخير للبلاد والعباد.

مقام الإحسان مقام رفيع؛ فهو غاية مراد الطالبين، ومنتهى قصد السالكين؛ أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك، الإحسان خلق جميل؛ هو دليل على النبل، واعتراف بالفضل، وعرفان للجميل، وقيام بالواجب، واحترام للمنعم، ينبئ عن الصفاء، وينطق بالوفاء، ويترجم عن السخاء؛ بالإحسان يشترى الحب، ويُخطب الودّ، وتكسب النفوس، ويُهيمن على القلوب، وتستعبد الأفئدة، الإحسان عطاء بلا حدود، وبذل بلا تردد، وإنعام دونما منّ، وإكرام لا يلحقه أذى فالمحسن لا يؤذي أحداً، فإن آذاه أحد عفا وصبر وصفح وغفر، وإذا عامل الناس عاملهم بالفضل والإحسان، فيعطيهم وإن منعوه، ويَصِلهم وإن قطعوه، ويمنّ عليهم وإن حرَموه، وإنما كان كذلك لأنه كان بالله غنياً، وبه راضياً، ومنه قريباً، ولديه حبيباً فمَن أحسن مع الله أحسن مع الناس، ووجد في قلبه سهولة الإحسان إليهم، كما قال تعالى: ﴿وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي

---

٩٨ - ينظر: «الفوائد في اختصار المقاصد» (ص٣٣-٣٦)، بتصرف

٩٩ - ينظر: "الإحسان في ضوء السنة النبوية"، (ص ٨٨-٩١)

بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ [فصلت: ٣٤،٣٥] أحسن فإن الإحسان طريق إلى عظيم الأجر وجزيل الثواب؛ قال سبحانه: ﴿ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة: ١١٢] ﴿ وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [هود: ١١٥]﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً﴾ [الكهف: ٣٠]، أحسن فإن الله مع المحسنين؛ قال عز وجل: ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾ [النحل: ١٢٨]أحسن فإن الإحسان سبيل إلى زيادة الفضل والخير والإكرام من الرحيم الرحمان؛ قال سبحانه: ﴿ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾، أحسن فإن الإحسان طريق إلى رِضَا الرحمن؛ قال سبحانه: ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠]، أحسن فإن الإحسان طريق إلى الجنة؛ قال سبحانه: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ ﴾ [يونس: ٢٦]. وقال عز وجل: ﴿فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: ٨٥][100]وقد كشف الله سبحانه عن حقيقة الإحسان في قوله تعالى: {لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ جُناحٌ فِيما طَعِمُوا إِذا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ، ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} ففي هذه الآية ما يكشف عن قيمة الإحسان، ومكانة المحسنين، إذ هو الغاية التي يبلغها المؤمنون بإيمانهم، وينالها المتقون بتقواهم، وعلى هذا يكون المتقون، والمحسنون في منزلتين من منازل الإيمان، وأن كلّا من المتقين والمحسنين له شرف «المعيّة» مع الله، وإن كان المحسنون أقرب قربا، وأكثر عطاء ورفداً[101]

الإحسان في الإسلام: خلق شامل ينسج كل جوانب الحياة، خلقًا شموليًا يتجاوز الحدود الضيقة للعبادة إلى فضاء الحياة كلها، إذ لا يُنظر إليه كفضيلة فردية فحسب، بل كمنهج متكامل في السلوك والتربية والعلاقات والمعاملات، الإحسان يُعد قيمة عليا في الإسلام، لا تقتصر على العبادة، بل تشمل المعاملة، والعمل، والتربية، ويُقدَّم على العدل عند التعارض، الإحسان أساس في بناء العلاقات الاجتماعية، ويُعد من أهم أدوات ترسيخ الثقة وتعزيز التماسك المجتمعي، وأوضحت السنة النبوية أن الإحسان كالروح يجب أن يسرى في كل أمور المسلم، كما يبرز حديث النبي البُعد التربوي للإحسان: (إن الله كتب الإحسان على كل شيء) يُعد قاعدة تربوية شاملة، تؤسس لسلوك المسلم في كل مجالات الحياة، من العبادة إلى الذبح، ومن القول إلى الفعل، الإحسان يُمارس في كل علاقة ومعاملة، ويُثمر الخشية والرقابة الذاتية، مما يجعله من صفات المؤمنين الذين يحبهم الله.

الإحسان مبدأ تشريعي يُطبّق في القضاء والمعاملات والعبادات، وقد قرره الفقهاء في أبواب متعددة، مما يدل على شموليته كمقصد شرعي يتغلغل في كل صور الحياة، فالإحسان في الإسلام ليس مجرد خلق، بل هو قيمة بنائية تتغلغل في جميع صور الحياة، وتُستثمر تربويًا واجتماعيًا وشرعيًا لبناء الإنسان المستخلف في الأرض وفق منظومة متكاملة من الإيمان والتزكية والعمل[102] الإحسان لا يقتصر على العبادة، بل يشمل المعاملة، ويُعد من أهم أدوات بناء الثقة الاجتماعية، وقد قرنه الله بالمغفرة

---

١٠٠ - الإحسان: فضله وحقيقته، عماري، الألوكة.

١٠١ - ينظر: «التفسير القرآني للقرآن» (٧/ ٤٠٢-٤٠٣)

١٠٢ - ينظر: "موسوعة المفاهيم الإسلامية العامة"، (ص٥)، و" الإحسان في القرآن الكريم والسنة النبوية"،(ص٢٢)، و" الإحسان وأثره في بناء المجتمع الإسلامي"،(ص٤١)، و" الإحسان في السنة النبوية: قراءة تربوية"،(ص٣٣)، و" الإحسان في الإسلام: دراسة فقهية مقارنة"،(ص١٦٣)

والعفو في قوله: {فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ}[١٠٣]الإحسان هو المرتبة العليا التي يسعى إليها المؤمن، وهي أن يعبد الله كأنه يراه، وهذا المقام يثمر الخشية والرقابة الذاتية، ويُعد من أعظم أسباب تزكية النفس[١٠٤]

الإحسان في العبادات :يكون باستكمال شروطها وأركانها، واستيفاء سننها وآدابها مع استغراق المؤمن في شعور قوى بأن الله عز وجل مراقبه حتى لكأنه يراه تعالى ويشعر بأن الله تعالى مطلع عليه، كما جاء في حديث جبريل.

والإحسان في باب المعاملات :يكون ببر الوالدين، من حيث طاعتهما، وإيصال الخير إليهما، وكف الأذى عنهما، والدعاء والاستغفار لهما، وإكرام صديقهما، وإنفاذ عهدهما، والإحسان إلى الزوجة كذلك بعض ما أمر به الاسلام في حسن معاملتها وإيفائها كافة حقوقها وحسن عشرتها، والاحتكام إلى أهلهما إن اختلفا، وعدم الاضرار بها بوجه من الوجوه كما ورد فما غير آية من القرآن، وهكذا يتنوع الإحسان تبعا لأحوال الاخرين: فهو للأقرب ببرهم والرحمة بهم والعطف عليهم مع الأقوال والأفعال الطيبة، ولليتامى :بصيانة حقوقهم، وتأديبهم، وتربيتهم، وعدم قهرهم، وللمساكين :بسد جوعتهم، وستر عورتهم، والحث على إطعامهم، وإبعاد الأذى والسوء عنهم، ولأبناء السبيل :بقضاء حاجتهم، وسد خلّتهم، وصيانة كرامتهم وبإرشادهم وهدايتهم، ولعامة الناس :بالتلطف في القول، والمجاملة في المعاملة، مع الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، ورد حقوقهم، وكف الأذى عنهم، والإحسان للحيوان :بإطعامه إذا جاع، ومداواته إذا مرض، والرفق به في العمل، وإراحته من التعب، ومن الإحسان :كثرة الجود ولا سيما في رمضان اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم، والإحسان في العمل إنما يكون بإجادته، وإتقان صنعته، مع البعد عن التزوير والغش، الإحسان في القرآن الكريم جاء مقرونًا بالعدل، كما في قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ}، وهذا يدل على أن الإحسان ليس مجرد تطوع، بل هو قيمة عليا تُطلب في كل مقام، ويُقدَّم على العدل عند التعارض[١٠٥]

وعليه نستخلص مما سبق: أن الإحسان هو مراقبة الله في السر والعلن، وهو خلقٌ يثمر الخشية والرقابة الذاتية، ويُعد من صفات المؤمنين الذين يحبهم الله، ويُمارس في كل علاقة ومعاملة، يشكّل جوهر السلوك الإسلامي، وأساسًا للتعامل مع الله والخلق والكون، وليس خلقًا فرعيًّا أو نُبلًا اختياريًّا، بل هو مرتبة من مراتب الدين، وركيزة تربوية واجتماعية تستهدف بناء الإنسان المتكامل، وقد دلّت النصوص الشرعية، من القرآن والسنة، على أن الإحسان يُطلَب في كل أمر، من العبادة إلى المعاملة، ويُعد من أعظم أسباب تزكية النفس وإصلاح المجتمع، وقد قرنه الله بالعدل والعفو، وجعل محبته للمحسنين دافعًا للسلوك الراقي في كل مجالات الحياة، يسهم في تعزيز الرقابة الذاتية، وتنمية الخشية، وبناء الثقة المجتمعية، فضلًا عن دوره في ترسيخ الروحانية والانضباط التربوي.

---

١٠٣ - ينظر: "الإحسان وأثره في بناء المجتمع الإسلامي" (ص٤١)

١٠٤ - ينظر: "مراتب الدين: الإسلام، الإيمان، الإحسان" (ص٥٨)

١٠٥ - ينظر: "موسوعة المفاهيم الإسلامية العامة"، (ص٥)، و"الإحسان في القرآن الكريم والسنة النبوية" (ص٢٢)

ومن هنا، فإن الاهتمام بهذه القيمة، تأصيلًا وتطبيقًا، يُعد مسارًا ضروريًّا في سبيل إصلاح الفرد والمجتمع، فهو أساس في بناء العلاقات الاجتماعية، ويُعد من أهم أدوات ترسيخ الثقة، وتعزيز روح التعاون، وتحقيق التماسك المجتمعي.

٨- قيمة وشمولية الصدقة في الإسلام:

تمثل الصدقة في التصور الإسلامي خلقًا شاملًا لا يقتصر على المال، بل يشمل كل معروف، قولًا وفعلًا، عبادةً ومعاملة، الصدقة امتداد لقيمة الإحسان، وتصلح أن تكون خلقًا يوميًا يمارسه المسلم في محيطه الاجتماعي والروحي، الصدقة في الإسلام **خلقٌ شامل** يشمل كل معروف يُقدَّم للناس، قولًا أو فعلًا، مما يجعلها ركنًا تربويًا واجتماعيًا متكاملًا، ليست مجرد بذل مالي، وإنما هي خلقٌ ينبض بالحياة، يمارَس في كل لحظة، ليكون المسلم بها فاعلًا في مجتمعه، مرتبطًا بقيم الإحسان والمروءة والنية الصالحة في كل تصرف[١٠٦]

الصدقة ليست مقصورة على المال، بل تشمل كل ما يُبذل من خير، كالكلمة الطيبة، وإماطة الأذى، والإرشاد، والتعليم، والدعاء، وكل معروف يُعد صدقة، (كل معروف صدقة) **يفتح بابًا واسعًا لفهم الصدقة بوصفها خلقًا شاملًا**، يتجاوز المال إلى كل فعل نافع، ولو كان تبسمًا أو إرشادًا، والصدقة في الإسلام تشمل كل ما فيه نفع للناس، سواء كان مالًا أو علمًا أو خدمة أو دعاء، وهي بهذا المعنى **خلق تربوي واجتماعي يربط الفرد بالمجتمع**، والصدقة تشمل كل معروف، وهذا يدل على أن الصدقة ليست محصورة في المال، بل هي خلق وسلوك يومي[١٠٧]

الصدقة تشمل كل ما يُسهم في بناء المجتمع، من تفريج كربة، أو تعليم جاهل، أو إصلاح ذات البين، وهي بهذا المعنى خلق اجتماعي شامل[١٠٨] الصدقة تكون بكل معروف، كما في الحديث، وهي تشمل الإحسان بالقول والفعل، حتى الدعاء والاستغفار، وكل ما فيه نفع للخلق، والصدقة تُغرس في النفوس منذ الصغر، وتشمل كل صور الإحسان، من مشاركة وجدانية، إلى خدمة اجتماعية، إلى بذل علم أو

---

١٠٦ - ينظر: "الصدقة غير المالية في السنة النبوية"، (ص٣٣)، و"الإحسان في الإسلام: دراسة تحليلية تأصيلية"، (ص١٤٧)

١٠٧ - ينظر: "الصدقة في السنة النبوية: دراسة موضوعية"، (ص٨٩)، الإحسان في الإسلام: دراسة تحليلية تأصيلية"، (ص٣٣)، و"أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة" (ص٢١١)

١٠٨ - ينظر: "الصدقة وأثرها في بناء المجتمع الإسلامي"، (ص٤١)

وقت، والصدقة من أعظم القربات، سواء كانت مالًا أو خدمة أو نصيحة، وهي دليل على صدق الإيمان[١٠٩]

قال الراغب في «المفردات في غريب القرآن» (ص٤٨٠):

«الصَّدَقَةُ: ما يخرجه الإنسان من ماله على وجه القربة كالزّكاة، لكن الصدّقة في الأصل تقال للمتطوّع به، والزّكاة للواجب، وقد يسمّى الواجب صدقة إذا تحرّى صاحبها الصّدق في فعله، قال تعالى: {خُذْ مِنْ أَمْوالِهِمْ صَدَقَةً} [التوبة: ١٠٣]». انتهى

وقد جاء في السنة قيام أعمال البر مقام الصدقة:

عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قَالَ يُصْبِحُ عَلَى كُلِّ سُلَامَى مِنْ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ، فَكُلُّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنْ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَيُجْزِئُ مِنْ ذَلِكَ رَكْعَتَانِ يَرْكَعُهُمَا مِنْ الضُّحَى وفي رواية: "تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ، وَأَمْرُكَ بِالمَعْرُوفِ وَنَهْيُكَ عَنِ المُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَإِرْشَادُكَ الرَّجُلَ فِي أَرْضِ الضَّلَالِ لَكَ صَدَقَةٌ، وَبَصَرُكَ لِلرَّجُلِ الرَّدِيءِ البَصَرِ لَكَ صَدَقَةٌ، وَإِمَاطَتُكَ الحَجَرَ وَالشَّوْكَةَ وَالعَظْمَ عَنِ الطَّرِيقِ لَكَ صَدَقَةٌ، وَإِفْرَاغُكَ مِنْ دَلْوِكَ فِي دَلْوِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ" وفي رواية: "يُصْبِحُ عَلَى كُلِّ سُلَامَى مِنْ أَحَدِكُمْ فِي كُلِّ يَوْمٍ صَدَقَةٌ، فَلَهُ بِكُلِّ صَلَاةٍ صَدَقَةٌ، وَصِيَامٍ صَدَقَةٌ، وَحَجٍّ صَدَقَةٌ، وَتَسْبِيحٍ صَدَقَةٌ، وَتَكْبِيرٍ صَدَقَةٌ، وَتَحْمِيدٍ صَدَقَةٌ"، فَعَدَّ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مِنْ هَذِهِ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، ثُمَّ قَالَ: "يُجْزِئُ أَحَدَكُمْ مِنْ ذَلِكَ رَكْعَتَا الضُّحَى".

وعَنْ أَبِي ذَرٍّ أَنَّ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، قَالُوا لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالْأُجُورِ، يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَيَتَصَدَّقُونَ بِفُضُولِ أَمْوَالِهِمْ، قَالَ صلى الله عليه وسلم: "أَوَلَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ مَا تَصَّدَّقُونَ؟ إِنَّ بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةً، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنْ مُنْكَرٍ

١٠٩- ينظر: "الصدقة في ضوء التربية الإسلامية"، (ص١١٧)، و"الفقه الإسلامي وأدلته"، (٢/ ١٠٥٦)

صَدَقَةٌ، وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيَأْتِي أَحَدُنَا شَهْوَتَهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ؟، قَالَ: "أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ أَكَانَ عَلَيْهِ فِيهَا وِزْرٌ؟ فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلَالِ كَانَ لَهُ أَجْرٌ"

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «كُلُّ سُلاَمَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ، كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ، يَعْدِلُ بَيْنَ الِاثْنَيْنِ صَدَقَةٌ، وَيُعِينُ الرَّجُلَ عَلَى دَابَّتِهِ فَيَحْمِلُ عَلَيْهَا، أَوْ يَرْفَعُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ، وَالكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ خُطْوَةٍ يَخْطُوهَا إِلَى الصَّلاَةِ صَدَقَةٌ، وَيُمِيطُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ»، وفي رواية:" وَدَلُّ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ».

أخرج البخاري في " صحيحه"،(٨٨١)، ومسلم في " صحيحه"،(٨٥١)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «مَنِ اغْتَسَلَ يَوْمَ الجُمُعَةِ غُسْلَ الجَنَابَةِ ثُمَّ رَاحَ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَدَنَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَقَرَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّالِثَةِ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ كَبْشًا أَقْرَنَ، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الرَّابِعَةِ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ دَجَاجَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الخَامِسَةِ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَيْضَةً، فَإِذَا خَرَجَ الإِمَامُ حَضَرَتِ المَلَائِكَةُ يَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ».

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «دِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي سَبِيلِ اللهِ وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي رَقَبَةٍ، وَدِينَارٌ تَصَدَّقْتَ بِهِ عَلَى مِسْكِينٍ، وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ عَلَى أَهْلِكَ، أَعْظَمُهَا أَجْرًا الَّذِي أَنْفَقْتَهُ عَلَى أَهْلِكَ»، وعَنْ ثَوْبَانَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «أَفْضَلُ دِينَارٍ يُنْفِقُهُ الرَّجُلُ، دِينَارٌ يُنْفِقُهُ عَلَى عِيَالِهِ، وَدِينَارٌ يُنْفِقُهُ الرَّجُلُ عَلَى دَابَّتِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَدِينَارٌ يُنْفِقُهُ عَلَى أَصْحَابِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ»، قَالَ أَبُو قِلَابَةَ: "وَبَدَأَ بِالْعِيَالِ، ثُمَّ قَالَ أَبُو قِلَابَةَ: وَأَيُّ رَجُلٍ أَعْظَمُ أَجْرًا، مِنْ رَجُلٍ يُنْفِقُ عَلَى عِيَالٍ صِغَارٍ يُعِفُّهُمْ أَوْ يَنْفَعُهُمُ اللهُ بِهِ، وَيُغْنِيهِمْ»، وعَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا إِلَّا كَانَ مَا أُكِلَ مِنْهُ لَهُ صَدَقَةً، وَمَا سُرِقَ مِنْهُ لَهُ صَدَقَةٌ، وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ مِنْهُ فَهُوَ لَهُ صَدَقَةٌ، وَمَا أَكَلَتْ الطَّيْرُ فَهُوَ لَهُ صَدَقَةٌ، وَلَا يَرْزَؤُهُ أَحَدٌ، إِلَّا كَانَ لَهُ صَدَقَةٌ"، وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا، فَيَأْكُلُ مِنْهُ إِنْسَانٌ، أَوْ طَيْرٌ، أَوْ بَهِيمَةٌ، إِلَّا كَانَت لَهُ صَدَقَة»، وعَنْ أَبِي بَرْزَةَ الْأَسْلَمِيِّ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مُرْنِي بِعَمَلٍ أَعْمَلُهُ؟، قَالَ: «أَمِطْ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ؛ فَهُوَ لَكَ صَدَقَةٌ»، وعَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: قَالَ لِيَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ»، وعَنْ أَبِي ذَرٍّ

رضي الله عنه قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: الْإِيمَانُ بِاللَّهِ وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ" قَالَ, قُلْتُ: أَيُّ الرِّقَابِ أَفْضَلُ؟ قال صلى الله عليه وسلم: "أَنْفَسُهَا عِنْدَ أَهْلِهَا وَأَكْثَرُهَا ثَمَنًا", قَالَ قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ أَفْعَلْ؟ قَالَ صلى الله عليه وسلم: "تُعِينُ صَانِعًا أَوْ تَصْنَعُ لِأَخْرَقَ"، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ إِنْ ضَعُفْتُ عَنْ بَعْضِ الْعَمَلِ؟ قَالَ صلى الله عليه وسلم: "تَكُفُّ شَرَّكَ عَنْ النَّاسِ؛ فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ مِنْكَ عَلَى نَفْسِكَ".

أخرج أحمد في " المسند"،(١١٨٠٨)، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِأَصْحَابِهِ الظُّهْرَ، قَالَ: فَدَخَلَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «مَا حَبَسَكَ يَا فُلَانُ عَنِ الصَّلَاةِ؟» قَالَ: فَذَكَرَ شَيْئًا اعْتَلَّ بِهِ، قَالَ: فَقَامَ يُصَلِّي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «أَلَا رَجُلٌ يَتَصَدَّقُ عَلَى هَذَا فَيُصَلِّيَ مَعَهُ» قَالَ: فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ فَصَلَّى مَعَه.

وفي " سنن ابن ماجه"،(٢١٣٨)، عَنِ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِ يكَرِبَ الزُّبَيْدِيِّ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: "مَا كَسَبَ الرَّجُلُ كَسْبًا أَطْيَبَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَمَا أَنْفَقَ الرَّجُلُ عَلَى نَفْسِهِ وَأَهْلِهِ وَوَلَدِهِ وَخَادِمِهِ، فَهُوَ صَدَقَةٌ".

اسم الصَّدقة يقع على كل نوع من المعروف١١٠ أورد ابن حبان في «التقاسيم والأنواع» (١/ ٢٦٤)، "ذِكْرُ تَفَاصِيلِ الْمَعْرُوفِ الَّذِي يَكُونُ صَدَقَةَ الْمُسْلِمِ.....".

أخرج البخاري في " صحيحه"، (١٤٣٥)، ومسلم في " صحيحه"،(١٤٤)، عَنْ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ عُمَرُ رضي الله عنه: أَيُّكُمْ يَحْفَظُ حَدِيثَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَنِ الفِتْنَةِ؟ قَالَ: قُلْتُ: أَنَا أَحْفَظُهُ كَمَا قَالَ، قَالَ: إِنَّكَ عَلَيْهِ لَجَرِيءٌ، فَكَيْفَ؟ قَالَ: قُلْتُ: " فِتْنَةُ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ، وَوَلَدِهِ، وَجَارِهِ، تُكَفِّرُهَا الصَّلَاةُ، وَالصَّدَقَةُ وَالمَعْرُوفُ - قَالَ سُلَيْمَانُ: قَدْ كَانَ يَقُولُ: الصَّلَاةُ وَالصَّدَقَةُ، وَالأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ - وَالنَّهْيُ عَنِ المُنْكَرِ "، قَالَ: لَيْسَ هَذِهِ أُرِيدُ، وَلَكِنِّي أُرِيدُ الَّتِي تَمُوجُ كَمَوْجِ البَحْرِ، قَالَ: قُلْتُ: لَيْسَ عَلَيْكَ بِهَا يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ بَأْسٌ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا بَابٌ مُغْلَقٌ، قَالَ: فَيُكْسَرُ البَابُ أَوْ يُفْتَحُ، قَالَ: قُلْتُ: لَا بَلْ يُكْسَرُ، قَالَ: فَإِنَّهُ إِذَا كُسِرَ لَمْ يُغْلَقْ أَبَدًا، قَالَ: قُلْتُ: أَجَلْ، فَهِبْنَا أَنْ نَسْأَلَهُ مَنِ البَابُ فَقُلْنَا لِمَسْرُوقٍ:

---

١١٠ - ينظر: " فضائل الصدقة"، (ص١٤-١٥)، و" الصدقة"، (ص٥)

سَلْهُ، قَالَ: فَسَأَلَهُ، فَقَالَ: عُمَرُ رضي الله عنه، قَالَ: قُلْنَا، فَعَلِمَ عُمَرُ مَنْ تَعْنِي؟ قَالَ: نَعَمْ، كَمَا أَنَّ دُونَ غَدٍ لَيْلَةً وَذَلِكَ أَنِّي حَدَّثْتُهُ حَدِيثًا لَيْسَ بِالأَغَالِيطِ.

قال ابن رجب في «جامع العلوم والحكم» (٢/ ٥٨-٧١):

«ومعنى هذا أنَّ الفقراء ظنُّوا أن لا صدقةَ إلَّا بالمال، وهم عاجزون عن ذلك، فأخبرهُم النبيُّ صلى الله عليه وسلم أن جميعَ أنواع فعلِ المعروف والإحسان صدقة، .. فالصدقة تُطلق على جميع أنواع فعل المعروف والإحسان، حتَّى إنَّ فضل الله الواصل منه إلى عبادة صدقة منه عليهم، .. وقد قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم في قصر الصَّلاة في السفر: "صدقةٌ تصدَّقَ اللهُ بها عليكم، فاقبلوا صدقتَه"، وقال: من كانت له صلاة بليلٍ، فغلب عليه نومٌ فنام عنها، كتب الله له أجرَ صلاتِه، وكان نومُه صدقةً مِنَ اللهِ تصدَّق بها عليه". خرَّجه النسائي وغيرُه من حديث عائشة، وخرَّجه ابن ماجه من حديث أبي الدرداء، وفي "مسندي" بقي بن مخلد والبزار من حديث أبي ذرٍّ مرفوعًا: "ما من يوم ولا ليلة ولا ساعة إلا لله فيها صدقة يَمُنُّ بها على مَنْ يشاءُ مِنْ عِباده، وما منَّ الله على عبد مثلَ أن يُلهِمَهُ ذكره"، وقال خالدُ بن معدان: إن الله يتصدَّقُ كلَّ يوم بصدقة، وما تصدَّق الله على أحد من خلقِه بشيءٍ خيرٍ من أن يتصدَّق عليه بذكره.

والصدقة بغير المال نوعان[١١١]:

أحدهما: ما فيه تعدية الإحسان إلى الخلق، فيكون صدقةً عليهم، وربما كان أفضلَ من الصدقة بالمال، وهذا كالأمر بالمعروف، والنَّهي عن المنكر، فإنَّه دُعاءٌ إلى طاعة الله، وكفٌّ عن معاصيه، وذلك خيرٌ من النَّفع بالمال، وكذلك تعليمُ العلم النافع، وإقراءُ القرآن، وإزالةُ الأذى عن الطريق، والسعيُ في جلب النفع للناس، ودفعُ الأذى عنهم. وكذلك الدُّعاءُ للمسلمين والاستغفارُ لهم.

وخرَّج ابنُ مردويه بإسنادٍ فيه ضعفٌ عن ابن عمر مرفوعًا: "مَنْ كانَ له مالٌ، فليتصدَّق من ماله، ومن كان له قوَّةٌ، فليتصدَّق من قوَّته، ومن كان له عِلْمٌ، فليتصدَّق من عِلْمِه" ولعله موقوف، وخرَّج الطبراني بإسناد فيه ضعف عن سَمُرَة، عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم قال: "أفضلُ الصدقة اللسانُ" قيل: يا

---

١١١ - ينظر: «أحكام القرآن» للجصاص (٢/ ٣٥٢)

رسول الله وما صدقةُ اللسان؟ قال: "الشفاعةُ تَفُكُّ بها الأسيرَ، وتحقِنُ بها الدَّم، وتَجُرُّ بها المعروف والإحسان إلى أخيك، وتدفعُ عنه الكريهة"، وقال عمرو بنُ دينار: بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ما مِنْ صدقةٍ أحبَّ إلى الله من قول، ألم تسمع إلى قوله تعالى: {قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ} [البقرة: ٢٦٣] " خرَّجه ابن أبي حاتم، وفي مراسيل الحسن عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم: "إن مِنَ الصَّدقة أن تسلِّم على النَّاس وأنت طليق الوجه" خرَّجه ابن أبي الدُّنيا، وقال معاذ: تعليمُ العلم لمن لا يعلمه صدقةٌ. وروي مرفوعًا.

ومن أنواع الصدقة: **كفُّ الأذى عن النَّاسِ**، ففي "الصحيحين" عن أبي ذرٍّ قال: قلت: يا رسول الله أيُّ الأعمال أفضل؟ قال: "الإيمانُ والجهادُ في سبيله"، قلت: فأيُّ الرِّقاب أفضلُ؟ قال: "أنفسُها عندَ أهلها وأكثرها ثمنًا" قلت: فإن لم أفعل؟ قال: "تُعين صانعًا، وتصنع لأخرقَ" قلتُ: يا رسولَ الله، أرأيتَ إن ضَعُفْتُ عن بعض العمل؟ قال: "تكفُّ شرَّك عَن النَّاس، فإنَّها صدقةٌ"، وقد رُوِيَ في حديث أبي ذرٍّ زياداتٌ أخرى، فخرَّج الترمذي من حديث أبي ذرٍّ عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم قال: "تبسُّمك في وجه أخيك لك صدقةٌ، وأمرُك بالمعروف، ونهيُك عن المنكر صدقةٌ، وإرشادُك الرَّجُلَ في أرض الضَّلال لك صدقةٌ، وإماطتُك الحجرَ والشَّوكَ والعظمَ عن الطَّريق لك صدقةٌ، وإفراغُكَ من دلوِكَ في دلوِ أخيكَ لك صدقة وخرَّج ابن حبَّان في "صحيحه" من حديث أبي ذرٍّ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لَيْسَ من نفسِ ابن آدم إلَّا عليها صدقةٌ في كلِّ يوم طلَعت فيه الشَّمسُ". قيل: يا رسول الله، ومن أين لنا صدقة نتصدَّقُ بها؟ قال: "إن أبواب الخير لكثيرةٌ: التسبيحُ، والتكبير، والتحميد، والتهليل، والأمر بالمعروف، والنَّهيُ عن المنكرِ، وتميطُ الأذى عن الطَّريقِ، وتُسمعُ الأصمَّ، وتهدي الأعمى، وتدُلُّ المستَدِلَّ على حاجته، وتسعى بشدَّةِ ساقيكَ مع اللَّهفان المستغيثِ، وتحمِلُ بشدّةِ ذراعيكَ مع الضَّعيف، فهذا كُلُّه صدقةٌ منكَ على نفسك" وخرَّج الإمام أحمد من حديث أبي ذرٍّ قال: قلتُ: يا رسولَ الله ذهبَ الأغنياءُ بالأجر، يتصدَّقون ولا نتصدَّق، قال: "وأنت فيك صدقةٌ: رفعُك العظمَ عَنِ الطَّريقِ صَدقةٌ، وهدايتُكَ الطَّريقَ صدقةٌ، وعونُكَ الضَّعيفَ بفضلِ قوَّتك صدقةٌ، وبيانُك عن الأَغتَم صدقةٌ، ومباضعتُك امرأتَك صدقةٌ"، قلت: يا رسول الله، نأتي شهوتنا ونؤجر؟! قال: "أرأيت لو جعله في حرام، أكان يأثَمُ؟ " قال: قلتُ: نعم، قال: "أفتحتسبون بالشرّ ولا تحتسبون بالخير؟ " وفي رواية أخرى، فقال

النبيُّ صلى الله عليه وسلم: "إنَّ فيك صدقةً كثيرةً، فذكر فضلَ سمعك وفضل بصرك"، وفي رواية أخرى للإمام أحمد: قال: "إن من أبواب الصدقةِ التَّكبير وسبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، وأستغفر الله، وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وتَعْزِلُ الشوكةَ عَنْ طريق الناس والعظم والحجر، وتهدي الأعمى، وتُسمع الأصمَّ والأبكم حتى يفقَه، وتدلُّ المستدلَّ على حاجةٍ له قد علمتَ مكانَها، وتسعى بشدَّةِ ساقيك إلى اللَّهفان المستغيثِ، وترفَعُ بشدَّة ذراعَيْكَ مَعَ الضعيف، كلُّ ذلك من أبواب الصدقة منك على نفسك وظاهر هذه الأحاديث كلّها يدلُّ على أن هذه الأشياء تكونُ صدقة يُثاب عليها الزارعُ والغارسُ ونحوهما من غير قصدٍ ولا نية.

والنوع الثاني من الصدقة التي ليست مالية: ما نفعُه قاصرٌ على فاعله، كأنواع الذِّكر: مِنَ التَّكبير، والتَّسبيح، والتَّحميد، والتَّهليل، والاستغفار، وكذلك المشيُ إلى المساجدِ صدقة، ولم يذكر في شيءٍ من الأحاديث الصَّلاة والصيام والحج والجهاد أنَّه صدقة، وأكثرُ هذه الأعمال أفضلُ من الصَّدقاتِ الماليَّة، لأنَّه إنَّما ذكر ذلك جوابًا لسؤالِ الفُقراء الَّذينَ سألوه عمَّا يُقاوم تطوَّع الأغنياء بأموالهم، وأما الفرائض، فقد كانوا كلهم مشتركين فيها وقد تكاثرتِ النُّصوصُ بتفضيل الذكر على الصدقة بالمال وغيرها من الأعمال، كما في حديث أبي الدرداء، عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم، قال: "ألا أنبِّئُكُم بخيرِ أعمالكم، وأزكاها عند مليكِكُم، وأرفعِها في درجاتكم، وخيرٍ لكم من إنفاق الذهب والفِضة، وخيرٍ لكم من أن تَلْقَوا عدوَّكم، فتضربوا أعناقهم، ويضربوا أعناقكم؟ " قالوا: بلى يا رسول الله، قال: "ذكرُ اللهِ عز وجل" خرَّجه الإمام أحمد والترمذي، وذكره مالك في "الموطأ" موقوفًا على أبي الدرداء، وفي "الصحيحين" عن أبي هريرة، عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم، قال: "مَنْ قال: لا إله إلا الله وحدَه لا شَريكَ له، له الملكُ، وله الحمدُ، يُحيي ويُميت، وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ في يوم مئة مرَّة، كانت له عَدْلَ عشر رقاب، وكُتبت له مئة حسنةٍ، ومُحيت عنه مئة سيئةٍ، وكانت له حِرْزًا من الشَّيطان يومَه ذلك حتَّى يُمسي، ولم يأتِ أحدٌ بأفضلَ ممَّا جاءَ به إلَّا أحدٌ عَمِلَ أكثرَ من ذلك"، وفيهما أيضًا عن أبي أيوبَ، عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم، أنَّه قال: "من قالها عشرَ مرَّاتٍ، كان كمن أعتقَ أربعةَ أنفُسٍ مِنْ ولدِ إسماعيل"، وخرَّج الإمام أحمد، والترمذي من حديث أبي سعيدٍ أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم سُئِلَ: أيُّ العباد أفضلُ درجة عندَ اللهِ يومَ القيامة؟ قال: "الذاكرون الله كثيرًا" ...". انتهى بتصرف

يتبين لنا مما سبق كثرة أبواب الخير وتنوّعها، وترتّب الأجر على قليل العمل الحسن وكثيره، وأنّ الصدقة لا تنحصر بالمال، وأنّ في الإسلام أعمالًا لا تحتاج لجهد ولا لمال ومع ذلك فيها من الأجر الكبير دل الحديث على أن جميع المعروف والإحسان يعتبر في الشرع صدقة وأن الصدقة ليست محصورة في بذل المال بل هي عامة في كل معروف، ليس المراد من الحديث حصر أنواع الصدقة بالمعنى الأعم فيما ذكر فيه بل التنبيه به على ما بقي منها ويجمعها كل ما فيه نوع نفع للنفس أو للغير[١١٢]وقد تكاثرت النصوص في الشرع بهذا المعنى فالذكر باللسان صدقة والتبسم في وجه المسلم صدقة وبذل المعروف للغير صدقة والأمر بالمعروف صدقة والنهي عن المنكر صدقة وإرشاد الضائع صدقة وكف الأذى عن المسلمين صدقة وإعانة الأخرق صدقة وإزالة الأذى من الطريق صدقة وتعليم العلم النافع صدقة وإقراء القرآن صدقة والشفاعة للمسلمين صدقة والسعي في قضاء حوائجهم صدقة والنفقة على الأهل صدقة وإطعام الحيوان صدقة وفي هذه النصوص دليل على أن الإسلام دين رحمة وإحسان أتى لرعاية الإنسان والحيوان والجماد واستصلاح الأرض وعمارتها بما ينفع البلاد والعباد.

الصدقاتُ الجارية قال فيها النبي صلى الله عليه وسلم: "إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ". هذه ثلاثة أعمال يجري للإنسان أجرها حتى بعد موته: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له، وقد جاء المراد بالصدقة الجارية مفصلًا في الأحاديث الأخرى، وكل عمل صالح ينفع الناس والحيوان هو صدقة جارية: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "سَبْعَةٌ يَجْرِي لِلْعَبْدِ أَجْرُهُنَّ وَهُوَ فِي قَبْرِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ: مَنْ عَلَّمَ عِلْمًا، أَوْ أَجْرَى نَهَرًا، أَوْ حَفَرَ بِئْرًا، أَوْ غَرَسَ نَخْلًا، أَوْ بَنَى مَسْجِدًا، أَوْ وَرَّثَ مُصْحَفًا، أَوْ تَرَكَ وَلَدًا يَسْتَغْفِرُ لَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ)، فهذه هي الصدقات الجارية التي لا تنقطع بموت الإنسان ومن أعظمها: العلم تعليمًا وتعلُّمًا، ونشرًا ودعوة، أجره عظيم عند الله سبحانه وتعالى، وكذلك من رزقه الله ولدًا صالحًا ذكرًا كان أم أنثى، فأجره ونفعه يلحق والديه بعد موتهما، ومن الصدقات الجارية والتي وردت في الحديث غرس النخل، ومن الصدقات الجارية كذلك الصدقة بالماء بحفر الآبار، أو بمدِّ شبكاتِ المياه؛ ليشرب الناس

---

١١٢ - ينظر: «الفتوحات الربانية على الأذكار النواوية» (١/ ٢٣٤)

والحيوان منها، ويؤيد ذلك ما ورد في الحديث عَنْ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ رضي الله عنه قَالَ: (قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ أُمِّي مَاتَتْ، أَفَأَتَصَدَّقُ عَنْهَا؟ قَالَ: نَعَمْ، قُلْتُ: فأيُّ الصدقة أفضل؟ قَالَ: سَقْيُ الْمَاءِ).

الصدقات الجارية ليست محصورة بعمل معين بل كل مال أخرجته، فأوقفته لله سبحانه وتعالى، تنتفع به مخلوقات الله سبحانه وتعالى، فهذا أجره عظيم عند الله، وهي تشمل كل أنواع الخير المتعدي نفعها إلى الآخرين مما دل الشرع على فضله وأجر فاعله في حياته وبعد مماته.

ومن أنواع الصدقة: أداءُ حقوق المسلم على المسلم:

فعن أبي هريرة، عن النَّبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم، قال: «حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ خَمْسٌ رَدُّ السَّلَامِ وَعِيَادَةُ الْمَرِيضِ وَاتِّبَاعُ الْجَنَائِزِ وَإِجَابَةُ الدَّعْوَةِ وَتَشْمِيتُ الْعَاطِسِ»، وفي روايةٍ لمسلم: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم قَالَ: «حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ»، قِيلَ: مَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللهَ فَسَمِّتْهُ وَإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ»، وعَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رضي الله عنه قَالَ: أَمَرَنَا النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله وسلم بِسَبْعٍ: بِاتِّبَاعِ الْجَنَائِزِ، وَعِيَادَةِ الْمَرِيضِ، وَإِجَابَةِ الدَّاعِي، وَنَصْرِ الْمَظْلُومِ، وَإِبْرَارِ الْقَسَمِ، وَرَدِّ السَّلَامِ، وَتَشْمِيتِ الْعَاطِسِ».

ومن أنواع الصَّدقة: إنظارُ المعسر:

عَنْ بُرَيْدَةَ الْأَسْلَمِيِّ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم قَالَ: «مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا كَانَ لَهُ بِكُلِّ يَوْمٍ صَدَقَةٌ، وَمَنْ أَنْظَرَهُ بَعْدَ حِلِّهِ كَانَ لَهُ مِثْلُهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ صَدَقَةٌ»

ومن أنواع الصَّدقة: الإحسّان إلى البهائم، كما قال النَّبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم لما سُئِلَ عن سقيها، فقال: «في كُلِّ كَبِدٍ رِطْبَةٍ أجْرٌ»، وأخبر أنَّ بغيًّا سقت كلبًا يلهثُ مِن العطش، فغفر لها».

ومن ذلك: التَّواضعُ في اللِّباس، والمشي، والهدي، واكتساب الحلال، والتحرِّي فيه، ومنها أيضًا: محاسبةُ النفس على ما سلف من أعمالها، والندم والتوبة من الذنوب السالفة، والحزن عليها، والبكاء من خشية الله تعالى، والتفكر في ملكوت السماوات والأرض، وفي أمور الآخرة، وما فيها مِنَ الوعد

والوعيد ونحوِ ذلك مما يزيد الإيمانَ في القلب، وينشأ عنه كثيرٌ من أعمال القلوب، كالخشية، والمحبَّةِ، والرَّجاء، والتوكُّل، وغير ذَلِكَ[١١٣]

والوقفُ نوعٌ من أنواعِ الصدقةِ في الإسلام، ويُعرَفُ بأنه حبسُ الأصلِ وتسبيلُ منفعتِه وقد أرشدَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم إليه نفرًا من الصحابةِ جاؤوا يستشيرونَه، ففي صحيح البخاريّ: أن عمرَ بنَ الخطابِ رضي الله عنه أصاب أرضًا بخيبرَ، فأتى النبيَّ صلى الله عليه وسلم يستأمرُه فيها، فقال: يا رسولَ الله، إني أصبتُ أرضًا بخيبرَ لم أُصِبْ مالًا قطُّ أنفسَ عندي منها، فما تأمرُ به؟ قال: ((إن شئتَ حَبَستَ أصلَها وتصدَّقتَ بها)) قال: فتصدَّقَ بها عمرُ أنه لا يُباعُ ولا يُوهب ولا يورَثُ، وهذا نموذجٌ من نماذجِ الوقفِ في عصرِ النبوة فعند أحمدَ والبخاريِّ ومسلمٍ عن أنس لما نزلتْ {لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ} جاء أبو طلحةَ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسولَ الله، يقول تعالى في كتابه: {لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ} وإنَّ أحبَّ أموالي إليَّ بَيْرَحاءُ، قال: وكانت حديقةً كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يدخلُها ويستظلُّ بها ويشربُ من مائِها - فهي إلى الله عز وجل وإلى رسولِه صلى الله عليه وسلم أرجو بِرَّه وذُخْرَه، فضَعْها - أيْ رسولَ الله - حيثُ أراكَ اللهُ...."

الإنفاق من صفات المتقين قال الله عز وجل: (الم (١) ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ (٢) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣)) يضاعف للمنفق أضعافا كثيرة قال الله عز وجل: (مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢٤٥))، ويقول عزوجل: (مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِئَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٢٦١))، ويقول الله تعالى: (فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٦) إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ (١٧))

---

١١٣ - ينظر: «شعاع من المحراب» (٩/ ١٩٣): «دليل الواعظ إلى أدلة المواعظ» (١/ ٤٢٧-٤٣٠) «دروس تربوية من الأحاديث النبوية» (ص٦٢ بترقيم الشاملة آليا)، بتصرف

الإنفاق فرصة عظيمة للنجاة في يوم لا بيع فيه ولا خله ولا شفاعة، قال الله عز وجل: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ)، ويقول عزوجل (قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آَمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ)، المنفقون ابتغاء مرضاة الله كمثل جنة بربوه طيبة خصبة، قال الله عز وجل: (وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآَتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ)، المنفقون في سبيل الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون قال الله عز وجل: (الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٢٦٢) مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ (٢٦٣))، ويقول الله تعالى: (الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)، الصدقة خير للمنفق وتكفر السيئات عنه قال الله عز وجل: (وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (٢٧٠) إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ(٢٧١) لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ (٢٧٢) لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ(٢٧٣))، الإنفاق سبب في نوال البر قال الله تعالى: (لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ (٩٢)) المنفقون في السراء والضراء لهم مغفرة من ربهم وجنة عرضها السماوات و الأرض قال الله تعالى: (وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣٤))، فضل الصدقة على الإصلاح بين الناس قال الله تعالى: (لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (١١٤))، المنفقون لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم قال الله تعالى

(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣) أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٤)) ما انفق المنفقون يوف إليهم وهم لا يظلمون، قال الله تعالى: (وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ (٦٠))، الذين أنفقوا سرا وعلانية لهم عقبى الدار قال الله تعالى: (وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ (٢٢) جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ (٢٣) سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ (٢٤))، الإنفاق من صفات المخبتين المتواضعين الرقيقة قلوبهم، قال الله تعالى: (وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ (٣٤) الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣٥)) المنفقون يؤتون أجرهم مرتين قال الله تعالى: (أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٥٤)) المنفقون لا يعلمون ما اخفي لهم من قرة أعين قال الله تعالى: (إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (١٥) تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (١٦) فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٧))، الذين ينفقون سرا وعلانية يرجون تجاره لن تبور قال الله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ (٢٩) لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ (٣٠)) المنفقون لهم أجر كبير وكريم قال الله تعالى: (آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ (٧))، و يقول عزوجل: (مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ (١١))، وقال الله تعالى: (إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ (١٨)) المنفق لا يندم حين الموت قال الله تعالى: (وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ (١٠)) ما يقدمه المنفق يجد أعظم منه عند الله عزوجل قال الله تعالى: (وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا

وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢٠) المنفق المخلص يجنبه الله النار قال الله تعالى: (فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى (١٤) لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى (١٥) الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى (١٦) وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى (١٧) الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى (١٨) وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى (١٩) إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى (٢٠) وَلَسَوْفَ يَرْضَى (٢١)) الليل.

وقد وردت في السنة النبوية عدد من الأحاديث في فضل الإنفاق والصدقة.

من فوائد الإنفاق[١١٤]

١ - الإنفاق من كمال الإيمان وحسن الإسلام.

٢ - دليل حسن الظن بالله والثقة به.

٣ - أداء شكر نعمة الله - عز وجل - بالمال إذ إن المالك على الحقيقة هو الله - عز وجل.

٤ - سبب نيل حب الله - عز وجل - وحب الخلق.

٥ - تقوية العلاقات الاجتماعية بين أفراد الأمة.

٦ - مواساة الفقراء والمحتاجين وسد حاجة المعوزين.

٧ - الإسهام في حل مشكلة الفقر التي أعجزت العالم المعاصر.

٨ - إشاعة التراحم والتّوادّ في المجتمع بدلاً من الشحناء والبغضاء.

٩ - تزكية النفس وتطهيرها بإخراج الشح منها.

١٠ - الإنفاق سبب بركة المال ونمائه ووقاية للإنسان من المصائب والبلايا.

١١ - الإنفاق طريق موصل إلى الجنة.

١٢ - الإنفاق يجعل لصاحبه مكانه اجتماعية مرموقة.

١٣ - الإنفاق يدعم الروابط الأسرية ويقوي الصلات بين أفراد المجتمع.

١٤ - الإنفاق يكفر فتنة الرجل في أهله وجاره.

١٥ - المنفق يستظل بظل الله عز وجل يوم لا ظل إلا ظله.

---

١١٤ - ينظر: «نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم» (٣/ ٦٢٨)

١٦ - الإنفاق دليل الطبع السليم والأريحية الكريمة ومدعاة لنصرة الله عز وجل[١١٥]

وهكذا، فإن الصدقة في الإسلام تُعد منهجًا تربويًا واجتماعيًا، يُمارَس في كل لحظة، ويُستثمر في بناء الإنسان والمجتمع، حيث تمثل الصدقة التطوعية وسيلة فعّالة لتحقيق التكافل الاجتماعي، حيث تساهم في سد احتياجات الفقراء، وتخفيف معاناتهم، وتعزيز الروابط الإنسانية[١١٦]، ويُربط بقيم الإحسان والمروءة والنية الصالحة، مما يجعلها من أعظم القربات وأوسع أبواب الخير، تُظهر هذه النصوص أن الصدقة ليست مجرد بذل مادي، بل هي خلق يُمارس يوميًا ويشمل كل وجوه المعروف، قولًا وفعلًا، وهي بذلك تؤسس لأخلاق المسلم الفاعل في المجتمع، المرتبط بقيم الإحسان والنية الصالحة في كل تعامل، فالصدقة في الإسلام لا تقتصر على المال، بل تشمل كل ما يُقدَّم من خير، حتى الكلمة الطيبة، والابتسامة، والمساعدة المعنوية.

٩- قيمة شكر الناس على المعروف وأثره في تنمية الوعي المجتمعي:

شكر الناس على المعروف: خلق نبيل وأثر اجتماعي في البناء الإسلامي حيث يُعد شكر الناس على المعروف خلقًا نبويًا أصيلًا، لا يُنظر إليه في الإسلام كمجرد سلوك اجتماعي، بل هو عبادة قلبية تُسهم في ترسيخ ثقافة الإحسان والاعتراف بالفضل، وتُعزز من تماسك المجتمع وتراحم أفراده، والشكر في السنة النبوية لا يقتصر على شكر الله، بل يشمل شكر الناس أيضًا، لما له من أثر في استمرار المعروف، وتعزيز روح الإحسان في المجتمع بل إن من دوافع استمرار فعل الخير وصنع المعروف في المجتمع أن يُذكر لصاحب المعروف معروفه، وأن يُشكر عليه، وهذا ما تؤكده السنة النبوية في أحاديث متعددة [١١٧] ويحظى خلق الشكر بمكانة رفيعة في التصور الإسلامي، إذ لا يُنظر إليه كفضيلة أخلاقية فحسب، بل كعبادة قلبية تُسهم في استدامة المعروف وبناء مجتمع قائم على التعاون والاحترام والامتنان، فهو من القيم الإنسانية الراقية التي حثّ عليها الإسلام، وجعلها امتدادًا عمليًا لشكر الله، كما في " جامع الترمذي"،(١٩٥٥)، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ اللَّهَ"، فالشكر لا يقتصر على ردّ الجميل، بل يعبّر عن وعي أخلاقي واجتماعي يُرسّخ ثقافة الاعتراف، ويُسهم في تعزيز روابط التراحم والتكافل بين أفراد المجتمع.

---

[١١٥] - ينظر: " فضل الصدقة و الإنفاق"،(ص١٠)

١١٦ - ينظر: " "الصدقة التطوعية ودورها في التكافل الاجتماعي في الشريعة الإسلامية""، (ص٤٥-٤٧)

١١٧ - ينظر: "شكر الناس على المعروف ودوره في المجتمع: دراسة موضوعية في السنة النبوية"، (ص٤٣٥- ٤٣٨)

الشكر يُحفّز على الإحسان ويُعد من أدوات بناء الثقة الاجتماعية، كما أنه يُعزز قيمة الوفاء في المجتمع، شكر الناس على المعروف يُعد من صور الإحسان، ويُمارَس في كل لحظة، ويُسهم في بناء مجتمع متماسك ومتراحم[١١٨]

الشكر في الإسلام لا يُنظر إليه كمجرد رد فعل، بل كخلق يُمارس بوعي، ويُعد من أعظم أسباب نيل رضا الله والناس[١١٩] الشكر يُشكّل سلوكًا تربويًا يمهّد لبناء شخصية سوية ومجتمع واعٍ بقيمة الفرد وعطائه؛ كما أنه يُحفّز على استمرار فعل الخير، ويُسهم في بناء مجتمع قائم على الوفاء والتقدير، وهو ما وصفه د. دراز بأنه "قاعدة أخلاقية عظيمة تربط بين شكر الناس وشكر الله، وتُظهر أن الامتنان للخلق هو امتنان للخالق، لأن الله هو من سخّرهم لفعل الخير"[١٢٠]هذا الشكر يُرسّخ ثقافة الاعتراف بالفضل، ويُسهم في تعزيز العلاقات الاجتماعية، ويمنع القطيعة والجحود" وهذا الامتنان يُربّي النفس على التواضع، ويُشعر الآخرين بقيمة عطائهم، مما يُحفّزهم على الاستمرار في فعل الخير، فشكر الناس لا يُعد مجاملة اجتماعية فحسب، بل هو عبادة قلبية تعبّر عن إدراك المسلم لفضل الآخرين، وتسهم في بناء مجتمع متراحم ومتعاون، والشكر مطلوب حتى في أبسط صور المعروف، كالكلمة الطيبة أو الابتسامة، لأن الاعتراف بالجميل يُنمي الحس الإنساني ويُقوّي الروابط الاجتماعية، شكر الناس يُحفّزهم على الاستمرار في فعل الخير، ويُشعرهم بقيمة عطائهم، وهو بذلك يُعد من أدوات بناء الثقة الاجتماعية[١٢١] شكر الناس يُعد من صور الوفاء، وهو خلق يُربّي النفس على التواضع، ويُشعر الآخرين بقيمة عطائهم، مما يُحفّزهم على الاستمرار في فعل الخير[١٢٢]

وقد أيدت هذه المعاني نصوصٌ شرعية عظيمة، منها قول الله تعالى:﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ وهو تأصيل قرآني لمبدأ المكافأة المعنوية والاعتراف بالفضل، وتحث على مقابلة المعروف بالمعروف، وهو جوهر الشكر المجتمعي، وقال سبحانه: ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ﴾ تدعو الآية إلى رد التحية بأفضل منها، وهو من صور الاعتراف بالفضل والشكر العملي للناس، وقال سبحانه: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ وإن كانت الآية في شكر الله، فإنها تؤسس لمبدأ أن الشكر سبب للزيادة، وينسحب ذلك على شكر الناس أيضًا، أخرج النسائي في "سننه"،(٢٥٦٧)، عَنْ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "مَنِ اسْتَعَاذَ بِاللَّهِ فَأَعِيذُوهُ، وَمَنْ سَأَلَكُمْ بِاللَّهِ فَأَعْطُوهُ، وَمَنِ اسْتَجَارَ بِاللَّهِ فَأَجِيرُوهُ، وَمَنْ آتَى إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَعْلَمُوا أَنْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ"، حديث صريح يربط بين شكر الناس وشكر الله، ويُظهر أن الجحود للناس يُفضي إلى ضعف الشكر لله، وفي " جامع الترمذي"،(٢٠٣٤)، عَنْ جَابِرٍ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "مَنْ أُعْطِيَ عَطَاءً فَوَجَدَ فَلْيَجْزِ بِهِ، وَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَلْيُثْنِ، فَإِنَّ مَنْ أَثْنَى فَقَدْ شَكَرَ، وَمَنْ كَتَمَ فَقَدْ كَفَرَ"، يُبرز الحديث أهمية الثناء كصورة من صور الشكر، ويُدين كتمان المعروف، ويُظهر الحديث أن الدعاء يُعد مكافأة معنوية، ويُرسّخ ثقافة الوفاء والامتنان، أخرج الترمذي في " جامعه"،(٢٠٣٥)، عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ قَالَ:

---

١١٨ - ينظر: "أثر الأخلاق في بناء المجتمع الإسلامي"، (ص ٤١) و"الإحسان في الإسلام: دراسة فقهية مقارنة"، (ص ١٦٣)

١١٩ - ينظر: "الصدق والشكر في ضوء القرآن والسنة"،(ص٧٤)

١٢٠ - ينظر: "أصول الأخلاق الإسلامية"، (ص ٢١٥)

١٢١ - ينظر: " أثر الأخلاق في بناء المجتمع الإسلامي"،(ص٤١)، و التربية الأخلاقية في الإسلام"،(ص٣٣)

١٢٢ - ينظر: "القيم الأخلاقية في الإسلام"،(ص٨٨)، و"الآداب الإسلامية في العلاقات الإنسانية"، (٢/ ١٠٥٦)

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: " مَنْ صُنِعَ إِلَيْهِ مَعْرُوفٌ فَقَالَ لِفَاعِلِهِ: جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا فَقَدْ أَبْلَغَ فِي الثَّنَاءِ "، يُعد هذا الحديث تأصيلًا للعبارة الشرعية في الشكر، ويُبرز أثرها في حفظ المعروف

نخلص إلى أن شكر الناس على المعروف يُجسّد قيمة إسلامية عميقة تمتد من النفس إلى المجتمع، ويُسهم في ترسيخ روح الإحسان والثقة والتكافل، وشكر الناس على المعروف لا يُعد سلوكًا فرديًا أو مجاملة اجتماعية فحسب، بل هو خلق إيماني رفيع، مرتبط جوهريًا بشكر الله ذاته، والشكر في الإسلام لا يُنظر إليه كمجرد رد فعل، بل كخلق يُمارَس بوعي، ويُعد من أعظم أسباب نيل رضا الله والناس.

١٠-التربية الاجتماعية في الإسلام:

من بيئات[١٢٣] التربية الإسلامية المجتمع يقول الله تعالى: {وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لا يَخْرُجُ إِلاَّ نَكِداً}، وهذه الآية توضح لنا أن التربية لا تتم إلا في إطار اجتماعي وداخل مجتمع مسلم نظيف، والسلوك الإنساني عبارة عن التفاعل بين الظروف الاجتماعية البيئية والطبيعة الإنسانية[١٢٤] حيث ينمو الفرد بيولوجياً سواءً عاش داخل مجتمع إنساني أو معزولاً عنه، لكن شخصية الفرد وتميزه وتكامل تلك الشخصية الإنسانية لا تتم ولا تنمو إلا في إطار اجتماعي إنساني، لذا يحق لنا أن نقول أنه لا شخصية للفرد بدون مجتمع ولا مجتمع بدون ثقافة، فالثقافة[١٢٥] إذن هي الوسط الذي تنمو فيه شخصية الفرد، بمعنى أنها الوسيلة التي تُشكل أفكار الفرد، ومعتقداته، وخبراته، ودوافعه، وطرق تعبيره وانفعالاته، ومن هنا يؤكد علماء الاجتماع أن طابع الشخصية له علاقة وثيقة بنمط الثقافة الذي تعيش فيه هذه الشخصية، ومن هنا أمكن أن نقول إن شخصية الفرد صورة للثقافة التي نشأ فيها[١٢٦]

قال د. زهران في: " التوجيه والإرشاد النفسي"،(ص:٣٢٢)

"الإنسان كائن اجتماعي، لديه حاجات نفسية واجتماعية لا بد من إشباعها في إطار اجتماعي مثل الحاجة إلى الأمن، والنجاح، والاعتراف، والتقدير، والمكانة، والشعور بالانتماء، والشعور بالمسئولية، والحب والمحبة، والمسايرة، وتجنب اللوم، والانقياد، والسلطة والضبط والتوجيه ... إلخ". انتهى

إن المجتمع المسلم يتميز في عقيدته التي ينشأ منها سلوكه والمصدر الذي يلتقى منه سلوكه والأخلاق التي يتميز بها عن غيره[١٢٧] ويمتاز الفقه الإسلامي عن القوانين بأنه يتناول **علاقات الإنسان**

---

١٢٣ - ينظر:" بيئات التربية الإسلامية" (١٩/ ٣٥٩)

١٢٤ -ينظر: "بيئات التربية الإسلامية"، (١٩/ ٣٦٢-٣٦٥)

١٢٥ - الثقافة هي الإطار العام الذي يحدد للإنسان سلوكه وتفكيره، وهي التي تُكسبه القيم والمعايير الاجتماعية، وتُعد التربية الوسيلة التي تنقل هذه الثقافة من جيل إلى آخر، وتُسهم في تشكيل شخصية الفرد وفقًا لمقتضيات المجتمع.

انتهى من: " في التربية والثقافة"، (ص٤٥)

١٢٦ -ينظر:" من مفاهيم ثقافتنا الإسلامية"، (٦/ ٢٤٠)

١٢٧ - جاء في: «الإيمان باليوم الآخر وأثره على الفرد والمجتمع» (ص٧٢٥):

الثلاث: علاقته بربه، وعلاقته بنفسه، وعلاقته بمجتمعه، لأنه للدنيا والآخرة، ولأنه دين ودولة، وعام للبشرية وخالد إلى يوم القيامة، فأحكامه كلها تتآزر فيها العقيدة والعبادة والأخلاق والمعاملة، لتحقق بيقظة الضمير، والشعور بالواجب، ومراقبة الله تعالى في السر والعلن، واحترام الحقوق غاية الرضا والطمأنينة والإيمان والسعادة والاستقرار، وتنظيم الحياة الخاصة والعامة وإسعاد العالم كله[١٢٨]، فهذه الشريعة: شريعة التيسير، وشريعة المساهمة، وشريعة الرحمة والإحسان، وشريعة المصلحة الراجحة، وشريعة العناية بكل ما فيه نجاة العباد وسعادتهم وحياتهم الطيبة في الدنيا والآخرة، فالله عز وجل أمر الناس في كتابه الكريم بما فيه صلاح القلوب وإصلاح البواطن، وما ذلك إلا لأن صلاح الباطن واستقامة القلوب وطهارتها هو الأصل الأصيل والركيزة العظيمة لإصلاح العباد من جميع الوجوه[١٢٩]

مجتمع الأخوة والمساواة والكفاية والعدل بين المسلمين الذين يتساوون في الواجبات والحقوق: "الْمُؤْمِنُونَ تَتَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ يَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ، وَهُمْ يَدٌ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ، ..."النسائي،(٤٧٤٦)،فالمجتمع عامل تربوي فعّال يحتاج إلى تضافر المؤسسات في تحقيقه لمسؤولياته التربوية، والمجتمع هو الذي تتعمق فيه بالممارسة معاني الود والرحمة والإيثار والتضحية، فالمسلمون في توادهم وتراحمهم جسد واحد ألف الله بين أعضائه بنعمته بعد أن كانوا أعداء، وقد ضرب المسلمون الأوائل أروع الأمثلة في ممارسة التكافل الاجتماعي والإيثار مع الحاجة والتضحية في سبيل الغير فقد كان أصحاب رسول الله ﷺ ترسل إليهم الأموال الكثيرة فيوزعونها على المحتاجين وينسون أنفسهم وهم أحوج ما يكونون إليها وكانوا رحماء فيما بينهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا.[١٣٠]، وهكذا أوجد الإسلام أمة لا يعيش أفرادها لأنفسهم وإنما يعيشون لأمتهم يفدونها بالروح والمال، والزكاة في الإسلام أكبر مظهر من مظاهر التضامن الاجتماعي، الذي يعمل على توحد القلوب وإزالة الأحقاد، وقد حرص الإسلام على تنظيم العلاقات بين الناس حفاظاً على الكيان الاجتماعي وصيانة له من التمزق والاضطراب، كالميراث والتجارة والزراعة والصناعة، وثبت على مدى التاريخ الإسلامي سلامة الأسس والمبادئ التي جاء عليها نظام الميراث في الإسلام، وكانت الأوامر الإلهية واضحة في العمليات التجارية، فلا غش ولا خداع ولا استغلال:{وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ}{وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ} {الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا}، وقد أوجب للعامل أجراً يتقاضاه جزاء عمله، كما حثه على الإخلاص في العمل والتفاني في إجادته، {وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ

" أثر الإيمان باليوم الآخر على المجتمعات من الناحية السلوكية والأخلاقية: إن الإيمان باليوم الآخر، له أثره الفعال في تقويم السلوك، ومعالجة الانحرافات، والتي بدورها تسهم في تنظيم العلاقات ا لبشرية، وتسيير الحياة الإنسانية، بأبهى صورة، وأجمل حُلة..." انتهى

١٢٨ - ينظر: "الفقه الإسلامي وأدلته "، (١/ ٣٣)،و" رسالة في الفقه الميسر"،(ص:٧)

١٢٩ - ينظر: " الشريعة الإسلامية ومحاسنها وضرورة البشر إليها"، (٤٥/ ١٩)

١٣٠ - ينظر:" بيئات التربية الإسلامية"،(ص:١١٨)،و "مناهج التربية أسسها وتطبيقاتها"،(ص:١٨٩)،و"نظرات في التربية الإيمانية"،(ص:٤)،و"التوازن التربوي وأهميته لكل مسلم"،(ص:٩)، و"القيم و الأساليب التربوية المستنبطة من سورة السجدة"،(ص:٢٥٠-٢٦٠)

وَالْمُؤْمِنُونَ}، وهكذا تناولت التعاليم الإسلامية كل جوانب المجتمع بما يكفل له الأمن والاستقرار، وهكذا نجد أن الإسلام قد نظم المجتمع تنظيماً دقيقاً يكفل له السعادة والأمن، مما يجعله مجتمعاً متآلفاً ومتعاوناً في طريق الخير والسلام والمحبة[١٣١]، فقد نظمت الشريعة الفقه في المعاملات والعقود، فوضعت له منهجًا عامًا، يسلكه الأفراد في معاملاتهم المختلفة لبناء أخلاقهم من خلال قضاء حاجاتهم وتحقيق أغراضهم، وهذا المنهج الإسلامي في بناء الأخلاق اقتضى أن يكون الأساس في عقود المعاملات هي مصالح المجتمع، ومقاصد الأفراد، لأن الأصل في العادات والمعاملات العفو والإباحة، ولا حظر على شيء منها إلا ما نصَّ الشرع بتحريمه، ومن هنا يستنكر الله على الشركاء الذين شرعوا لغيرهم ما لم يأذن به الله، {أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ} ، وجعل ذلك افتراء يستحقون عليه العذاب، قال تعالى: {وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ}،وهذه قاعدة عظيمة نافعة، وإذا كان كذلك فنقول: البيع والهبة والإجارة وغيرها من العادات التي يحتاج الناس إليها في معاشهم كالأكل والشرب واللباس، فإن الشريعة قد جاءت في هذه العادات، التي يحتاج الناس إليها في معاشهم كالأكل والشرب والباس، فحرمت منها ما فيه فساد وأوجبت ما لا بد منه، وكرهت ما لا ينبغي، واستحبت ما فيه مصلحة راجحة في أنواع هذه ومقاديرها وصفاتها، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ...} [البقرة: ٢٨٢] ، وعند البخاري،(٢٠٨٢)، ومسلم،(١٥٣٢)، عَنْ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "الْبَيِّعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا، فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا، وَإِنْ كَذَبَا وَكَتَمَا مُحِقَ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا" ، وفي "سنن أبي داود"،(٣٣٨٣)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَفَعَهُ قَالَ: " إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: أَنَا ثَالِثُ الشَّرِيكَيْنِ مَا لَمْ يَخُنْ أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ، فَإِذَا خَانَهُ خَرَجْتُ مِنْ بَيْنِهِمَا "، وعند الترمذي،(١٢٥٠)، عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ رَجُلًا كَانَ فِي عُقْدَتِهِ ضَعْفٌ، وَكَانَ يُبَايِعُ، وَأَنَّ أَهْلَهُ أَتَوْا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، احْجُرْ عَلَيْهِ، فَدَعَاهُ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَنَهَاهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي لَا أَصْبِرُ عَنِ الْبَيْعِ، فَقَالَ: "إِذَا بَايَعْتَ فَقُلْ هَاءَ وَهَاءَ، وَلَا خِلَابَةَ" ، وهذا المنهج الإسلامي في بناء الأخلاق يقتضي أيضًا تحقيق العدل لا الظلم بين المتعاقدين، فلا يحلُّ مال مسلم إلا عن طيب نفسه، بأن تكون طائعة راضية غير مكرهة أو مخدوعة، فقد نهى الإسلام عن المعاملات التي قامت على أكل المال بالباطل، كالربا والميسر والغش وبيع الغرر، وستر العيب، وغيرها مما ينطوي على الظلم، قال سبحانه محرماً أكل الأموال بالتزوير والاحتيال كالرشوة، ونحوها: {وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ}[البقرة: ١٨٨]،وقال سبحانه: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ} [البقرة:٢٩]، وفي "مسند أحمد"،(٢٤٣٩٤)،عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "هَذِهِ الدُّنْيَا خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ، فَمَنْ آتَيْنَاهُ مِنْهَا شَيْئًا بِطِيبِ نَفْسٍ مِنَّا، وَطِيبِ طُعْمَةٍ مِنْهُ، وَلَا إِشْرَافٍ مِنْهُ، بُورِكَ لَهُ فِيهِ، وَمَنْ آتَيْنَاهُ مِنْهَا شَيْئًا بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ

---

١٣١ - ينظر:" طرق تدريس التربية الإسلامية نماذج لإعداد دروسها"،(ص:٥٦-٥٩)

منًّا، وَغَيْرِ طِيبِ طُعْمَةٍ، وَإِشْرَاهٍ مِنْهُ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ"، وعند ابن حبان ،(٤٩٦٧)، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّ يَهُودِيًّا قَدِمَ زَمَنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِثَلَاثِينَ حِمْلِ شَعِيرٍ، وَتَمْرٍ، فَسَعَّرَ مُدًّا، بِمُدِّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَيْسَ فِي النَّاسِ يَوْمَئِذٍ طَعَامٌ غَيْرُهُ، وَكَانَ قَدْ أَصَابَ النَّاسَ قَبْلَ ذَلِكَ جُوعٌ، لَا يَجِدُونَ فِيهِ طَعَامًا، فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، النَّاسُ يَشْكُونَ إِلَيْهِ، غَلَاءَ السِّعْرِ، فَصَعِدَ الْمِنْبَرَ، فَحَمِدَ اللَّهَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: "لَا أَلْقَيَنَّ اللَّهَ مِنْ قَبْلِ أَنْ أُعْطِيَ أَحَدًا مِنْ مَالِ أَحَدٍ، مِنْ غَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ، إِنَّمَا الْبَيْعُ عَنْ تَرَاضٍ، وَلَكِنَّ فِي بُيُوعِكُمْ خِصَالًا، أَذْكُرُهَا لَكُمْ، لَا تُضَاغِنُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا يَسُومُ الرَّجُلُ، عَلَى سَوْمِ أَخِيهِ، وَلَا يَبِيعَنَّ حَاضِرٌ لِبَادٍ"، والفقه الإسلامي اعتنى بأحكام المال عناية فائقة، في أبواب البيوع والإجارة والزكاة، وسائر المعاملات، وحرم الربا، وذكر أنواعه وشبهاته، فترك بذلك أثراً تربوياً طيباً، جعل الناشئ اقتصاديًّا، يخشى الله في المال، فلا يسرف ولا يبذر ولا يبدد، ويحترم أموال الآخرين فلا يقربها، ولا يفكر في اغتصابها أو الاحتيال في أخذها، كما ربى الإنسان على احترام العمل، والكسب الحلال، وشرع الميراث للولد صغيرًا كان أم كبيرًا[١٣٢]

وهذا المنهج الإسلامي في بناء الأخلاق يقتضي أيضًا الفضائل والقضاء على الرذائل، بأن تقوم المعاملات على تزكية الإنسان بالآداب الكريمة والأخلاق الفاضلة، وعلى المحافظة على الشعائر والقيم الإسلامية النبيلة، وإلا اهتزَّ نظام المجتمع، وتدمرت حياة الفرد، لفقدان الثقة، وغروب الأمن والطمأنينة، ولذلك وصف الله عباده المؤمنين في تجارتهم وبيعهم ومعاملاتهم بقوله تعالى: {رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ، لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ}، ولذلك نهى الإسلام عن عقود ومعاملات قامت على المفاسد، ونهى أيضًا عن البيع علي بيع أخيه، لأنه يعقب في النفس الشحناء والحقد والبغضاء، فقد نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ بَيْعِ الغَرَرِ، وَبَيْعِ الحَصَاةِ، "لَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَلَا يَبِعْ حَاضِرٌ لِبَادٍ، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَلَقَّوُا السِّلَعَ"، ونهى عن البيع إذا نُودي للصلاة، وخاصة لصلاة الجمعة: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ}، وهذا المنهج الإسلامي في بناء الأخلاق يقتضي أيضًا في المعاملات الإحسان، والصدق القائم على الوضوح والبيان، لا على الغش، وكتمان العيب، والتدليس، والخيانة، قال النبي ﷺ: "البَيِّعَانِ بِالخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا - أَوْ قَالَ: حَتَّى يَتَفَرَّقَا - فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا، وَإِنْ كَتَمَا وَكَذَبَا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا "، البخاري،(٢٠٧٩)، ويحضّ على السماحة في المعاملة، لأنها دليل الأخلاق الفاضلة الكريمة والآداب الإسلامية، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا سَمْحًا إِذَا بَاعَ، وَإِذَا اشْتَرَى، وَإِذَا اقْتَضَى"، البخاري،(٢٠٧٦)، وعند النسائي،(٤٦٩٦)،عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "أَدْخَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ رَجُلًا كَانَ سَهْلًا مُشْتَرِيًا، وَبَائِعًا، وَقَاضِيًا، وَمُقْتَضِيًا الْجَنَّةَ"، وعند الترمذي،(١٣١٩)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:

---

١٣٢ - ينظر:" أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع "،(ص:٦٣)

"إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ سَمْحَ البَيْعِ، سَمْحَ الشِّرَاءِ، سَمْحَ القَضَاءِ"، وينهي الإسلام عن كثرة الحلف وترويج السلعة، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "الْحَلِفُ مَنْفَقَةٌ لِلسِّلْعَةِ مَمْحَقَةٌ لِلْكَسْبِ" البخاري،(٢٠٨٧)، وعند أحمد،(٧٢٠٧)،"الْيَمِينُ الْكَاذِبَةُ مَنْفَقَةٌ لِلسِّلْعَةِ مَمْحَقَةٌ لِلْكَسْبِ"وَقَالَ ابْنُ جَعْفَرٍ: "الْبَرَكَةَ"، ونهى الإسلام عن المطل والتسويف فهما ظلم وظلمات، فعند مسلم،(١٥٦٤)،عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: "مَطْلُ الْغَنِيِّ ظُلْمٌ، وَإِذَا أُتْبِعَ أَحَدُكُمْ عَلَى مَلِيءٍ فَلْيَتْبَعْ"، وعند مسلم،(١٠٢)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ مَرَّ عَلَى صُبْرَةِ طَعَامٍ فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهَا، فَنَالَتْ أَصَابِعُهُ بَلَلاً فَقَالَ: "مَا هَذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ؟ " قَالَ أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: "أَفَلَا جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ كَيْ يَرَاهُ النَّاسُ، مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنِّي"، وبهذا المنهج الإسلامي القويم في بناء خلق المسلم من خلال سائر العقود والمعاملات تتكون الغاية من شريعة الإسلام، حيث جاء لتحقيق هذا الهدف وهو **"البناء الخلقي"**، تارة عن طريق العبادات، وتارة عن طريق المعاملات والعقود، وتارة عن غيرها مما جاءت به الشريعة ، فكلها عند الله سواء، لا فرق بين العبادات والمعاملات في تقديس الله وعبادته، لأن امتثال أمر الله ونهيه، وصهر الأعمال بالنية الخالصة لوجه الله، تحول العقود والمعاملات، وأي عمل دنيوي ومادي إلى عبادة يُثاب عليها المرء عند الله، لأنها تُضفي على هذا العمل لباس التقوى، وتضفي عليه طابعًا روحيًّا، كما أن المعاملات والعقود عبادة، لأن لها هدفًا ساميًا نبيلاً، وهو بناء حضارة الدنيا، امتثالاً لأمر الله، واستجابة لخلافته في الأرض، حتى يسعد الفرد، وتسعد البشرية جمعاء، اعتقادًا منه بمسئوليته أمام ربه عن ذلك، ومحاسبته له،{فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ}، وكذلك العقود والمعاملات تتم من خلال **مراقبة ذاتية داخلية** تخشى الله وتتقيه في كل عقد ومعاملة، فالله يراه ويطّلع عليه، ولا يخشى أحدًا ولا سلطانًا ولا قانونًا إلا تبعًا وتاليًا للمراقبة الذاتية، وعلى تربية هذه العاطفة الربانية بنيت بعض العبادات كالصوم، وتحريم الصيد في الحج: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ}، كما بني كثير من المعاملات الإسلامية عليها كالنصح في البيع والشراء، ورعاية اليتيم وحسن معاملة الزوجة، والعدل بين الأولاد، فكل من خاف ربه كان إنساناً فاضلاً عادلاً في سلوكه ومعاملاته، ومن لم يستح من ربه يفعل ما يشاء بلا ضابط ولا وازع، إنها عاطفة الخوف من الله التي أمر الله بها، لأن المؤمن على يقين بأن الله يراه، **وهذا المنهج هو خلق القرآن** ، الذي سمَّا به النبي: {وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيم}١٣٣، وقد حدد الإسلام هذه العلاقات في إطار عام من القيم الاجتماعية والروحية والأخلاقية، وكانت أنواع العبادات مظهراً مجسماً لهذه القيم، ومحدداً لها في سلوك دائم لا ينقطع عنه الإنسان، ولا ينفك منه إلا إذا خرج على عقيدته وتحلل من قدسية الدين، وجاء الإسلام منظماً لكل هذه العلاقات مرتقياً بها إلى أقصى غايات السمو النفسي والعقلي والروحي، وعلى الرغم من أنها استقرت في ذاكرة ذاك الإنسان التي تكونت عبر التاريخ وانطبعت آثارها في عاداته المجتمعية، إلا أن الإسلام وضع لها سبل الكمال، وجعلها

---

١٣٣ - ينظر:" التصوير القرآني للقيم الخلقية والتشريعية"، (ص:٣١١-٣١٨)،و" أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع "،(ص: ٢٣٢-٢٣٣)

محببة إلى نفوس المؤمنين، كما يسرها عليهم، ففي الكلمة الطيبة صدقة، وفي إماطة الأذى عن الطريق صدقة، وفي النية الخالصة أجر، وفي قول الصدق ثواب، وفي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كمال، ولا شك أن كل هذه القيم جاءت مرتبطة بالدين وبالعقيدة، محددة لشخصية المسلم وفارقة بينه وبين غيره من ذوي العقائد الأخرى[١٣٤]، فلم يكن الإسلام ديناً كهنوتياً مقتصراً على الطقوس والطلاسم، أي الألفاظ الفخمة التي لا يعرف المتدين معناها، بل هو دين قوم على علاقة متينة بين الإنسان وربه خالق الأكوان، وهو دين يطالبنا بالأعمال الصالحة التي يرضاها الله، كما يطالبنا أن نوجه كل سلكونا وغرائزنا، وحياتنا توجيهاً يحقق الآداب والتشريعات الإلهية تحقيقاً عملياً، ذلك أن الكائن البشري مكون من روح وجسد، والإسلام أقام توازناً بين الروح والجسد، بين الواقع البشري والاجتماعي، والأهداف والتشريعات الإلهية المثالية، فهو يترجم هذه الأهداف دائماً إلى سلوك عملي يحقق متطلبات الطبيعة البشرية، ومقتضيات الشريعة الإلهية في وقت معاً، لذلك كان لأعمال الإنسان الكاملة الأولى في نجاته من عقاب الله يوم الحساب، وكان من شرار الناس الذي يعلم ولا يعمل بعلمه، فعند البخاري،(٣٢٦٧)، ومسلم،(٢٩٨٩)، عَنْ شَقِيقٍ، عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ، قَالَ: قِيلَ لَهُ: أَلَا تَدْخُلُ عَلَى عُثْمَانَ فَتُكَلِّمَهُ؟ فَقَالَ: أَتَرَوْنَ أَنِّي لَا أُكَلِّمُهُ إِلَّا أُسْمِعُكُمْ؟ وَاللهِ لَقَدْ كَلَّمْتُهُ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ، مَا دُونَ أَنْ أَفْتَتِحَ أَمْرًا لَا أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ فَتَحَهُ، وَلَا أَقُولُ لِأَحَدٍ، يَكُونُ عَلَيَّ أَمِيرًا: إِنَّهُ خَيْرُ النَّاسِ بَعْدَ مَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: " يُؤْتَى بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُلْقَى فِي النَّارِ، فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُ بَطْنِهِ، فَيَدُورُ بِهَا كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِالرَّحَى، فَيَجْتَمِعُ إِلَيْهِ أَهْلُ النَّارِ، فَيَقُولُونَ: يَا فُلَانُ مَا لَكَ؟ أَلَمْ تَكُنْ تَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ؟ فَيَقُولُ: بَلَى، قَدْ كُنْتُ آمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ، وَأَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ "، وفي "مسند أحمد"،(١٣٤٢١)، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَمَّا أُسْرِيَ بِي مَرَرْتُ بِرِجَالٍ تُقْرَضُ شِفَاهُهُمْ بِمَقَارِيضَ مِنْ نَارٍ» قَالَ: " فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ خُطَبَاءُ مِنْ أُمَّتِكَ يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَيَنْسَوْنَ أَنْفُسَهُمْ، وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ".

إن الحياة المتفقة مع التعاليم الإسلامية حياة أخلاقية لا غبار عليها؛ ذلك لأنها تتطلب الرحمة نحو جميع مخلوقات الله والوفاء بالعهود وكف غرائز الإنسانية، وإذا عاش الإنسان معيشة صالحة في هذه الدنيا فإنه يبلغ درجة رفيعة في الآخرة، ولهذا اشتمل القرآن على كثير من المسائل الدنيوية المنوعة[١٣٥]، فلقد تناول الإسلام كل شئون الفرد بالتوجيه والإرشاد والتهذيب والتعليم، فلم يدع في حياته شيئًا إلّا وقد أفاده فيه بما يصلحه، كذلك بالنسبة لحياة المجتمع لم يدع فيها أمرًا إلّا وجعل له نظامًا وهديًا، بحيث يضمن للناس السعادة دائمًا، والأمان في حاضر أيامهم ومستقبلها، ولما كان الدين من عند الله

---

١٣٤ - ينظر:" طرق تدريس التربية الإسلامية نماذج لإعداد دروسها"،(ص:٥٢-٥٤)،و"القيم الإسلامية"،(ص:٤٨-٥٥)

١٣٥- ينظر:" طرق تدريس التربية الإسلامية نماذج لإعداد دروسها"،(ص:٥٤-٥٦)،و" أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع"،(ص:٢١٩)

من لدن آدم حتى رسولنا الكريم، فقد وضع للناس الموازين القسط التي تلائم عصورهم وطبائعهم،{إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ}[١٣٦]

والرسول ﷺ ربط بين العمل والصدقة، فجعل من يعمل بيده فينفع نفسه ويتصدق، قد مارس خلق الكرم، وأسس لمبدأ العطاء المتجدد والعمل في الإسلام عبادة، والنية فيه تتجاوز الذات إلى نفع الآخرين، وهذا ما يظهر في توجيه النبي ﷺ بأن على كل مسلم صدقة، فإن لم يجد فليعمل بيده، فإن لم يستطع فليُعين ذا الحاجة[١٣٧] وقد أيّدت هذه المعاني نصوص شرعية عظيمة، منها قول الله تعالى:﴿وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾، وقوله تعالى:﴿ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ﴾، فإن العمل في التصور الإسلامي يُؤسس لتربية اجتماعية تهدف إلى تكوين الإنسان الكريم والمنتج، الذي لا يغفل عن حاجات مجتمعه، بل يسعى ليكون لبنةً في بنائه، وصورةً عمليةً من صور الإحسان المتجدد.

تُعد التربية الاجتماعية من القيم الجوهرية في التصور الإسلامي، إذ تهدف إلى بناء الفرد المسلم ليكون فاعلاً في محيطه، محققًا لقيم الأخوة والتكافل والرحمة.

التربية الاجتماعية في الإسلام اتسمت بالثبات والتكامل والشمول لكافة أفراد المجتمع، فهي منهج رباني متكامل لا يعتريه النقص أو الخلل، وتهدف إلى تقوية الروابط الاجتماعية، ونشر المحبة والأمن والاستقرار[١٣٨]، والقيم الاجتماعية في السنة النبوية مثل الرحمة، والتكافل، والمساواة، تمثل دعائم أساسية لبناء المجتمع المسلم، وقد ساهمت في القضاء على الحقد والفرقة، وتحقيق الاستقرار النفسي والاجتماعي، والتربية الاجتماعية الإسلامية تهدف إلى تنمية الفرد ليكون نافعًا لمجتمعه، من خلال غرس قيم التعاون، والاحترام، والعدل، والرحمة، وهي بذلك توازن بين البناء الفردي والتكافل الجماعي مما يبرز أهمية غرس قيم التعاون والاحترام[١٣٩] حيث تقوم التربية الاجتماعية في الإسلام على مبدأ الأخوة والمساواة، وتُعزز قيم التعاون والتراحم، وتُعد من أهم الوسائل لتحقيق الأمن المجتمعي والاستقرار الحضاري وتربي الإنسان على حب الخير للناس، وتحثه على الإحسان إليهم، وتمنعه من إيذائهم، وتُرسّخ لديه الشعور بالمسؤولية تجاه المجتمع وهذا من خصائص التربية الاجتماعية في الإسلام[١٤٠] وقد أحدث المنهج الاجتماعي في الإسلام تحولاً حضاريًا حيث جاء الإسلام بمنهج اجتماعي أخلاقي، كان من نتائجه توحيد القبائل المتناحرة في قالب الأخوة الإسلامية، وأزال الفوارق الاجتماعية، وجعل الأفضلية للتقوى، وأكرم المرأة، وألغى العادات الجاهلية[١٤١]

١٣٦- ينظر:" من قضايا التربية الدينية في المجتمع الإسلامي"،(ص:٤)

١٣٧ - ينظر: "العمل والاحتساب في السنة النبوية"، (ص١٤٧)، و"العمل التطوعي في ضوء السنة النبوية"، (ص٣٣)

١٣٨ - ينظر: "مبادئ التربية الاجتماعية في السنة النبوية وتطبيقاتها في البيئة المدرسية"، (ص١٢)

١٣٩ - ينظر: "مبادئ التربية الاجتماعية في السنة النبوية من خلال كتابي الأدب والآداب في صحيحي البخاري ومسلم"، (ص٨٨)، و"أسس التربية الاجتماعية في السنة النبوية: دراسة تحليلية"، (ص١٤٥)

١٤٠ - ينظر: "التربية الاجتماعية في القصة النبوية"، (ص١٥٥)، و" التربية في الإسلام أو التعليم في رأي القابسي"، (ص٨٢)

١٤١ - ينظر: "الأصول الإسلامية للتربية الاجتماعية"، (ص١٧)

وقد جاءت الآيات والأحاديث تؤصل لمبدأ الأخوة الاجتماعية كأساس للعلاقات المجتمعية وتدعو للتعاون الجماعي على الخير، وهو جوهر التربية الاجتماعية وتؤكد أن التربية الدينية مرتبطة بالإحسان الاجتماعي﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ﴾﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى ﴾ "المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا" البخاري (٤٨١)، ومسلم (٢٥٨٥)[١٤٢] ونبينا يُرسّخ التكافل الاجتماعي كأحد ركائز المجتمع المسلم بقوله "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه" البخاري (١٣)، ومسلم (٤٥) ويؤصّل للرحمة كخلق اجتماعي يُوجِب التعاطف والعدل بقوله "من لا يَرحم لا يُرحم" وهذا الحديث يُعد قاعدة للتربية على الإيثار والمساواة.

إن أساس التربية الإسلامية التي قامت بها حضارتنا العربية هو الإنسان المؤمن المهذب، وتلك التربية التي قامت بها حضارتنا العربية كانت تعتمد على المواطن المتعلم المؤمن القوي المهذب المضحي، أما أسسها فثلاثة: التعاون، والحرية، والمساواة[١٤٣] فقد انفردت الأمة الإسلامية عن غيرها من الأمم بنظام تربوي متميز قادر على تكوين أجيال مسلمة متوازنة، قادرة على تحمل المسئولية الكاملة في تحقيق سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة ولقد كان النبي صلى الله عليه وسلم هو المربي الأول الذي قام بهذه المهمة التربوية، وقد فطر الله الإنسان على الاجتماع، فليس بوسع إنسان أن يعيش وحده أو ينفرد بنفسه انفرادا تاما، وليس هناك حادثة نفسية واحدة يمكن أن تتم دون أن يكون لها صلة بأفراد المجتمع الذي يعيش فيه الإنسان، فكل حادثة نفسية لا بد لها من مجال اجتماعي تتم فيه، والعكس صحيح أيضاً، فكل حادثة اجتماعية لا بد لها من أصل نفسي إن الصلة قوية بين علم النفس وعلم الاجتماع، فعلم النفس يدرس خصائص الأفراد من حيث إنهم أفراد لهم سلوك، وهذه الخصائص وذاك السلوك كل منهما لا يمكن أن يتم إلا في محيط اجتماعي.

مما سبق يمكن القول أن المجتمع يقوم على أربعة عناصر:

العنصر الأول: هو الأفراد الذين يكونون الجماعة.

والعنصر الثاني: هو ما ينشأ بالضرورة عن وجود الجماعة من الصلات بين أفرادها، فالمجتمع نسيج مكون من صلات اجتماعية.

والعنصر الثالث: هو النظام، فالصلات الاجتماعية تنظم وتنسق وفق نظام غايته أن يضبط سلوك الجماعة ويوجهه، وتتخذ الجماعة وسائل شتى لاحترام نظامها وتطبيقه، ومهمة هذا النظام أن يطلق نشاط الأفراد في مجالات ويحبسه في مجالات أخرى، وأن يضع لهم معايير للسلوك تقوم الأمور وفقاً لها، فيحرم بعض الأمور ويحل بعضها الآخر.

---

١٤٢ - جاء في: «الرسالة التبوكية زاد المهاجر إلى ربه» (ص١٢- ١٣):

«والمقصودُ أن المقصودَ من اجتماع الناس وتعاشُرِهم التعاونُ على البر والتقوى؛ فيُعِيْن كلّ واحد صاحبَه على ذلك علما وعملا، فإنَّ العبدَ وحدَه لا يَستقلّ بعلم ذلك ولا بالقدْرَة عليه، فاقتضتْ حكمةُ الربِّ سبحانَه أن جعل النوعَ الإنساني قائمًا بعضه ببعضٍ، معينًا بعضه لبعض ثم قال تعالى: {وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ}...". انتهى

١٤٣ - ينظر: "التربية والتعليم في الإسلام"، (ص١١٢)

والعنصر الرابع: هو العقيدة، وهو أعظم العناصر السابقة على الإطلاق وأكبرها خطراً، ذلك أنها تتحكم فيها كلها، وتوجهها جميعا الوجهة التي ترضاها، فهي التي تحدد الصلات الاجتماعية، وهي التي توجد الشعور بالانتماء، وهي التي ترسم نهج السلوك، وهي التي تضع قواعد المجتمع وتقيم نظمه وتهدي إلى مثله، والعقيدة تتمثل في التصور الإسلامي كما هو الحال في الإسلام، كما تتمثل في الفلسفات الوضعية والنظريات السياسية والاقتصادية التي توجه السلوك والعمل في كثير من المجتمعات الأخرى وقد نفى الإسلام كل نعرة عنصرية أو جنسية، أو قومية، أو إقليمية، وما يترتب على ذلك من اختلاف اللغات والألوان، وجعل الأفضلية في ميزان الله الثابت هي تقوى الله، والعمل الصالح لخير عباده[١٤٤] فالتربية الإسلامية نظام اجتماعي جاء به الإسلام لمعرفة أثره فعالية الأسرة بالمعنى الضيق الذي يشمل الوالدين والأشقاء والأقارب، وبالمعنى الواسع الذي يشمل الجيران والأصدقاء ومجتمعات بأكملها، كما تدخل المساجد وما تتركه في نفوس من يزورها فأثره في نفوسهم وعقولهم وأخلاقهم، وكذلك على المدارس والمعلمين والكتب والأساليب التي تتضمنها مفاهيمه الهيكل والمنهج وما تفعله المدرسة لنفوس جيل الشباب من الجوانب الروحية (الإيمانية) والأخلاقية النفسية والجسدية والاجتماعية، حتى يعيش الإنسان سعيداً راضياً عن بيئته في الحياة الدنيا، وأمره بالأعمال الصالحة، حتى ينال رضوان الله تعالى وأجره الدائم في الآخرة، والتربية هي تنمية الفكر وتنظيم سلوك وتصرفات الإنسان لذلك، يجب أن تكون التربية جزءاً من العبادة لله تعالى ولا ينبغي أن تكون خالية من القيم، بل يجب أن تكون قائمة على القيم الإسلامية كما أكد الله تعالى في القرآن الكريم لتحقيق هدف العبودية لله، فلا يفصل الإسلام بين العلم والعمل، لذلك فإن التربية ليست محايدة أو خالية من القيم، بل يجب أن تكون مبنية على القيم الأخلاقية الإسلامية[١٤٥]

يتّضح من خلال ما سبق أن التربية الاجتماعية في الإسلام ليست مجرد توجيهات أخلاقية عابرة، بل هي **منهج متكامل يهدف إلى بناء الإنسان الصالح** في ذاته، والنافع في مجتمعه، من خلال ترسيخ قيم الرحمة، والتكافل، والتعاون، والأخوة، والمساواة، وغيرها من القيم والأخلاق، وهذه التربية تشكل أساسًا لحماية النسيج الاجتماعي من التمزق، وتحقيق الاستقرار النفسي، والأمن المجتمعي[١٤٦] وبذلك، فإن التربية الاجتماعية في الإسلام تُعد ركيزة من ركائز البناء الحضاري، وأداة فعّالة لتكوين الإنسان المسلم المسؤول، الذي ينهض بمجتمعه في ضوء قيم الرحمة والإحسان، ويعيش سلوكًا جماعيًا قائمًا على حب الخير، واحترام الآخر، والعمل من أجل المصلحة العامة.

---

١٤٤ - ينظر: "المجتمع الإسلامي"، (ص٨-٩)، و «مناهج التربية أسسها وتطبيقاتها» (ص١٨٩)

١٤٥ - ينظر: "أثر العبادة التربوي في تكوين الشخصية وتحديد السلوك"، (ص١٢١)

١٤٦ - ينظر: "أسس التربية الاجتماعية في السنة النبوية"، (ص ١٤٥)

١١- قيمة مكارم الأخلاق:

تُعد مكارم الأخلاق في الإسلام منظومة متكاملة تُجسّد فاعلية الدين في تهذيب الإنسان وتزكية المجتمع ومن أعظم القيم التي تُبنى بها المجتمعات وتُهذّب بها النفوس، وقد ربط النبي ﷺ بين الأخلاق والمعروف، وجعل كل فعل حسن تجاه الآخرين يُعد صدقة، فقال: "كل معروف صدقة" فجعل كل فعل خير تجاه الآخر، من أي نوع، يدخل في باب الصدقة، وهذا يُبرز بوضوح أن الأخلاق العملية اليومية كاللين، والستر، والتسامح، والكرم، تُعد من العبادة وتُؤجر عليها، ولو كانت بسيطة، وقد قرر د. الطريقي أن: "مكارم الأخلاق لا تقتصر على السلوك المثالي في المواقف الكبرى، بل تشمل كل فعل حسن يصدر عن المرء تجاه غيره، ولو كان يسيرًا، وهذا ما تؤكده عبارة 'كل معروف صدقة' التي تربط الأخلاق بالنية والعمل"[١٤٧] وجميع الأعمال التي تعود بالنفع على الآخرين تُعد صدقة، وهي من مكارم الأخلاق التي دعا إليها الإسلام، سواء أكانت بالكلمة الطيبة، أو بمساعدة المحتاج، أو بكفّ الأذى، أو بإدخال السرور على قلب إنسان[١٤٨]

الأخلاق في الإسلام عبادة، وكل خلق حسن يعود بالنفع على المجتمع يُعد صدقة، وهذا يدفع إلى ممارسة مكارم الأخلاق يوميًا، لا بوصفها ترفًا خُلقيًا، بل واجبًا دينيًا، الأخلاق في الإسلام ليست ترفًا، بل هي جوهر الدين وروحه السارية في جميع نواحيه، وهي عبادة عملية تُترجم الإيمان إلى سلوك[١٤٩] ويُؤيد ذلك القرآن الكريم في قوله تعالى: {لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ} فبيّن سبحانه أن الأمر بالمعروف، وهو من مكارم الأخلاق، يُعد من وجوه الخير والصدقة، وكذلك في قوله ﷺ:"تبسمك في وجه أخيك لك صدقة، وأمرك بالمعروف صدقة، ونهيك عن المنكر صدقة..."

يمثّل حديث النبي ﷺ: "كل معروف صدقة"، أحد النصوص النبوية الجامعة التي تُعيد تعريف مفهوم الصدقة في التصور الإسلامي، وتُوسّع دلالته ليشمل كل فعل خير، وكل خلق حسن، وكل سلوك نافع يُقدّمه الإنسان للآخرين، ولو كان يسيرًا، ومن هنا، يُستنبط أن مكارم الأخلاق ليست مجرد فضائل نظرية، بل هي أعمال عملية تُحتسب صدقة، وتُعد من أعظم القربات، فمفهوم الصدقة في هذا الحديث يتجاوز المال ليشمل الأقوال والأفعال والنيات، مما يدل على أن مكارم الأخلاق تُعد صدقة متجددة تُمارس في كل لحظة[١٥٠] وبذلك، فإن هذا الحديث يُشكّل منطلقًا تربويًا عميقًا يُعيد صياغة العلاقة بين الأخلاق والعبادة، ويُبرز أن كل خلق حسن يُمارَس تجاه الآخرين هو صدقة تُزكّي النفس وتُصلح المجتمع، مما يجعل مكارم الأخلاق في الإسلام ليست ترفًا خُلقيًا، بل عبادة يومية تُؤجر عليها، وتُسهم في بناء الإنسان والمجتمع معًا.

إن مكارم الأخلاق في الإسلام ليست أخلاقًا نظرية معزولة، بل تُمارَس في كل لحظة، وتُحتسب صدقةً تُزكي بها النفس والمجتمع، وتؤدي وظيفة تربوية مستمرة لصياغة السلوك الإنساني الرشيد، وتُعد الأخلاق حجر

---

١٤٧ - ينظر: " الأخلاق النبوية من خلال الأحاديث الصحاح"، (ص ١١٢)

١٤٨ - ينظر: " الفقه الإسلامي وأدلته"، (٤/ ٢٥٥٦)

١٤٩ - الأخلاق في الإسلام، اللويحق، الألوكة

١٥٠ - حديث: كل معروف صدقة، الألوكة، ٢٠٢٢م

الأساس في بناء الإنسان والمجتمع، وهي ليست مجرد سلوك فردي، بل منظومة تربوية تُغرس في النفس منذ الصغر، وتُصاغ عبر مؤسسات التعليم والأسرة والدين.

إن مكارم الأخلاق هي التي تصنع الإنسان الصالح، والمجتمع الراقي، وهي التي تحفظ الحقوق، وتُعزز الثقة، وتُشيع الطمأنينة بين الناس، والأخلاق هي البنية التحتية للمجتمع، فإذا فسدت الأخلاق انهارت العلاقات، وتفككت الروابط، وساد الظلم والأنانية، أما إذا صلحت، استقامت الحياة، وازدهرت الحضارة[١٥١] تُعد مكارم الأخلاق في الإسلام محورًا أساسيًا لبناء الإنسان الصالح والمجتمع الراقي، فهي لا تُكتسب تلقائيًا بل تُبنى عبر التربية الواعية التي تُغرس في الفرد منذ طفولته، والتربية الأخلاقية ليست ترفًا تربويًا، بل هي ضرورة وجودية، إذ لا يمكن بناء مجتمع متماسك دون غرس القيم في نفوس أفراده منذ الصغر[١٥٢]والتربية الإسلامية تهدف إلى بناء الإنسان الصالح في نفسه، النافع لمجتمعه، وذلك من خلال غرس القيم الأخلاقية التي تُعد جزءًا من العبادة، وتُمارس في الحياة اليومية[١٥٣]والعبادة في الإسلام لا تنفصل عن الأخلاق، فكل سلوك تربوي منضبط يُعد عبادة إذا قصد به وجه الله، وهذا ما يجعل التربية الأخلاقية جزءً من بناء الشخصية المسلمة[١٥٤] ولا يمكن أن تقوم حضارة بلا أخلاق.

الهدف الأول والأسمى من التربية الإسلامية هو تهذيب الخلق وتربية الروح، والأخلاق هي جوهر الدين، ولبّ التربية، وأساس العلاقات الإنسانية، وهي التي تُحوّل الفرد من كائن غريزي إلى إنسان راقٍ يحمل رسالة[١٥٥] فمن هنا بات من الضروري تذوق التربية الأخلاقية التي مهمتها الأولى تنشئة الأجيال على السلوكيات الخيِّرة والآداب الاجتماعية النبيلة، وبناء قوة الإرادة، وبناء الروح الخيِّرة القوية الدافعة إلى الخير، ثم تكوين قناعة عقلية علمية بتلك القيم عن علم وبصيرة وإلى التضحية من أجل ذلك، عن وعي كامل لكل ما يترتب على فعله وعلى تركه[١٥٦]

وفي القرآن يثبت مكانة الأخلاق في شخصية النبي ﷺ كنموذج تربوي ففي قوله تعالى: {وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ} هذه الآية تُبيّن أن الأخلاق هي جوهر الرسالة النبوية، وأن النبي ﷺ كان النموذج الأعلى في التربية الأخلاقية، مما يدل على أن الأخلاق ليست فرعًا من الدين، بل هي غايته، وتتجلى التوجيهات القرآنية لبناء أخلاق عملية قائمة على اللين والتسامح، في قوله تعالى: {خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ}، قال النبي ﷺ في تصريح نبوي يُبرز أن بعثة الرسول ﷺ كانت ذات بُعد أخلاقي إصلاحي: "إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق" مما يدل على أن الأخلاق ليست فضيلة جانبية بل جوهر الرسالة النبوية وأساس التكوين الإنساني.

تُعد التربية الأخلاقية من أهم ركائز بناء المجتمعات المستقرة والمتماسكة، فهي لا تقتصر على تهذيب الفرد، بل تمتد لتشكيل البنية القيمية التي تُنظّم العلاقات الاجتماعية وتُعزز الانتماء والمسؤولية.

التربية الأخلاقية تُسهم في بناء مجتمع متماسك، فهي تُرسّخ القيم وتُهذّب السلوك، وتُوجّه الفرد نحو احترام الآخر، مما يُعزز الاستقرار الاجتماعي، ونهضة المجتمعات ترتبط بسمو أخلاق أفرادها، فالقيم الأخلاقية تُعد

---

١٥١ - ينظر: " مكارم الأخلاق في الإسلام: دراسة تربوية تحليلية"، (ص١٠٢)، و"الأخلاق في الإسلام وأثرها في بناء المجتمع"، (ص٣٣)

١٥٢ - ينظر: " أصول التربية الإسلامية"، (ص٧١)، و"التربية في الإسلام أو التعليم في رأي القابسي"، (ص٨٢)

١٥٣ - ينظر: "مناهج التربية: أسسها وتطبيقاتها"، (ص٢٦)

١٥٤ - ينظر:" أثر العبادة التربوي في تكوين الشخصية وتحديد السلوك"، (ص١٢١)

١٥٥ - ينظر: "تصور مقترح لتنمية مكارم الأخلاق ومحاسبة النفس على ضوء القصص القرآني"، (ص٥٩)

١٥٦ - انظر: «علم الأخلاق الإسلامية» (ص١١)

جوهرًا في بناء الفرد والمجتمع والحضارة الإنسانية، والقيم الأخلاقية تُسهم في ضبط السلوك، وتعزيز الانتماء، وتقليل النزاعات، وترسيخ ثقافة الاحترام والتسامح داخل المجتمع، وتفعيل القيم الأخلاقية مثل التعاون والإخاء والكرم والمساواة والرحمة، يُعد من أهم وسائل تحقيق الرخاء المجتمعي والسعادة العامة[١٥٧]

تُعد التربية الأخلاقية في التصور الإسلامي حجر الأساس في بناء الإنسان المتوازن، الذي يجمع بين البُعد الروحي، والعقلي، والاجتماعي، فهي ليست مجرد توجيه سلوكي، بل عملية تكاملية تُرسّخ القيم في النفس، وتُهذّب الغرائز، وتُوجّه الإرادة نحو الخير العام. وقد أشار ابن القيم[١٥٨] إلى أن "الأخلاق هي الدين كله، فإن لم يكن الدين خلقًا، فما الدين؟"، التربية الأخلاقية هي عملية تنشئة الفرد على منظومة من القيم والمعايير التي تُنظّم سلوكه داخل المجتمع[١٥٩]تُرسّخ الرقابة الذاتية، لا الخارجية فقط، قال تعالى: {يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ}، التربية الأخلاقية ليست ترفًا تربويًا، بل ضرورة وجودية لبناء الإنسان والمجتمع. وهي في التصور الإسلامي ليست مجرد توجيه سلوكي، بل بناء حضاري شامل، بناء الإنسان المتكامل والمجتمع الراقي، فهي لا تُمارس في الفراغ، بل تُرتبط ارتباطًا جوهريًا بالغاية من الخلق، مما يسهم في بناء مجتمع متماسك، فهي تُرسّخ القيم وتُهذّب السلوك، وتُوجّه الفرد نحو احترام الآخر، مما يُعزز الاستقرار الاجتماعي، من خلال إظهار علاقة القيم الأخلاقية ببناء المجتمعات، وربط نهضة الأمم بسمو أخلاق أفرادها[١٦٠] تُسهم في ضبط السلوك، وتعزيز الانتماء، وتُقلل من النزاعات، وتُرسّخ ثقافة الاحترام والتسامح داخل المجتمع[١٦١]

تتجاوز التربية الأخلاقية الفرد إلى تحقيق تكافل مجتمعي واسع، فهي ضرورة اجتماعية للحفاظ على الروابط بين الناس، وتقوية الصلات، إذ لا وجود لأي صلة اجتماعية في غياب الأخلاق، فهي تغرس المحبة والألفة، وتُسهم في تقليل مظاهر الانحراف والفساد، والمجتمعات التي تعتمد على الأخلاق في تعاملاتها تكون أكثر جذبًا للاستثمارات، وأقل عرضة للفساد، مما يسهم في تحقيق نهضة اقتصادية واجتماعية متكاملة، حيث تقي المجتمع من الأنانية المُفرطة، وطيش الشهوات، ونزوات الأهواء[١٦٢]

التربية بوصفها حاضنة القيم الأخلاقية وأداة لبناء الإنسان:

تمثّل التربية الأخلاقية العمود الفقري لكل مشروع تربوي هادف، إذ لا يُتصوّر بناء إنسان راقٍ دون غرس منظومة قيمية تُهذّب السلوك، وتوجّه الدوافع، وتُشكّل وجدانًا قادرًا على التمييز بين الفضيلة والنزعة، التربية الأخلاقية هي عملية متكاملة تهدف إلى غرس القيم في النفس الإنسانية، وتشكيل السلوك وفقًا لمعايير الفضيلة، والتربية بلا قيم تُنتج فراغًا تربويًا خطيرًا، لا يمكن فصل التربية عن القيم، فكل تربية لا تُؤسس على منظومة أخلاقية واضحة تُنتج أفرادًا بلا بوصلة، ومجتمعات بلا ضمير، والقيم الأخلاقية هي جوهر العملية

---

١٥٧ - ينظر: "أهمية القيم الأخلاقية وأثرها في بناء الفرد والمجتمع"، (ص٣٥٧-٤١٦)، و" دور التربية على القيم الأخلاقية في رقي المجتمع"،(ص ١٥-١٦)، و" القيم الأخلاقية ودورها في بناء المجتمع"، (ص ٢٢٩-٢٥٠)، ودور التكافل الاجتماعي في تفعيل القيم الأخلاقية في المجتمعات الإسلامية.

١٥٨ - ينظر: " مدارج السالكين"،(٣٠٧/٢).

١٥٩ - ينظر: "دور التربية على القيم الأخلاقية في رقي المجتمع" (ص ١٥)

١٦٠ - ينظر: "دور المؤسسات التربوية في تعزيز منظومة القيم في المجتمع" (ص ١٩)

١٦١ - ينظر: القيم الأخلاقية ودورها في بناء المجتمع"،(ص ٢٥١-٢٥٤)

١٦٢ - ينظر: التربية الأخلاقية الإسلامية: حياة للمجتمع، الألوكة،٢٠٢٢م

التربوية، وهي التي تُحدد الغايات وتُوجّه الوسائل، فالتربية بلا قيم تتحول إلى تدريب آلي لا يُنتج إنسانًا مسؤولًا[١٦٣] إن التربية الأخلاقية ليست مجرد تلقين للمبادئ، بل هي ممارسة يومية تُنقل عبر القدوة، وتُترجم في المواقف، وتُغرس في الوجدان قبل العقل، والقيم لا تُحفظ بالنصوص بل بالتربية[١٦٤] التربية الأخلاقية تُعد دعامة أساسية لضبط العلاقات المجتمعية، التربية الأخلاقية تُسهم في تنمية الحس بالمسؤولية، وتُعزز الانضباط الذاتي، مما يُقلل من السلوكيات العدوانية ويُرسّخ ثقافة التعايش السلمي، والتربية الأخلاقية تُعد استثمارًا طويل الأمد في بناء مجتمع آمن ومتوازن[١٦٥]

إن التربية الأخلاقية هي "الإصلاح الذي لا يُرى"، لكنها تؤسّس للواقع الذي يُبهر، وهي الطريق الأهدى لمن أراد العدالة بلا استعلاء، والنهضة بلا نزاع، والإنسانية بلا ضياع، فإن مكارم الأخلاق لا تُعتبر فضيلة فردية فحسب، بل هي أساس حضاري وتربوي يُبنى عليه المجتمع المسلم، ويُستدام عبر مؤسسات التربية والتعليم والدين والأسرة، ما يجعلها جزءًا لا يتجزأ من مشروع النهضة المجتمعية، فهي لا تُعد مجرد مكون إضافي في بناء الإنسان، بل هي دعامة وجودية لاستقرار المجتمعات وسلامة نسيجها الداخلي ١٦٦

١٢- وسطية الأمة وشهادتها على الناس:

تُعد وسطية الأمة الإسلامية من أبرز خصائصها الحضارية والتربوية، وهي وسطية في التصور، والسلوك، والموقف، تجعلها مؤهلة لأداء دور الشهادة على الناس، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ {البقرة: ١٤٣} ومن خلال الحديث النبوي الشريف: "كل معروف صدقة"، يتجلّى هذا المعنى التربوي، حيث يُربّى المسلم على أن يكون فاعلًا للخير في كل حال، وأن يُمارس المعروف بوصفه عبادة يومية، مما يُرسّخ وسطية الأمة في السلوك، ويُهيّئها لأداء دورها في الشهادة الحضارية على البشرية.

تُجسّد الأمة الإسلامية وسطيتها من خلال ممارستها اليومية للقيم التي دعا إليها الإسلام، وعلى رأسها فِعل المعروف بوصفه عبادة تربوية وسلوكية، فالحديث الشريف: "كل معروف صدقة" يُوسّع دائرة العمل الصالح ليشمل أبسط صور الإحسان، مما

---

١٦٣ - ينظر: " أصول التربية الإسلامية"، (ص ٧١)، و" التربية الأخلاقية في الفكر الإسلامي"،(ص١١٢)، و "القيم التربوية والأخلاقية: مفهومها وأُسسها ومصادرها"، (ص٢٧)

١٦٤ - ينظر: "التربية الأخلاقية وأثرها في تعزيز الأمن المجتمعي"، (ص٤٥)، و" القيم التربوية وأثرها في بناء المجتمع"،(ص٢٢٩)

١٦٥ - ينظر: "التربية الأخلاقية وأثرها في تعزيز الأمن المجتمعي"،(ص١٤٥)،و"أثر التربية الأخلاقية في بناء المجتمعات المعاصرة"،(ص ١٠٢)، و" أثر غياب التربية الأخلاقية في تفكك المجتمعات"،(ص٨٨)، و" التربية الأخلاقية كمدخل لتحقيق الاستقرار الاجتماعي"، (ص٢١١)

١٦٦ - ينظر: " علم الأخلاق الإسلامية"، (ص١٠-١١)

يجعل كل فرد في الأمة جزءًا من منظومة الخير التي تقوم عليها وسطية الرسالة الإسلامية.

وسطية الأمة تعني أنها تقف بين الإفراط والتفريط، وتُقدّم نموذجًا متوازنًا في الفكر والسلوك، مما يجعلها مؤهلة للشهادة على الناس، بشرط أن تُمارس المعروف وتُجسّد القيم في الواقع [١٦٧] الأمة الوسط هي التي تُمارس الخير في كل حال، وتُقدّم المعروف للناس دون تمييز، وهذا ما يجعلها شاهدة على البشرية، لأنها تُجسّد القيم التي تدعو إليها[١٦٨]

الحديث النبوي: كل معروف صدقة، يُبرز أن المعروف لا يُحتقر، وأن الأمة التي تُمارسه في سلوكها اليومي تُؤهّل نفسيًا واجتماعيًا لأداء دور الشهادة على الناس ويُبرز كيف يُحوّل الإسلام المعروف اليومي إلى عبادة وقيمة حية تُمارس في الواقع، مما يعكس الدور الإنساني والاجتماعي الذي تؤديه الأمة الوسط [١٦٩] ويوضح النحلاوي مفهوم الوسطية عمليًا وأن الوسطية لا تتحقق إلا بالفعل التربوي، حيث يقول: "وسطية الأمة لا تتحقق بالشعارات، بل بالممارسة اليومية للخير، والعدل، والرحمة، وهذا ما يُشير إليه الحديث الشريف، حيث يجعل كل فعل نافع صدقة، وكل معروف عبادة"[١٧٠]

شهادة الأمة على الناس لا تكون إلا إذا جسّدت القيم التي تدعو إليها، ووسطيتها تقتضي أن تكون رحيمة، عادلة، فاعلة للخير، وهذا ما يُؤكّده الحديث النبوي في توسيع مفهوم الصدقة أن الأمة الوسط هي الأمة العادلة التي تُمارس الخير وتُقدّم المعروف للناس، وتُجسّد القيم التي تدعو إليها، تحقيقًا لمعنى الشهادة على الناس [١٧١] وهكذا، فإن الوسطية الإسلامية لا تنفصل عن السلوك الفردي والجماعي، بل تتجسّد في كل فعل معروف يُمارَس عن طواعية ووعي، مما يجعل الأمة أهلًا للشهادة الحضارية والقيَمية في عالم تائه عن معيار الخير والرحمة المتوازنة، تتجلى وسطية الأمة الإسلامية في

---

١٦٧ - ينظر: " خصائص الأمة الإسلامية"، (ص ٦٧)

١٦٨ - ينظر: "الأمة الوسط والمنهاج النبوي في الدعوة إلى الله"،(ص٣١)

١٦٩ - ينظر: "منحة العلام في شرح بلوغ المرام"، (١١٧/١٠)

١٧٠ - ينظر: "التربية الإسلامية: أصولها ومنهجها ومعلمها"،(ص ٥٨-٥٩)

١٧١ - ينظر: "الأمة الوسط والمنهاج النبوي في الدعوة إلى الله" ، (ص٣٧-٤٠)، و"شرح رياض الصالحين"، (١٨٩/٢-١٩٤)

كونها نموذجًا متزنًا يجمع بين الإيمان والعمل، والرحمة والعدل، والنظرية والتطبيق، ويؤهلها هذا التوازن لأداء وظيفتها الحضارية في الشهادة على الناس.

الوسطية فاعلية متزنة وليست حيادًا نظريًا، وسطية الأمة لا تعني الحياد، بل تعني الفاعلية المتزنة، التي تُمارس المعروف وتُقيم العدل، وتُسهم في إصلاح المجتمعات، وهذا جوهر الشهادة الحضارية، وشهادة الأمة على الناس مشروطة بأن تكون وسطًا في التصور والسلوك، وأن تُجسّد القيم التي تدعو إليها، وهذا لا يتحقق إلا إذا أصبح المعروف جزءًا من الممارسة اليومية[١٧٢]والأمة الوسط، هي الأمة الأعلى والأشرف بين الأمم، لأنها تقوم على طريق الحق والعدل، ولها صفة "الوسط"؛ علاقتها مع الجميع علاقة حق وصدق بدرجة واحدة، وليس بينها وبين غيرها صلة تخالف الحق والصدق فأمة الإسلام "أمة وسطا" لا تغلو في التجرد الروحي ولا في الارتكاس المادي.. تعمل لترقية الحياة ورفعتها "أمة وسطا".. في التفكير والشعور.. لا تجمد على ما عملت وتغلق منافذ التجربة والمعرفة.. ولا تتبع كذلك كل ناعق، إنما تتمسك بما لديها من تصورات ومناهج وأصول، ثم تنظر في كل نتاج للفكر والتجريب، "أمة وسطا".. في الارتباطات والعلاقات.. لا تلغي شخصية الفرد ومقوماته ولا تلاشي شخصيته في شخصية الجماعة أو الدولة "أمة وسطا".. في المكان.. في سرة الأرض، وفي أوسط بقاعها "أمة وسطا".. في الزمان.. تنهي عهد طفولة البشرية من قبلها، وتحرس عهد الرشد العقلي من بعدها، وتستمر به في طريق النماء والرقي، لا بد من تربية الإنسان على أنه مطلوب منه أن يؤدي شهادة لهذا الدين، شهادة تؤيد حق هذا الدين في البقاء، لخير الجماعة ولخير البشرية كلها وهو لا يستطيع أن يؤدي هذه الشهادة إلا إذا جعل من نفسه ومن خلقه، ومن سلوكه ومن حياته صورة حية لهذا الدين صورة يراها الناس فيرون فيها مثلا رفيعا يشهد لهذا الدين بالأحقية في الوجود، وبالخيرية والأفضلية، يجعل من هذا الدين قاعدة حياته، ونظام مجتمعه وشريعة نفسه[١٧٣]

---

١٧٢ - ينظر: "الوسطية والشهادة في القرآن الكريم"، (ص١٠٣)، و"الوسطية في الفكر الإسلامي المعاصر"، (ص٩١)

١٧٣ - ينظر: «مناهج التربية أسسها وتطبيقاتها» (ص١٤٢-١٤٤)

وهذا ما يُؤكّده التركي بقوله: "لأن الأمة الإسلامية، هي الشاهدة على غيرها من الأمم يوم القيامة، ولأنها - بما هي عليه من الحق - شاهدةٌ على الخلق في هذه الدنيا، وقادرة على إصلاح نفسها، وإصلاح غيرها بما لديها من هدي الكتاب والسنة"[١٧٤]

ويُعزز هذا المعنى الحديث النبوي الشريف: "كل سلامى من الناس عليه صدقة، كل يوم تطلع فيه الشمس: تعدل بين اثنين صدقة، وتعين الرجل في دابته..."، وبذلك، تُصبح وسطية الأمة منهجًا عمليًا يُترجم إلى سلوك يومي، يجعلها جديرة بالشهادة على الناس، ويُرسّخ دورها الحضاري في نشر الخير دون تمييز، ويؤهلها هذا التوازن لأداء وظيفتها الحضارية في الشهادة على الناس، حيث يُحوّل الإسلام المعروف اليومي إلى عبادة وقيمة حية تُمارس في الواقع، مما يعكس الدور الإنساني والاجتماعي الذي تؤديه الأمة الوسط.

ومن خلال الحديث الشريف: "كل معروف صدقة"، يُعاد تعريف العلاقة بين الفرد والمجتمع، وتُرسّخ وسطية الأمة بوصفها نموذجًا حضاريًا يُقدّم الخير، ويُمارس الرحمة، ويُجسّد العدل في كل مقام، فإن الحديث الشريف: "كل معروف صدقة" لا يُعبّر فقط عن مبدأ تربوي فردي، بل يُجسّد منظورًا حضاريًا يُرسّخ وسطية الأمة وسلوكها الرسالي في العالم، ويُهيّئها لأداء دورها الإنساني بوصفها أمة فاعلة، شاهدة، راشدة في القول والعمل[١٧٥]

نخلص إلى أن وسطية الأمة الإسلامية ليست مجرد خاصية نظرية، بل هي ممارسة تربوية وسلوكية تُترجم في حياة المسلم اليومية، حيث يُمارس المعروف بوصفه صدقة، ويُجسّد القيم في الواقع، مما يُهيّئ الأمة لأداء دورها في الشهادة على الناس.

١٣- ترسيخ مفاهيم العدل والسلام:

يعد حديث النبي ﷺ: "كل معروف صدقة" من النصوص النبوية الجامعة التي تعيد صياغة العلاقة بين الفرد والمجتمع، وترسخ مفاهيم العدل والسلام من خلال توسيع دائرة المعروف لتشمل كل فعل نافع، وكل خلق حسن، وكل سلوك إيجابي يقدمه الإنسان للآخرين، ومن خلال هذا الحديث، يستنبط أن الإسلام لا يربي المسلم على أداء الخير فحسب، بل يوجهه ليكون

١٧٤ - ينظر: "الأمة الوسط والمنهاج النبوي في الدعوة إلى الله"، (ص ٣٧)

١٧٥ - ينظر: "وسطية الإسلام وسماحته ودعوته للحوار"، (ص١-٥)

مصدرا للسلام، وعدلا متجددا، وفاعلا للخير في كل مقام، مما يسهم في بناء مجتمع متراحم ومتوازن.

يعد الحديث النبوي الشريف: "كل معروف صدقة" تجسيدا تربويا عميقا لمفاهيم العدل والسلام في الإسلام، حيث يحول المعروف إلى عبادة يومية تسهم في تهذيب النفس، وتوطيد العلاقات، وبناء مجتمع متراحم ومتوازن، وقد أكد د. عمارة[١٧٦] أن: "العدل في الإسلام ليس مجرد حكم قضائي، بل هو قيمة تربوية تمارس في كل موقف، ويعد المعروف اليومي صورة من صور العدل الاجتماعي الذي يسهم في تحقيق التوازن بين أفراد المجتمع"، السلام في الإسلام لا يتحقق بالشعارات، بل بالممارسات اليومية التي تشيع الطمأنينة، وتزيل أسباب النزاع، وهذا ما يشير إليه الحديث الشريف حين يجعل كل معروف صدقة العدل في كل موقف إنساني، والمعروف هو بوابة العدل، لأنه يعيد الاعتبار للضعيف، ويشيع الطمأنينة، ويزيل أسباب التوتر[١٧٧]

كل معروف صدقة، يبرز أن المعروف ليس ترفا أخلاقيا، بل هو أداة تربوية لترسيخ العدل، وبناء السلام، وتفعيل القيم في الواقع الاجتماعي، العدل والسلام في الإسلام لا يبنيان على القوة، بل على الرحمة، والمعروف، والإحسان، وهذا ما يجعل من كل فعل نافع صدقة تربوية تسهم في بناء الإنسان والمجتمع، فكل معروف يقدمه المسلم للآخرين هو مساهمة في بناء السلام، وترسيخ العدل، لأن المعروف يزيل الحقد، ويشيع الألفة، ويعيد التوازن في العلاقات الإنسانية، العدل في الإسلام والمساواة من أعظم القيم النبيلة التي أمر الله بها، وسعى الرسول ﷺ لتطبيقها في المجتمع المسلم، فلا فرق بين عربي ولا أعجمي إلا بالتقوى، وكل معروف يسهم في ترسيخ هذا التوازن، ويبنى من خلال السلوك اليومي الذي يشيع المعروف[١٧٨] يجسد الحديث النبوي: "كل معروف صدقة" رؤية الإسلام التربوية في ترسيخ مفاهيم العدل والسلام، حيث يحول المعروف إلى عبادة يومية تسهم في تهذيب النفس، وتوطيد العلاقات، وبناء مجتمع متراحم ومتوازن، و يعلمنا الحديث الشريف أن المعروف لا يحتقر، وأنه يعد صدقة، مما يرسخ في النفس قيمة العدل في التعامل، والسلام في التواصل، والرحمة في الموقف[١٧٩] لقد فطر الله الإنسان على الاجتماع، فليس بوسع إنسان أن يعيش وحده، أو ينفرد بنفسه انفرادا تاما، وليس هناك حداثة نفسية واحدة يمكن أن تتم دون أن تكون لها صلة بأفراد المجتمع الذي يعيش فيه الإنسان، فكل حادثة نفسية، لا بد لها من مجال اجتماعي تتم فيه، والعكس صحيح أيضا، فكل حادثة اجتماعية لا بد لها من أصل نفسي، وعلى هذا الأساس فإن المجتمع الإنساني يتكون من أربعة عناصر:

الأول: هو الأفراد الذين يكونون الجماعة.

الثاني: هو ما ينشأ بالضرورة من صلات بين أفراد الجماعة، فالجماعة نسيج مكون من صلات اجتماعية.

---

١٧٦ - ينظر: "العدل في الإسلام"، (ص٨٨)

١٧٧ - ينظر: "السلام في الإسلام: المفهوم والتطبيق"، (ص٧٤)، و"الوسطية والشهادة في القرآن الكريم"، (ص١٠٣)

١٧٨ - ينظر: "التربية الإسلامية: أصولها ومنهجها ومعلمها، (ص٥٨-٥٩)، و"منحة العلام في شرح بلوغ المرام"، (١١٧/١٠)، و" دروس تربوية من الأحاديث النبوية"، (ص٦٢)

١٧٩ - ينظر: شرح رياض الصالحين"،(١٨٩/٢-١٩٤)، والعدل في الإسلام، شبكة الألوكة، ٢٠١٥م

الثالث: هو النظام، فالصلاة الاجتماعية تنظم وتنسق وفق نظام غايته أن يضبط سلوك الجماعة ويوجهه الوجهة المنشودة.

الرابع: هو العقيدة، أو الفلسفة، وهي أعظم العناصر المكونة للمجتمع على الإطلاق، وأكثرها خطرا، ذلك أنها تتحكم فيها كلها، وتوجهها جميعا الوجهة التي ترضاها، فهي التي تحدد الصلات الاجتماعية، وهي التي توجد الشعور بالانتماء، وهي التي ترسم نهج السلوك، وهي التي تضع قواعد المجتمع، وتقيم نظمه، وتهدي إلى مثله[١٨٠]

إنه لا بد من ترسيخ مفاهيم العدل والسلام في عقول المربين وضمائرهم وسلوكياتهم، إن إنسان هذا العصر يعاني من الفقر الشديد في السلام مع نفسه، ومن فقر مماثل في السلام مع الكون من حوله، ومنهج التربية في الإسلام هو المنهج الوحيد القادر على بناء قواعد العدل واستحكامات السلام في عقول البشر وضمائرهم، فالذي لا شك فيه أنه إذا اكتملت تربية الإنسان واكتمل تأهيله وفق منهج الله، فإن الاستقامة على العدل والسلام تصبح طابعه الحضاري.

إن إرساء قواعد العدل والسلام في العالم وإيقاف الحروب والصراعات والمؤامرات حفاظا على الأجيال الحالية من البشر، والحفاظ على البيئة ووقف استنزافها، وتجريم تخريبها حماية لمستقبل الإنسانية كل هذا لا يمكن أن يتم دون تصحيح تصور الإنسان للكون والإنسان والحياة، وفهم مركز الإنسان في الكون ووظيفته في الحياة، إن هذا التناسق يحقق للإنسان السلام مع نفسه، كما يحقق له السلام مع الكون المحيط به، أما السلام مع النفس فينشأ من توافق حركته مع دوافع فطرته الصحيحة، وبذلك تنتظم حركة الإنسان الظاهرة مع فطرته المضمرة، وأما السلام مع الكون فينشأ من تطابق حركة الإنسان مع حركة الكون المحيط به في الاتجاه والغاية، بذلك يتحقق الخير للبشرية عن طريق هدايتها وتعرفها في يسر إلى أسرار هذا الكون، والطاقات المكنونة فيه والكنوز المذخورة في أطوائه، واستخدام هذا كله وفق شريعة الله لتحقيق الخير البشري العام، بلا تعارض ولا اصطدام، ولهذا فإنه عندما يحيد الإنسان عن هذه الشريعة فإنه يحدث نوعا من الشقاق الذي يؤدي حتما إلى كوارث نفسية وكونية، فالحياد عن شريعة الله يحدث الشقاق بين الإنسان وفطرته السليمة التي فطره الله عليها، فيصاب بأبشع الأمراض النفسية والجسمية، والحياد عن شريعة الله يحدث الشقاق بين الإنسان من جانب، وبين الكون من حوله الخاضع لله بفطرته من جانب آخر؛ فتحدث الكوارث الطبيعية التي تدمر الإنسان في كل مكان؛ حيث تنقلب طاقات الكون وذخائره وقواه من وسائل لتعمير الحياة وترقيتها إلى عوامل تدمير وخراب وشقاء للإنسان والبيئة والكون جميعا، إنه لا يمكن بناء معايير العدل والسلام في عقول البشر عندما تختفي من مناهج التربية قيمة إعداد "الإنسان" ليكون خليفة لله في عمارة الأرض وترقية الحياة على ظهرها لحساب إعداد "المواطن" المقطوع الصلة بالله، الذي لا يتسع ولاؤه لأكثر من جماعة من الناس على رقعة ضيقة من الأرض في زمان ومكان معينين! إن هذا المواطن المقطوع الصلة بالله، مهما أتقن العمل وأقام المصانع والمزارع، ومهما اخترع وابتكر، فسوف تتحول نتائج أعماله وابتكاراته إلى عوامل تخريب وتدمير وشقاء؛ لأنه ابتغى العلم والعمل لغير وجه الله، والعلم يأبى أن يكون إلا الله، إن العالم كله في حاجة إلى منهج الإسلام للتربية، فهذا المنهج هو المنهج الوحيد القادر على تربية الأجيال على أساس الإيمان بالله والأخوة في الله، والأخوة في الإنسانية، إنه المنهج الوحيد الذي يستطيع بناء

---

١٨٠ - ينظر: «مناهج التربية أسسها وتطبيقاتها» (ص١٠٧)

عقول البشر وضمائرهم من خلال مفاهيم وقيم وسلوكيات إنسانية عادلة وما ذلك إلا لأنه المنهج الوحيد الباقي، الذي يبدأ بسلام الإنسان مع الله، وسلامه مع نفسه، ومع المحيطين به.. وصولا للسلام مع البيئة والطبيعة والعالم كله من حوله[١٨١]

وهكذا، فإن أهمية هذا المبحث لا تنبع فقط من كونه تأصيلا فقهيا أو تربويا، بل من كونه مدخلا حضاريا يسهم في بناء الإنسان المتزن، ويرسخ قيما عملية تترجم في الواقع، مما يجعل من الحديث الشريف "كل معروف صدقة" قاعدة تربوية تعيد صياغة العلاقة بين الفرد والمجتمع على أساس من الإنصاف والرحمة، والدعوة إلى العدل والإحسان لا تقتصر على المسلمين، بل تشمل جميع الناس مهما اختلفت دياناتهم ومذاهبهم، لما لهما من أهمية بالغة في استقرار المجتمعات وإشاعة روح المحبة والتكاتف بين أفرادها[١٨٢] الإسلام يسعى لإيجاد مجتمع مثالي يخلو من دوافع ارتكاب الجرائم واضطرابات نفسية، ويتمتع فيه كل شخص بالأمن والعدل والحرية والاحترام، مما يجعل العدل أساسا يقوم عليه العالم كله، فالحديث الشريف: "كل معروف صدقة" يعيد تعريف المعروف بوصفه أداة تربوية تسهم في إزالة أسباب الظلم، وتشييع الطمأنينة، وتفعيل قيم الإنصاف والرحمة. وقد قرر د. دراز أن: "العدل في الإسلام ليس مجرد قيمة قانونية، بل هو مبدأ أخلاقي يبنى عليه السلوك الفردي والاجتماعي، ويعد أساسا في بناء العلاقات الإنسانية السليمة"[١٨٣]

١٤- القيم التربوية:

تُعد القيم الأخلاقية من أهم المرتكزات التي تقوم عليها المجتمعات الإنسانية، فهي التي تُوجّه السلوك، وتُحدّد المواقف، وتُسهم في بناء الشخصية المتزنة، وقد جاءت السنة النبوية لتُرسّخ هذه القيم في واقع الناس، وتُحوّلها من مجرد مبادئ نظرية إلى ممارسات عملية تُجسّدها حياة النبي ﷺ وسلوك أصحابه.

القيم في المنهج النبوي ليست مجرد توجيهات خطابية، بل هي أدوات تربوية تُستخدم في بناء الإنسان، وتُسهم في ضبط علاقته بنفسه وبالآخرين، السنة النبوية تُقدّم نموذجًا تطبيقيًا لترسيخ القيم، من خلال المواقف اليومية، والتعاملات الاجتماعية، مما يجعلها مصدرًا تربويًا حيًا يُمكن استثماره في المؤسسات التعليمية والدعوية[١٨٤]

إنّ القرآن الكريم الذي أُوحي إلى محمد صلى الله عليه وسلم، هو أعظم نعمة للمسلمين، لأن محتواه مليء بالجوانب التربوية المفيدة جدًا للحياة، باعتباره بوصلة الحياة، فإن القرآن الكريم هو الكتاب المقدس من الله الكامل والمتكامل، فالتفسيرات الواردة فيه لا تقتصر على القواعد الدينية فحسب، بل توضح أيضًا توجيهات للحياة، مما يجعل القرآن يولي اهتمامًا حتى لأصغر الأمور في الإسلام، القرآن الكريم كتاب حياة، أنزله الله ليكون منهجًا شاملًا في بناء الإنسان وتوجيهه في جميع شؤون حياته، وليس مجرد كتاب تشريعات أو عبادات، القرآن

---

١٨١ - ينظر: «مناهج التربية أسسها وتطبيقاتها» (ص١٧٢-١٧٥)

١٨٢ - العدل والإحسان في الإسلام — دراسة دعوية، ونظام العدل في الإسلام، الهند، ٢٠٠٨م

١٨٣ - ينظر: "الدين: بحوث ممهدة لدراسة فلسفة الدين"، (ص٢١٥)

١٨٤ - ينظر: " منهج السنة النبوية في ترسيخ القيم الأخلاقية"، (ص١٥٧-١٥٨)

الكريم ليس كتابًا للتعبد فقط، بل هو كتاب حياة، يحمل في طياته منهجًا تربويًا متكاملًا، يوجه الإنسان في سلوكه، ويهذب نفسه، ويؤسس لبناء مجتمع فاضل[١٨٥]

الحديث النبوي الشريف يُقدّم منظومة تربوية متكاملة، تُعزز القيم مثل الصدق، والأمانة، والرحمة، من خلال أساليب بلاغية مؤثرة كالتشبيه والمثل، مما يجعلها سهلة الفهم والتطبيق، وقد تم ترسيخها من خلال مواقف عملية وأحاديث نبوية مؤثرة، والقيم التربوية المستنبطة من الحديث النبوي تُعدّ من أهم أدوات بناء الشخصية المسلمة، فهي تُرسّخ المبادئ الأخلاقية وتُوجّه السلوك نحو الخير والصلاح، وتكمن أهمية القيم التربوية في الحديث النبوي في قدرتها على التفاعل مع الواقع التربوي المعاصر، وتقديم حلول تربوية مستمدة من الهدي النبوي[١٨٦] فقد اعتمدت السنة النبوية في ترسيخ القيم على أساليب متعددة، منها: القدوة، والحوار، والتدرج، مما يجعلها منهجًا تربويًا متكاملًا يصلح لكل زمان ومكان، والسنة النبوية تُقدّم نموذجًا حيًا لتربية الفرد والمجتمع على القيم، من خلال التفاعل اليومي والمواقف الواقعية التي تُرسّخ المفاهيم الأخلاقية [١٨٧]

تكمن أهمية التربية الإسلامية في وجودها كوسيلة مثالية لبناء خير الفرد، وخير المجتمع، والحضارة الأفضل، وبالتالي تهدف إلى تحقيق السعادة العامة الشاملة للمجتمع وأفراده وتحتل مكانة التربية الإسلامية مكانة وثيقة تتعلق بالربيع الأول للإسلام، ممثلاً بمصدرين أصليين، القرآن والسنة.

تقوم التربية الإسلامية على عدة مبادئ، منها المبادئ العقائدية والتعبدية والمبادئ النفسية الاجتماعية والأخلاقية وغيرها، وكل منها عبارة عن فصل تتم فيه تسوية القضايا التربوية الفرعية، مما يتيح القدرة على استنتاج القيم التربوية من مصادرها الأصلية.

يحمل الحديث الشريف: "كل معروف صدقة" دلالة تربوية عظيمة، تتجاوز المفهوم الضيق للصدقة المالية، لتُعيد صياغة العلاقة بين الفرد والمجتمع في ضوء منظومة متكاملة من القيم. فالإسلام لا يربّي المسلم على المبادرة نحو الخير فقط، بل يجعله مسؤولًا عن نشره في بيئته، من خلال أفعال صغيرة لكنها عظيمة الأثر، مما يُحوّل القيم الأخلاقية إلى سلوك يومي يُبنى عليه المجتمع الإسلامي.

يُجسّد الحديث النبوي الشريف: "كل معروف صدقة" رؤية الإسلام التربوية في تحويل القيم الأخلاقية إلى ممارسات حياتية تُشيع الخير وتُرسّخ التراحم والتكافل، والحديث يُرسّخ قيمة الإحسان، ويُوسّع مفهومه ليشمل كل فعل يُسهم في نفع الآخرين، مما يُحوّل القيم الأخلاقية إلى ممارسات عملية تُبنى عليها العلاقات الإنسانية [١٨٨] والحديث يُعزّز قيمة المسؤولية الاجتماعية، ويُربّي الفرد على إدراك أثر أفعاله في الآخرين، مما يُسهم في بناء مجتمع متكافل ومتراحم الحديث يُجسّد قيمة الرحمة، حيث يُعد التبسّط في وجه الآخر، أو تفريج كربة، أو بذل جاه، من صور الصدقة التي تُنمّي التراحم الاجتماعي، ويُبرز قيمة التواضع، إذ يجعل من أبسط صور المعروف ـ كالكلمة الطيبة أو الابتسامة ـ صدقة، مما يُرسّخ في النفس أن الخير

---

١٨٥ - ينظر: "التربية في القرآن الكريم: توجيهات تربوية لبعض آيات القرآن الكريم"، (ص١١)

١٨٦ -ينظر: "القيم التربوية في الحديث النبوي – دراسة تطبيقية"، (ص ١٢١-١٢٣)

١٨٧ - ينظر: "منهج السنة النبوية في ترسيخ القيم الأخلاقية"، (ص١٦٠-١٦٥)

١٨٨ ينظر: " منهج السنة النبوية في ترسيخ القيم الأخلاقية"، (ص١٥٧)

لا يُحتقر، وأن القيم تبدأ من التفاصيل الصغيرة[١٨٩] والحديث يُعد من النصوص المؤسسة لقيمة التعاون، حيث يُشجّع المسلم على أن يكون نافعًا في محيطه، ويُقدّم الخير دون انتظار مقابل، مما يُعزّز روح الجماعة، ويُرسّخ قيمة البذل والعطاء، ويُعيد تعريف الصدقة لتشمل كل فعل نافع، مما يُربّي المسلم على الإيجابية والمبادرة، ويُحوّل القيم إلى سلوك يومي[١٩٠]

الحديث يُرسّخ قيمة الإيجابية في السلوك، ويُربّي المسلم على أن يكون مبادرًا في الخير، حتى في أبسط الصور، مما يُسهم في بناء مجتمع متكافل ومتراحم[١٩١] الحديث يُبرز قيمة الاحترام المتبادل، حيث يُعد المعروف وسيلة للتقارب الإنساني، ويُزيل الحواجز النفسية بين الأفراد، مما يُعزّز الانسجام الاجتماعي، والحديث يُؤسّس لقيمة الإنصاف، حيث يُساوي بين الغني والفقير في القدرة على التصدّق، من خلال الأفعال اليومية، مما يُرسّخ مبدأ العدالة الأخلاقية، الحديث يُعيد تعريف مفهوم الصدقة، ويُحوّله من فعل مادي إلى سلوك قيمي، مما يُربّي المسلم على أن يكون فاعلًا للخير في كل حال، دون انتظار مقابل، ويُنمّي الحديث قيمة المبادرة الذاتية، ويُحفّز الفرد على أن يُقدّم الخير دون تكليف، مما يُسهم في بناء شخصية مستقلة مسؤولة عن أثرها في المجتمع[١٩٢] من خلال حديث كل معروف صدقة، تتجلّى قيمة الرحمة في الإسلام، حيث يُعد التبسّط في وجه الآخر، أو تفريج كربة، أو بذل جاه، من صور الصدقة التي تُنمّي التراحم الاجتماعي.

- القيم المستنبطة من الحديث:

هذا الحديث يرسّخ مجموعة من القيم التربوية الأساسية، منها:

١. قيمة البذل والعطاء

٢. قيمة الرحمة والتراحم الاجتماعي[١٩٣]

٣. قيمة التواضع واحترام البسيط

الحديث يُبرز قيمة التواضع، إذ يجعل من أبسط صور المعروف ـ كالابتسامة ـ صدقة، مما يُرسّخ أن الخير يبدأ من التفاصيل الصغيرة[١٩٤]

٤. قيمة التعاون والعمل الجماعي

"الحديث يُشجّع المسلم على أن يكون نافعًا في محيطه، ويُقدّم الخير دون انتظار مقابل، مما يُعزّز روح الجماعة والتكافل[١٩٥]

٥. قيمة الإحسان العملية

---

١٨٩ - ينظر: " القيم الأخلاقية في السنة النبوية - دراسة موضوعية"،(ص١٤٢)

١٩٠ - ينظر: "القيم التربوية في الأحاديث النبوية- دراسة تحليلية"، (ص٢١٥-٢٢١)

١٩١ - ينظر: القيم التربوية في الحديث النبوي - دراسة تحليلية"، (ص١٣٤)

١٩٢ - ينظر: "القيم التربوية في الحديث النبوي - دراسة تطبيقية"، (ص١٤٧)

١٩٣ - ينظر: " القيم الأخلاقية في السنة النبوية- دراسة موضوعية"،(ص١٤٢)

١٩٤ - ينظر: "القيم الإسلامية في ضوء السنة النبوية"، (ص١٩٨)

١٩٥ - ينظر: "القيم الاجتماعية في السنة النبوية - دراسة تحليلية"، (ص٢٣٣)

الحديث يُرسّخ الإحسان، ويُوسّع مفهومه ليشمل كل فعل يُسهم في نفع الآخرين، فالقيم الأخلاقية تتحوّل إلى ممارسات تُبنى عليها العلاقات الإنسانية[١٩٦]

٦. قيمة المسؤولية الاجتماعية

الحديث يُعزّز مسؤولية الفرد تجاه الآخرين، ويُربّي المسلم على إدراك أثر أفعاله في المجتمع، مما يُسهم في بناء بيئة متراحمة[١٩٧]

يُعد حديث النبي ﷺ: "كل معروف صدقة" من النصوص النبوية الجامعة التي تُرسّخ منظومة القيم الإسلامية في السلوك اليومي، حيث يُحوّل الإسلام المعروف إلى عبادة، ويُربّي المسلم على أن يكون فاعلًا للخير في كل مقام، وتُخرج المسلم من دائرة الفردية إلى الفاعلية الاجتماعية، ويُبرهن الحديث: "كل معروف صدقة" أن القيم في الإسلام ليست أفكارًا مجردة، بل أفعالًا متجددة تتغلغل في تفاصيل الحياة اليومية، مما يجعل من التربية الإسلامية بناءً متكاملًا للوجدان والسلوك، فكل كلمة طيبة، وكل فعل نافع، وكل نية خيّرة، تتحوّل إلى لبنة في صرح المجتمع المسلم، وتُشكّل دليلًا عمليًا على رسوخ قيم الرحمة والتكافل والبذل، حيث تُعد التربية الإسلامية منظومة متكاملة تهدف إلى بناء الإنسان من الداخل، عبر ترسيخ القيم وتحويلها إلى سلوكيات عملية، مما يجعل من كل موقف حياتي فرصة تربوية[١٩٨] وتظهر القيم في سلوك الأفراد وتعاملاتهم مع الآخرين لذلك تلعب القيم دورا كبيرا بين مختلف الأفراد نظرا لتأثيرها على أهدافهم وآمالهم وسلوكهم وفكرهم وحياتهم[١٩٩]

❖ أهمية القيم: تتضح أهمية القيم في كثير من العناصر منها ما يلي [٢٠٠]:

أولاً: على المستوى الفردي:

١ ـ أنها تحقق للفرد الإحساس بالأمان وتعطي له الفرصة في التعبير عن نفسه وكذلك تساعده على فهم العالم المحيط به وتوسع إطاره المرجعي في فهم حياته وعلاقاته.

٢ ـ أنها تعمل على إصلاح الفرد نفسيا وخلقيا وضبط النفس لشهواته كي لا تتغلب على عقله ووجدانه.

٣ ـ توجه الفرد إلى الكيفية التي سيتعامل بها الإنسان في المواقف المستقبلية وتساعده على التفكير فيما ينبغي له أن يفعله تجاه تلك المواقف والأحداث.

٤ ـ المساعدة على الكشف عن الحقيقية مجردة من المنفعة أو الجمال باستخدام المنهج العلمي، والاهتمام بالنتائج العلمية التي تساهم في رفع المستوى المعيشي للإنسان إذا ما التزم بها.

ثانياً: على المستوى الاجتماعي والتربوي:

١ ـ تعد القيم عاملا وقائيا وذلك لما يتعرض له المجتمع العربي والإسلامي من غزو وتذويب قيمي وثقافي مقصود أو غير مقصود أفقد المجتمع القدرة على المقاومة أو المسايرة الهادفة فاهتز كيانه واضطرب سلوكه.

---

١٩٦ - ينظر: "منهج السنة النبوية في ترسيخ القيم الأخلاقية"، (ص١٥٧)

١٩٧ - ينظر: "القيم التربوية في الحديث النبوي- دراسة تطبيقية"، (ص١٢١)

١٩٨ - ينظر: "القيم التربوية في الإسلام وأثرها في بناء الشخصية"، (ص١٢٢)

١٩٩ - ينظر: " القيم التربوية الإسلامية ومتطلبات تفعيلها في مرحلة التعليم الابتدائي "، (ص٢)

٢٠٠ - ينظر: " القيم التربوية الإسلامية ومتطلبات تفعيلها في مرحلة التعليم الابتدائي "، (ص٩-١٠)

٢ ـ القيم تحدد الفلسفات والأهداف والعمليات التعليمية وتحكم مؤسسات التربية ومناهجها فهي موجودة في كل خطوة وكل مرحلة وكل عملية تربوية وبدونها تتحول التربية إلى فوضى.
٣ ـ تلعب القيم دورا مهما على مستوى الإنسانية فالقيم الإيجابية تدعو إلى تعاون المجتمعات ونبذ العنف والصراعات والتمييز العنصري والتعصب بأنواعه سبب لفتن وصراعات تفضي إلى دمار اقتصادي اجتماعي شامل.
للقيم الخلقية وظائف عديدة، فهي تنعكس على سلوك الفرد قولاً وعملاً، كما ينعكس أثر الالتزام بها على الجماعة أيضاً، بل ويمكن أن يمتد أثرها إلى العلاقات الدولية في حالتي السلم والحرب[٢٠١]
إن وجود القيم الخلقية والمبادئ العليا والأهداف السامية ضروري لتوجيه حياة الإنسان توجيها صحيحا يضبط حركته سليمة صحيحة، فالإنسان لكي يجعل نفسه في صورة إنسانية مرضية ينبغي أن يكون له في حياته أسلوبه الخاص الذي يميزه عن غيره، ويتمثل ذلك في مجموعة من القواعد الخلقية، والمثل العليا التي يلزم نفسه بها ويسير على منهاجها طوعاً وتزيد فرادته في قوة خلقه ومثابرته في التمسك بها، وعندما ينعدم وجود هذه المبادئ والمثل تفقد الحياة دوافعها ومعانيها، بل تبدو راكدة غير منتجة، ويضمحل الإنسان وتهمد إرادته بافتقادها الهدف والمبدأ والخلق والقيمة. وهذا يعطينا مؤشرا هاما على أهمية القيم الخلقية في بناء الإنسان، وكذا أهميتها كمصدر من مصادر الأهداف التي ترتجى وتؤمل في نمو الشخصية المسلمة في المجتمع، وقد أتى الإسلام لا ليصطدم مع الطبيعة البشرية بل ليضبطها، ويفجر أحسن ما فيها، وقد أقام السلوك على أساس خلقي ضابط بوعي واختيار واع
إن تنمية القيم الخلقية لدى الإنسان المسلم تعتمد على تكوين الوازع الداخلي في الفرد منذ الطفولة الأولى حيث يؤمن الفرد بالقيم، ويكتسبها ويتشربها ويضيفها إلى إطاره المرجعي للسلوك، ويتم ذلك من خلال التنشئة الاجتماعية، وعن طريق التفاعل الاجتماعي يتعلم الفرد أن مواقفه يجب أن تتسم بالخلقية وذلك حتى يشارك في حياة المجتمع بفاعلية.
وقد صحح القرآن علاقة الإنسان بما حوله بأن جعلها علاقة تعاطف وتعارف، فلا عبودية لها ولا تأليه، ولا استهانة ولا إنكار، وقد ربى القرآن الإنسان على حضور واع، واتخذ في هذا السبيل طرقاً مختلفة لعملية التصحيح هذه، وهي لازمة لتكوين قيم صحيحة سليمة، وكان أول ما قام به هو تصحيح علاقة الإنسان بالله الخالق الراعي لخلقه المعتني بهم، الرحيم، المبدع، التواب، وهو الواحد؛ غرس في نفس المسلم التوحيد، الذي دفع الإنسان إلى حب الخير وفعله، وتجنب الشر وكراهيته، وبالتالي كانت العلاقة بين الإنسان والله طريق الإنسان إلى الكمال، وكانت طريقاً إلى امتلاء قلب الإنسان بالولاء والانتماء إلى الله وحده، ومنهجه الذي إذا تمسك به الإنسان أصبح إنساناً فاضلاً يسارع إلى فعل الخيرات، ويبتعد عن فعل الشر، وبالتالي يتصف الإنسان بمكارم الأخلاق، ويتشبه بأخلاق الله تعالى من حيث الاتصاف بالكمالات والتنزه عن النقائص، ويصبح مجتمعه كله ذا أخلاق دينية، تسوده مكارم الأخلاق.
وكان ذلك منطلقاً لتصحيح كافة العلاقات الأخرى بما حول الإنسان ومن حوله، وما دام الإنسان قد آمن موحداً وتولدت في نفسه حالة العبودية الكاملة لله وحده، فإن ذلك ينعكس على

---

٢٠١ - ينظر: "الأخلاق والقيم التربوية في الإسلام"، «نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم» (١/ ٨٥)

علاقاته بالأشياء حوله، وعلى كافة مكونات حياته؛ ذلك أن الإيمان الصحيح هو أكبر القيم الخلقية الدافعة للإنسان في مجرى الحياة الصحيح الموصل للسعادة.

ومن هنا تنبع مجموعة من القيم الخلقية الفذة النابعة من توجيه التوحيد، كحالة نفسية، وضرورية للتعايش مع الكون والعالم، وصحح القرآن علاقة الإنسان مع نفسه ثم مع من حوله من الناس، وذلك بعد أن ضبط حركته بقيم خلفية معينة تجاه الخالق والأشياء، والآيات المدنية تأتي لبناء الإرادة الإنسانية وتكوين القيم السليمة لعلاقات الإنسان بنفسه، وبالإنسان في مجتمعه، وللجماعة كلها بعد أن قام البناء الإيماني في نفس المسلم، وأتم رسول الله صلى الله عليه وسلم بناء القيم الخلقية في النفوس المسلمة، وكانت طريقته في ذلك أبدع ما تكون الطريقة، وأساليبه أشهر ما تكون وأعظم، في ضربه المثل الأعلى والقدوة الصالحة من ذاته، في نفسه، وفي مجالسه، وتوجيهاته، وأفعاله، وأقواله، وباستخدام كافة الطرق لاستثارة إمكانيات الإنسان من أجل تمثل القيم الخلقية[٢٠٢]

١٥- منهج الإسلام في التربية:

تُعدّ التربية في الإسلام عملية متكاملة تهدف إلى بناء الإنسان الكامل، الذي يجمع بين الإيمان والعلم، والأخلاق والعمل، والروح والجسد، فهي ليست مجرد نقل للمعلومات أو تلقين للقواعد، بل هي منهج حياة يبدأ من المهد وينتهي عند اللحد، ويشمل جميع جوانب الوجود الإنساني: الفردية، الأسرية، الاجتماعية، والروحية، وقد جاء هذا المنهج منسجمًا مع الفطرة الإنسانية، متوافقًا مع مقاصد الشريعة، مُعَدًّا لتكوين جيل مسلم واعٍ، قادر على القيادة، والبناء، والتميّز في الحياة الدنيا مع الاستعداد للآخرة.

يُعد منهج الإسلام في التربية منظومة متكاملة تُراعي الفطرة الإنسانية، وتُوجّه الفرد نحو التزكية والعمارة، وتُوازن بين حاجاته الروحية والعقلية والجسدية ويهدف إلى بناء الإنسان الصالح في نفسه والمصلح في مجتمعه، فهي بناء متكامل للشخصية، يُراعي الفطرة، ويستند إلى الوحي، ويُوجّه الإنسان نحو الغاية الكبرى من وجوده.

منهج الإسلام في التربية يُعنى بتكوين الإنسان المتوازن، الذي يجمع بين الإيمان والعمل، ويُسهم في بناء مجتمع يقوم على العدل والتكافل، ومنهج التربية في الإسلام يهدف إلى تحقيق مقاصد الشريعة في حفظ الدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال، من خلال بناء الإنسان على أسس إيمانية وأخلاقية، ويُقدّم تصورًا متكاملًا للإنسان، ويُراعي حاجاته النفسية والاجتماعية، ويُوجّهه نحو الاستخلاف في الأرض وفق ضوابط الشرع، ويُدمج بين الإيمان والعمل، وبين الفرد والمجتمع، في إطار من الرحمة

---

٢٠٢ - ينظر: "الأخلاق والقيم التربوية في الإسلام"، «نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم» (١/ ١٢٨-١٣٢)

والعدل، ومناهج التربية في الإسلام تُبنى على أسس معرفية وإنسانية واجتماعية، وتُراعي طبيعة المتعلم، وتُوظّف أساليب متنوعة كالممارسة العملية، والحوار، والقدوة[٢٠٣]

منهج الإسلام في التربية منهج تكاملي، يجمع بين الأسرة، والقدوة، والبيئة، والعلم، والأخلاق، لتحقيق غاية عليا: بناء الإنسان المسلم القائم على الإيمان والعمل الصالح[٢٠٤]

يتميّز منهج الإسلام في التربية بشموليته وتكامله حيث يستند المنهج التربوي الإسلامي إلى مصادر ربانية، ويُوظّف أساليب متنوعة كالتربية بالقدوة، والموعظة، والتجربة، والقصة، والممارسة العملية، ويُراعي خصائص الإنسان[٢٠٥] ويُعنى ببناء الإنسان المتكامل، ويُرسّخ القيم الإيمانية والأخلاقية، ويُوجّه السلوك نحو تحقيق مقاصد الشريعة في الحياة الفردية والاجتماعية[٢٠٦] ويُراعي خصائص النمو الإنساني، ويُربّي على المسؤولية والوعي الاجتماعي، والمنهج الإسلامي يُنمّي في الفرد الشعور بالانتماء والمسؤولية، ويُرسّخ قيم الرحمة والعدل، ويُحوّل التربية إلى رعاية شاملة تُعنى بالإنسان في وجدانه وسلوكه[٢٠٧] وتنطلق نظرية المنهج الإسلامي من أسس ربانية تشمل حقيقة الإلوهية، والكون، والإنسان، والحياة، وتنعكس على عناصر المنهج من أهداف ومحتوى وأساليب وتقويم[٢٠٨]

يقوم منهج التربية في الإسلام على أسس شرعية وعقلية متكاملة، تجعله منهجًا متوازنًا، لا يميل إلى الغلوّ ولا إلى التساهل، وهذا التوازن يتجلى في التوفيق بين الجوانب الروحية والمادية، الفردية والجماعية، تقوم التربية في الإسلام على مبدأ الوسطية، فلا تُفرط في التدين، ولا تسقط في التساهل، بل تُوازن بين الجوانب الروحية والمادية، الفردية والجماعية[٢٠٩] الإسلام لا يفصل بين العلم والدين في التربية، بل يجعل العلم عبادة، ويُحث على طلبه، كما يُشجّع على التفكير النقدي والاستدلال، ويُحثّ على التأمل في الكون، وقد بدأ الوحي بفعل التفكير، وفي المقابل، لا تُهمل الجوانب الروحية، فالصلاة، والذكر، والقرآن، كلها وسائل تربوية تُقوّي الصلة بالله، وتُنمّي الضمير والانضباط الذاتي[٢١٠]

الإسلام منهج تربوي يُهذِّبُ النفس، ويصل بها إلى طريق النجاة، منهج الإسلام في التربية يُظهر سماحة الإسلام في مناهجه التربوية، بدا ذلك واضحًا من خلال نظرة الإسلام إلى الإنسان وكرامته - دون نظرٍ إلى عقيدته أو ديانته - وتلك سياسة الإسلام الحكيمة في كل نواحي الحياة، حتى في الحروب

---

٢٠٣ - ينظر: "أصول التربية الإسلامية وأساليبها"،(ص٢٥)، و" مناهج التربية: أسسها وتطبيقاتها "،(ص٧٣)، و" المناهج التعليمية ومقاصد التربية الإسلامية- دراسة تأصيلية"،(ص١٩)، وقراءة لنظرية المنهج التربوي في ضوء النظرية الإسلامية، الألوكة،٢٠١٣م

٢٠٤ - منهج الإسلام في التربية، الألوكة،٢٠١٥م

٢٠٥ - ينظر:" التربية الإسلامية: أصولها ومنهجها ومعلمها"، (ص٧٣)

٢٠٦ - ينظر: "منهج التربية الإسلامية- دراسة تحليلية"،(ص١٤٣)

٢٠٧ - ينظر: "المنهج التربوي الإسلامي – دراسة مقارنة"،(ص١١٧)، و"الرعاية التربوية في السنة النبوية- دراسة تطبيقية"،(ص٢٠٣)

٢٠٨ - قراءة لنظرية المنهج التربوي في ضوء النظرية الإسلامية، الألوكة، ٢٠١٣م

٢٠٩ - ينظر: "الوسطية في التربية الإسلامية"، (ص ٦٧)

٢١٠ - ينظر: "فلسفة التربية الإسلامية"، (ص١٦٧)، و"التربية العقلية في الإسلام"، (ص ٨٨)

حين يخرج المسلمون لإعلاء كلمة الله يكون المنهج قائمًا على عدم التعدي على المدنيين الذين لا يشتركون فيها؛ من شيوخ، ونساء، وعَجَزة، وعُبَّادٍ منقطعين للعبادة، وعلماء منقطعين للعلم، إلا إذا قاتلوا، أخرج مسلم في " صحيحه"،(١٧٣١)، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم إِذَا أَمَّرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ، أَوْ سَرِيَّةٍ، أَوْصَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللهِ، وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا، ثُمَّ قَالَ: "اغْزُوا بِاسْمِ اللهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللهِ، اغْزُوا وَلَا تَغُلُّوا، وَلَا تَغْدِرُوا، وَلَا تَمْثُلُوا، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا..". الحديث، وهذا إنْ دَلَّ على شيء، فإنما يدل على شمولية الإسلام التي تتناول جميعَ حياة المسلم؛ يقول الله تعالى: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨][٢١١]

منهج الإسلام في التربية منهج متكامل، يجمع بين الأبعاد العقدية، والخلقية، والعلمية، والاجتماعية، وهو منهج لا يقتصر على التعليم، بل يشمل التكوين، ولا يهتم بالشكل، بل بالجوهر، ويُعوّل على الأسرة كأول مؤسسة تربوية، وعلى القدوة الحسنة كأقوى وسيلة تأثير، وعلى التوازن بين العقل والروح، وبين الحرية والانضباط[٢١٢]، ومن هنا، فإن تطبيق هذا المنهج في العصر الحديث ليس ترفًا تربويًا، بل ضرورة حضارية، لبناء جيل مسلم واعٍ، متمسك بهويته، قادر على العطاء للإنسانية جمعاء، قادر على عمارة الأرض، وتحقيق مقاصد الشريعة في الحياة الفردية والاجتماعية، فإنّ التربية الإسلامية منهج يحقق التطبيق الفعال للشريعة الإسلامية، وذلك لأن الإسلام ليس مجرد جانب علمي ومعرفي، بل يهدف إلى الجمع بين العلم والتطبيق العلمي، ويُعنى ببناء الإنسان المتكامل، ويُرسّخ القيم الإيمانية والأخلاقية، ويُوجّه السلوك نحو تحقيق مقاصد الشريعة في الحياة الفردية والاجتماعية، التربية الإسلامية تسعى إلى تحقيق مقاصد الشريعة من خلال بناء الإنسان المتكامل، وربط العلم بالتطبيق، والسلوك بالمقصد، وهي تربية تُرسّخ القيم الإيمانية وتوجّه السلوك نحو الخير العام.

وبناءً على ما سبق، يتضح أن منهج الإسلام في التربية ليس مجرد منظومة تعليمية، بل هو مشروع حضاري متكامل، يُعنى ببناء الإنسان في جميع جوانبه: العقدية، والسلوكية، والعقلية، والروحية.

إنه منهج ينمو في بيئة تؤمن بالإسلام عقيدة وشريعة، ويزدهر حين تتكامل مؤسساته التربوية من الأسرة إلى المجتمع.

وتقوم أسس التربية الإسلامية على عددٍ من العناصر المتكاملة التي تساهم في تنشئة الإنسان الصَّالح المستقيم، القادر على أداء واجبات وتكاليف الشَّرع وتحقيق مراد الله من خلقه، وتعتمد هذه التربية على وضع تصوُّرٍ واضحٍ للكون والحياة بما يعين الإنسان على معرفة الغاية من وجوده في هذه الدنيا[٢١٣]

---

٢١١ - الإسلام هو الحياة، الطيار

٢١٢ - ينظر: " أصول التربية الإسلامية"، (ص١٧)

٢١٣ - التربية الإسلامية- دار الإفتاء المصرية- ٢٠١٧م- https://www.dar-alifta.org/

١٦- العلاقة بين التربية والإسلام:

تُعد التربية من أهم المفاهيم في الإسلام، حيث يُنظر إليها كمهمة تربوية إنسانية شاملة تهدف إلى تنمية الفرد تربية متوازنة تشمل الجوانب الروحية والفكرية والسلوكية والاجتماعية، وقد وضع الإسلام منهجاً تربوياً شاملاً يقوم على أسس وأصول ثابتة، من أهمها التدرج، والمرونة، والقدوة، والاعتدال، وربط العمل الصالح بالنية والقصد، ومن بين المقاصد التربوية في الإسلام هو غرس القيم الخلقية في نفوس الأفراد، والتي تتجلى في المعاملات اليومية، حيث أكد النبي ﷺ على أن كل معروف صدقة، مما يجعل السلوك الأخلاقي جزءً لا يتجزأ من العملية التربوية الإسلامية، ويُعد الحديث النبوي الشريف: "كل معروف صدقة" من الأحاديث الجامعة التي تُبرز عمق العلاقة بين التربية الإسلامية والسلوك اليومي، حيث يُحوّل الإسلام القيم الأخلاقية إلى ممارسات تربوية تُجسّد في حياة المسلم، وتُسهم في بناء مجتمع متراحم ومتعاون، وهذا الحديث يُعد مدخلًا تربويًا لفهم كيف تُترجم المبادئ الإسلامية إلى سلوك عملي يُرسّخ القيم ويُهذّب النفوس، والحديث يُجسّد فلسفة التربية الإسلامية، حيث يُحوّل الإسلام كل فعل نافع إلى قيمة تربوية تُسهم في بناء الفرد والمجتمع، وهذا الحديث يُبرز كيف أن التربية في الإسلام ليست محصورة في المؤسسات التعليمية، بل هي ممارسة حياتية يومية تُعزز الأخلاق وتُهذّب السلوك.

العلاقة بين التربية والإسلام هي علاقة تكاملية وارتباط وثيق، الإسلام والتربية يرتبطان ارتباطًا تكامليًا حيث يُعتبر الإسلام منهج حياة متكامل يشمل جميع جوانب الحياة؛ فالإسلام جاء ليُربّي الإنسان على العقيدة، والسلوك، والأخلاق، ويُوجّه حياته نحو تحقيق العبودية لله في كل جوانبها. التربية الإسلامية ليست مجرد تعليم، بل هي بناء متكامل لشخصية الإنسان على منهج الوحي، فالقرآن والسنة يشكّلان المرجعية الأولى للتربية، وفيهما توجيهات عملية تُهذّب النفس وتُصلح المجتمع، والأوامر والنواهي الشرعية تحمل بعدًا تربويًا واضحًا، يُرسّخ القيم ويُنمّي الضمير الفردي، حيث تقوم التربية في الإسلام على أسس إيمانية وأخلاقية تشمل تنمية العقيدة، وترسيخ الأخلاق، وتحقيق مقاصد، تُعد التربية في الإسلام من الركائز الأساسية التي تُسهم في بناء الإنسان الصالح والمجتمع المتماسك، فالإسلام لا ينظر إلى التربية على أنها مجرد عملية تعليمية، بل يُعدّها منهجًا شاملًا يُعنى بتزكية النفس، وتنمية الأخلاق، وتوجيه السلوك وفقًا لمقاصد الشريعة، ومن هنا تنشأ علاقة تكاملية بين التربية والإسلام، حيث تُصبح التربية وسيلة لتحقيق الغاية الكبرى من الخلق وهي عبادة الله تعالى.

من هنا يتبين لنا العلاقة بين التربية والإسلام إلى أمرين:

الأوّل: التربية الإسلامية هي واجب إسلامي، بمعنى أنّ الإسلام هو شريعة الله للبشر التي أنزلها إليهم من أجل تحقيق عبادته في الأرض، إن العمل بهذه الشريعة يتطلب تطوير الإنسان وتنقيته حتى يصبح مؤهلاً للقيام بهذه الولاية وتحقيق رسالة الخلافة، وهذا التطوير والكمال هو ما يسمى بالتربية الإسلامية، كما قال الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ ولا يمكن تحقيق

الشريعة الإسلامية إلا بتربية النفس والأجيال والمجتمع على الإيمان بالله عز وجل وطاعته والاستسلام له وحده.

الثاني: التربية الإسلامية قضية إنسانية وحاجة ماسة، الإسلام منهج إلهي كامل متوافق مع الفطرة الإنسانية، التي أنزلها الله لصياغة شخصية الإنسان بشكل متوازن ومتكامل، ليكون خير مثال على وجه الأرض، لتحقيق العدالة الإلهية في المجتمع الإنساني[٢١٤]

- التربية في الإسلام تعني إعداد الإنسان إعدادًا شاملًا في جوانب العقيدة، والسلوك، والعقل، والجسد، فهي عملية مستمرة تبدأ قبل الولادة باختيار الزوجة الصالحة، وتستمر حتى بعد الوفاة من خلال الدعاء والصدقة الجارية، تُستمد من القرآن الكريم، والسنة النبوية، وإجماع العلماء، مما يجعلها ربانية المصدر وشاملة لكل جوانب الحياة، تربية شاملة متوازنة، وهي إحداث تغيّر مرغوب في سلوك الفرد في الاتجاه المرغوب فيه، من وجهة نظر الإسلام[٢١٥] وإعداد الفرد ليكون نافعًا لمجتمعه، من خلال غرس قيم التعاون، والإحسان، والعدل، وتحقيق التوازن بين الجوانب الروحية والمادية، بحيث لا يطغى جانب على آخر، وتتميز التربية الإسلامية كونها ربانية المصدر: تستمد من الوحي الإلهي، مما يجعلها خالية من النقص والهوى، وشمولية التطبيق: تشمل جميع مراحل حياة الإنسان، من الطفولة إلى الشيخوخة، والواقعية والمرونة: تُراعي الفروق الفردية والظروف الاجتماعية، وتركز على القيم بحيث تُعزز القيم الأخلاقية والروحية كأساس للسلوك.
- أهداف التربية الإسلامية تشمل بناء العقيدة، وترسيخ العقيدة الصحيحة في النفس، وتنمية الأخلاق الفاضلة مثل الصدق، والأمانة، والرحمة، والتواضع، وتوجيه الإنسان نحو التوحيد والعبودية لله وتنمية الأخلاق، وتحقيق العبودية، وإعداد الفرد ليكون صالحًا في مجتمعه[٢١٦]
- التربية الإسلامية تُزكّي النفس وتُصلح المجتمع.
- التربية الإسلامية هي التطبيق العملي لأحكام الشريعة، فهي تُحوّل الأحكام النظرية إلى سلوكيات يومية كل فعل تربوي في الإسلام يُعد امتثالًا لأمر شرعي، سواء كان واجبًا أو مندوبًا أو مكروهًا، وتُسهم التربية في تحقيق مقاصد الشريعة مثل حفظ الدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال.
- تُعد التربية من المفاهيم الجوهرية في الإسلام، حيث يُنظر إليها كمهمة شاملة تهدف إلى بناء الإنسان على أسس روحية وأخلاقية وسلوكية متينة، ويُبرز الإسلام أن التربية ليست محصورة في الجوانب التعليمية فقط، بل تمتد لتغطي السلوك اليومي والتعاملات الاجتماعية، مما يجعل كل عمل صالح فرصة تربوية.
- الشمولية: الإسلام لم يجعل العبادة محصورة في الصلاة والصيام، بل جعل كل عمل يخدم الناس عبادة، وكل قول يرضيهم صدقة (كل معروف صدقة)، وهذا يوسع نطاق العبادة

٢١٤- ينظر: " أصول المبادئ التربوية الإسلامية من منظور القرآن الكريم: دراسة نظرية تطبيقية على التربية الإسلامية"، (ص١٢٣-١٢٥)

٢١٥ - ينظر: "أصول التربية الإسلامية"، (ص٢١)

٢١٦ - ينظر: "فلسفة التربية الإسلامية في القرآن الكريم"،(ص٤٥-٤٧)

ليشمل الحياة بأكملها، ويحول كل علاقة اجتماعية إلى علاقة تربوية مقدسة، فالصدقة في الإسلام ليست محصورة في المال، بل هي أوسع من ذلك؛ فهي تشمل كل معروف يُفعله الإنسان، وكل عمل صالح يقوم به، وكل كلمة طيبة يقولها، وهذا يحول الحياة الاجتماعية إلى ميدان للعبادة والتربية، فالإسلام يربط بين العبادة والتربية من خلال جعل كل عمل صالح صدقة، وبالتالي فهو يربّي الإنسان على أن يكون مفيداً للآخرين في كل ما يقوم به، سواء في شؤونه الدينية أو الدنيوية، فالإسلام لا يترك الإنسان في حياته اليومية بلا توجيه تربوي، بل يجعل له في كل موقف فرصة لتقويم النفس والعبادة، ويجعل كل علاقة إنسانية فرصة لتربية النفس على الخير والصلاح فالنبي لم يكتفِ بتعليم الناس العبادات الظاهرة، بل أبقى لهم مجالاً واسعاً للعبادة في كل عمل صالح، وهذا يُظهر أن الإسلام يُربّي الإنسان على أن يكون خيراً في كل لحظة من حياته الإسلام[٢١٧]

- الرسالة التربوية في الإسلام تتجلى في تحويل الحياة إلى مدرسة، حيث يتعلم المسلم الأخلاق من خلال التطبيق العملي، والحديث: (كل معروف صدقة) هو دليل على أن التربية ليست نظرية بل تطبيق عملي يومي[٢١٨]
- التربية جزء من رسالة الإسلام فالإسلام شريعة الله للبشر، أنزلها لهم ليحققوا عبادته في الأرض، وإن العمل بهذه الشريعة ليقتضي تطوير الإنسان وتهذيبه، حتى يصلح لحمل هذه الأمانة، وهذا التطوير والتهذيب هو التربية الإسلامية، والتربية الإسلامية تستمد من مصادر التشريع تعتمد على القرآن الكريم والسنة النبوية، وتُعنى بتكوين الإنسان الصالح الذي يعبد الله ويُحسن التعامل مع الناس[٢١٩] وتُعد وسيلة لتحقيق مقاصد الشريعة، فهي تزرع في الفرد القيم التي تُترجم إلى سلوك عملي يحقق الصلاح الفردي والمجتمعي[٢٢٠]
- التربية وسيلة لتحقيق الغاية من الخلق فالتربية الإسلامية لا تنفك عن الشريعة الإسلامية قيد أُنملة، فهي التطبيقات السلوكية لأحكام الشريعة الإسلامية، التربية الإسلامية تنشئة وتكوين إنسان مسلم متكامل من جميع نواحيه المختلفة: الصحية، العقلية، الاعتقادية، الروحية، الأخلاقية، الإدارية، والإبداعية، والفكر التربوي الإسلامي يستمد مرجعيته من القرآن والسنة، ويُعالج قضايا الإنسان من منظور قيمي وأخلاقي واجتماعي، ويُسهم في النهضة التربوية المنشودة[٢٢١]
- تُعتبر التربية في الإسلام عملية مستمرة تبدأ في الأسرة وتستمر في المجتمع والمدرسة، وتهدف إلى تنشئة فرد مسؤول ومُحسن، مفيد لنفسه وللمجتمع.

---

٢١٧ ينظر: "التربية في الإسلام"، (ص٧٧)، و"الأخلاق والتربية في الإسلام"،(ص١٣٢)، و"التربية الإسلامية وتطبيقاتها العملية"،(ص١٨٩)، و"الآداب الإسلامية"،(ص١٥٦)

٢١٨ - ينظر: "فلسفة التربية الإسلامية في القرآن الكريم"، (ص١٤٢)

٢١٩- ينظر: "أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع"،(ص٢٠)، و" التربية والتعليم في الإسلام"،(ص٥-٦)

٢٢٠ - ينظر: "مدخل إلى التربية في ضوء الإسلام"،(ص ٣٣-٣٥)

٢٢١- ينظر: العلاقة بين الشريعة والتربية، الألوكة، والفكر التربوي الإسلامي: مرجعياته وأبعاده – د. الشايط.

يتبيّن أن العلاقة بين التربية والإسلام **علاقة تكاملية** لا انفصام فيها، فالإسلام يُقدّم نموذجًا تربويًا متكاملًا يُعنى ببناء الإنسان في جميع جوانبه، ويُحوّل القيم إلى سلوك، والمبادئ إلى واقع، ومن هنا: فإن التربية الإسلامية ليست مجرد علم، بل هي رسالة حضارية تُسهم في بناء الفرد والمجتمع وفقًا لمنهج رباني خالد، وليست التربية الإسلامية مجرد تلقين نظري، بل هي منهج عملي يُحوّل القيم إلى سلوك يومي، ويُرسّخ في المسلم روح المبادرة والإحسان، فكل فعل نافع، مهما بدا بسيطًا، يُعد صدقة تربوية تُسهم في بناء الفرد والمجتمع، وتُجسّد العلاقة الوثيقة بين الإسلام والتربية بوصفها رسالة حضارية وسلوكية، ويُحوّل الإسلام كل فعل نافع إلى قيمة تربوية تُسهم في بناء الفرد والمجتمع.

إن العلاقة بين التربية والإسلام لا تقتصر على الجوانب العقائدية أو الشعائرية، بل تمتد لتغطي جميع مجالات الحياة، حتى أبسط المعاملات اليومية، وهذا يُظهر عمق الرؤية التربوية في الإسلام، التي تهدف إلى تنمية الإنسان بشكل شامل، وجعله دائماً في حالة تواصل مع الخير، مما يُحقق التوازن بين العبادة والحياة، وبين الفرد والمجتمع[٢٢٢]

١٧- التربية عملية رعاية:

التربية هي جهد واعٍ يتم تنظيمه لاكتشاف وتنمية قدرات الإنسان بحيث يحدث تحول، سواء في مجال المعرفة أو السلوك أو القيم التي تم تحديدها، والغاية النهائية هي إنتاج إنسان يمتلك مهارات في جوانب التعليم متوافقة مع هذين المصدرين الرئيسيين، لذا، فإن الهدف النهائي لا يقتصر فقط على تغيير السلوك أو التفكير، بل يجب أن يتماشى كل ذلك مع توجيهات القرآن الكريم والحديث الشريف[٢٢٣] فالتربية الإسلامية تستهدف تربية ذات المسلم كلها وذات المسلم هي محور نشاط التربية وبها تتشكل ذات الإنسان المسلم أو الشخصية المسلمة هذه فهي إذاً عملية تنمية، وتغذية لمواهب الإنسان بصورة متزنة، وهي تتعهد بناء الإيمان والعلم والخلق والعمل الصالح بصورة متلاحمة منسجمة [٢٢٤]

التربية الإسلامية هي منظمة نفسية واجتماعية تهدف إلى قبول الإسلام وتطبيقه بشكل شامل في حياة الأفراد والمجتمع، ولذلك تعتبر التربية الإسلامية ضرورة مهمة لتحقيق الإسلام كما أراده الله تعالى، وبهذا المعنى فإن التربية الإسلامية تعد الروح الإنسانية للقيام بهذه المهمة.

تُعد التربية في التصور الإسلامي عملية رعاية شاملة، لا تقتصر على التعليم أو التهذيب، بل تمتد لتشمل كل فعل نافع يُسهم في بناء الإنسان وتوجيهه نحو الخير، يُعيد الحديث النبوي الشريف: "كل معروف صدقة" صياغة المفهوم التربوي للرعاية، حيث يُحوّل الإسلام كل فعل نافع إلى صورة من صور الرعاية الأخلاقية والاجتماعية، ويُربّي الفرد على أن يكون مسؤولًا عن أثره في الآخرين، مما يجعل التربية عملية مستمرة تُعنى بالتهذيب، والتوجيه، والإحسان، ويُجسّد الحديث النبوي

---

٢٢٢ - ينظر: " التربية الإيمانية وأثرها في بناء الإنسان المستخلف من خلال قصة يوسف عليه السلام"، د.غياط-٢٠٢٣م

٢٢٣- ينظر: " مدى تحقيق أهداف مناهج التربية الإسلامية في رياض الأطفال من وجهة نظر المعلمات في الأردن"، (ص٢)

٢٢٤ - ينظر: "تربية المسلم المعاصر في السنة النبوية"، (ص٢٦١)

الشريف: "كل معروف صدقة" هذا المفهوم التربوي، حيث يُحوّل المعروف إلى ممارسة تربوية تُنمّي القيم، وتُشيع الرحمة، وتُرسّخ المسؤولية الاجتماعية، ويُرسّخ مفهوم الرعاية التربوية[٢٢٥] وقد قرر د. دراز أن: التربية في الإسلام هي رعاية للإنسان في كيانه كله، وهي عملية مستمرة تهدف إلى تنمية العقل والوجدان والسلوك، وتُسهم في بناء الشخصية المتكاملة وأن التربية في الإسلام تهدف إلى تكوين الإنسان في كيانه كله، من خلال تنمية العقل والوجدان والسلوك، بما يحقق بناء الشخصية المتكاملة[٢٢٦] والرعاية التربوية لا تعني السيطرة، بل تعني التوجيه الرحيم، الذي يُشعر المتربّي بالأمان، ويُحفّزه على الخير، ويُنمّي فيه روح المبادرة[٢٢٧] والرعاية التربوية تتجلى في الأفعال اليومية التي تُشيع الطمأنينة، وتُزيل أسباب التوتر، وتُنمّي في الفرد الشعور بالانتماء والمسؤولية[٢٢٨]

التربية في الإسلام ليست تلقينًا للمعلومات، وليست مجرد نقل للمعرفة، بل هي رعاية شاملة للإنسان في كيانه كله، وهي عملية مستمرة تهدف إلى بناء الشخصية المتكاملة في عقله، وروحه، وسلوكه، وهي تبدأ من الكلمة الطيبة، وتنتهي ببناء الشخصية المتزنة[٢٢٩]

إن الحديث الشريف يُعيد تعريف التربية بوصفها رعاية مستمرة للإنسان في تفاصيل حياته اليومية، ويُحوّل المعروف إلى وسيلة تربوية تُسهم في بناء الفرد والمجتمع، مما يجعل من التربية الإسلامية منظومة متكاملة تُعنى بالإنسان في وجدانه وسلوكه وعلاقاته وتهدف إلى تنمية الإنسان في جميع جوانبه وتُوجّهه نحو الخير، وتُرسّخ فيه القيم التي تُسهم في بناء المجتمع[٢٣٠]

الرعاية التربوية في الإسلام تشمل كل صور الإحسان، فكل معروف يُقدّمه الإنسان للآخرين هو جزء من التربية، لأنه يُنمّي فيهم الشعور بالكرامة والانتماء، والحديث يُنمّي قيمة المبادرة الذاتية، ويُحفّز الفرد على أن يُقدّم الخير دون تكليف، مما يُسهم في بناء شخصية مستقلة مسؤولة عن أثرها في المجتمع، وهذا جوهر الرعاية التربوية[٢٣١]

الرعاية التربوية في الإسلام تقوم على الرحمة والعدل، وهي لا تقتصر على النصح، بل تشمل التوجيه العملي الذي يُنمّي الفرد ويُسهم في إصلاح المجتمع وتُربّي المسلم على أن يكون فاعلًا للخير، حتى في أبسط الصور، وتُربّي الفرد على إدراك أثر أفعاله في الآخرين، مما يُسهم في بناء بيئة تربوية متراحمة[٢٣٢] السنة النبوية وضعت للتربية تعريفًا أدق وأشمل، فهي ترى أن التربية هي عملية رعاية، وكلمة رعاية توحي بدلائل وتضمينات تربوية أكثر من غيرها، فمن دلائلها وتضميناتها كونها عملية اهتمام وحرص ورقابة وتعهد وتهذيب وسمو ورفع وترقية وتزكية وعناية متكاملة لمن توجه إليه رعاية الراعي المسؤول، أخرج البخاري في " صحيحه"،(٨٩٣)، ومسلم في " صحيحه"،(١٨٢٩)، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ : أَنَّ

---

٢٢٥ - ينظر: القيم التربوية في الحديث النبوي — دراسة تحليلية، ص ١٣٤

٢٢٦ - يراجع: "الدين: بحوث ممهدة لدراسة فلسفة الدين"، (ص٣٩-٤٠)

٢٢٧ - ينظر: "التفكير التربوي"،(ص٩٢)

٢٢٨ - ينظر: "الرعاية التربوية في السنة النبوية- دراسة تطبيقية"،(ص٢٠٣)

٢٢٩ - ينظر: "الإنسان بين المادية والإسلام"،(ص١٣٢)

٢٣٠- ينظر: "أصول التربية الإسلامية وأساليبها"، (ص٢٥)، و"مناهج التربية: أسسها وتطبيقاتها "،(ص٢٩)

٢٣١- ينظر: "تربية الأولاد في الإسلام"،(٣٣/١)، و" القيم التربوية في الحديث النبوي- دراسة تطبيقية"،(ص١٤٧)

٢٣٢- ينظر: " منهج السنة النبوية في ترسيخ القيم الأخلاقية"،(ص١٥٧)، و"فقه التسامح في الفكر الإسلامي"،(ص٨٧)، و" القيم التربوية في الحديث النبوي- دراسة تطبيقية"، (ص١٢١)

رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قالَ: «أَلَا كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالإِمَامُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ وَهوَ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِهِ وَهوَ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ زَوْجِهَا وَوَلَدِهِ وَهيَ مَسْؤُولَةٌ عَنْهُمْ، وَعَبْدُ الرَّجُلِ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهوَ مَسْؤُولٌ عَنْهُ، أَلَا فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»[٢٣٣]، وهكذا تكون **الرعاية** المسؤولة في العملية التربوية: روحها وعمادها، وبدونها لا تستقيم ولا تحقق أغراضها وأهدافها، وهذه النظرة الشمولية للتربية التي ركزت عليها السنة النبوية بكونها عملية رعاية كاملة قوامها المسؤولية التامة، إنما **ترسخ** دعائم إعداد الإنسان المتكامل الشخصية روحيًا وعقليًا وخلقيًا ووجدانيًا واجتماعيًا وبدنيًا، والذي يجعل دائمًا نصب عينيه أن لربه عليه حقًا، ولنفسه عليه حقًا، ولأهله عليه حقًا، والذي يحب لغيره ما يحب لنفسه، والذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، والذي يسلم الآخرون من لسانه ويده، والذي يفعل الخير بروح إيجابية متعاونة.

والرعاية مسؤولية خطيرة يحاسب عليها من وليت له، ويتحمل تبعة عدم النصح والإخلاص في القيام بها، بل وجعلت السنة النبوية دخوله للجنة رهين إخلاصه فيها، أخرج البخاري في " صحيحه"،(٧١٥٠)، ومسلم في " صحيحه"،(١٤٢)، عَنِ الْحَسَنِ، قَالَ: دَخَلَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ، عَلَى مَعْقَلِ بْنِ يَسَارٍ، وَهُوَ وَجِعٌ، فَسَأَلَهُ، فَقَالَ: إِنِّي مُحَدِّثُكَ حَدِيثًا لَمْ أَكُنْ حَدَّثْتُكَهُ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "لَا يَسْتَرْعِي اللَّهُ عَبْدًا رَعِيَّةً، يَمُوتُ حِينَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لَهَا، إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ"، فقد حرصت السنة النبوية على الاهتمام "بتربية الروح"، أخرج البخاري في "صحيحه"،(٦٤٨٧)، ومسلم في "صحيحه"،(٢٨٢٣)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «حُجِبَتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ، وَحُجِبَتِ الجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ»، ولا يستطيع أن يتبع سبيل الجنة المحفوف بالمكاره والشدائد، وتجنب سبيل النار المحفوف بالشهوات واللذائذ إلا من كانت تربيته الروحية تربية قوية، راسخة الدعائم، ثابتة الأركان، وكانت أخلاقه وتصرفاته ومواقفه واتجاهاته انعكاسًا صادقًا لإيمانه القوي بالله عز وجل وفي هذا الحديث نجد دعوة إلى ترقية الروح وتهذيب النفس وكبح جماحها وشهواتها ومجاهدتها، لأن في تقوى الله عز وجل، واستشعار رقابته الدائمة سعادة الدنيا والآخرة "، أخرج مسلم في "صحيحه"،(٢٩٩٩)، عَنْ صُهَيْبٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ"، وبمثل هذه التربية التي رسمت لنا معالمها ورسخت دعائمها السنة النبوية الشريفة نصل إلى تربية "المؤمن" المتكامل الشخصية، ذي النظرة الإيجابية للحياة، الذي قويت همته، واشتدت عزيمته، فلا يلحقه غرور، ولا يحطمه فشل، إن وجد يسرًا شكر الله تعالى وواصل طريقه، وإن وجد عسرًا استعان بالله تعالى، وصبر على المكاره، واستمرت محاولته في تخطي الصعاب والعراقيل التي تعترضه حتى يوفقه الله تعالى إلى بلوغ آماله، وكذلك حرصت السنة النبوية على "تنمية العقل"، وأحلته مكانة رفيعة لا نظير لها وأول خطاب نزل في القرآن الكريم كان موجهًا إلى العقل الإنساني تكريمًا له وتعظيمًا لشأنه، وجعله وسيلة الإيمان الصحيح القائم على الوعي والتدبر والتبصر قال تعالى: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ

---

٢٣٣ - هذا الحديث النبوي الشريف يؤكد على أن التربية "رعاية مسؤولة" لكل فرد في موقعه.

ينظر: " المسؤولية في الإسلام: كلكم راع ومسؤول عن رعيته"، (ص٢٠)

عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ}[سورة العلق: ١-٥] وفي حث القرآن الكريم على تعلم القراءة والكتابة كمدخل أساسي وحيد للمعرفة والعلم والحكمة، وبدء نزول الوحي بكلمة " اقرأ " وإقرانها في التعلم " بالقلم" دعوة للعقل البشري إلى الأخذ بأسباب العلوم والمعارف كطريق إلى الإيمان بخالق الكون والإقرار بوجوده، وكسبيل إلى النظر في الكون وفهمه وتسخيره لمصلحته ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى تنمية العقل وصقله بالتجربة والخبرة والممارسة، قَال الْبُخَارِيُّ ج٨ص٣١: وَقَالَ مُعَاوِيَةُ: «لَا حَكِيمَ إِلَّا ذُو تَجْرِبَةٍ»، وفي " جامع الترمذي"،(٢٠٣٣)، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "لَا حَلِيمَ إِلَّا ذُو عَثْرَةٍ، وَلَا حَكِيمَ إِلَّا ذُو تَجْرِبَةٍ"، أي: لا حكيم كاملاً إلا من جرب الأمور وعلم المصالح والمفاسد، فإنه لا يفعل فعلاً إلا عن حكمة، إذ الحكمة إحكام الشيء وإصلاحه عن الخلل ووجهنا رسولنا صلى الله عليه وسلم إلى أن ترقية العقل وتزكيته لا تكون إلا بالتربية والتعليم، أخرج البخاري في " صحيحه"،(٦٢٨)، عَنْ مَالِكِ بْنِ الحُوَيْرِثِ، أَتَيْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فِي نَفَرٍ مِنْ قَوْمِي، فَأَقَمْنَا عِنْدَهُ عِشْرِينَ لَيْلَةً، وَكَانَ رَحِيمًا رَفِيقًا، فَلَمَّا رَأَى شَوْقَنَا إِلَى أَهَالِينَا، قَالَ: «ارْجِعُوا فَكُونُوا فِيهِمْ، وَعَلِّمُوهُمْ، وَصَلُّوا، فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ فَلْيُؤَذِّنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ، وَلْيَؤُمَّكُمْ أَكْبَرُكُمْ»، أخرج الدارمي في " مسنده"،(٢٢٧)، قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ وَعَلِّمُوهُ النَّاسَ، تَعَلَّمُوا الْفَرَائِضَ، وَعَلِّمُوهَا النَّاسَ، تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ، وَعَلِّمُوهُ النَّاسَ، فَإِنِّي امْرُؤٌ مَقْبُوضٌ، وَالْعِلْمُ سَيَنْقُصُ، وَتَظْهَرُ الْفِتَنُ، حَتَّى يَخْتَلِفَ اثْنَانِ فِي فَرِيضَةٍ لَا يَجِدَانِ أَحَدًا يَفْصِلُ بَيْنَهُمَا»،كذلك اهتمت السنة النبوية بـ(تربية الخُلق) والسمو به، وجعلت الأخلاق الفاضلة أسمى أهداف التربية المتكاملة، فقد مدح الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم قائلاً: {وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ} فأحسن الناس أخلاقًا، أحبهم إلى الله تعالى وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم، وفي هذا من الحث على التحلي بحسن الخلق ما يحمل عليه بكل رغبة لما يترتب عليه من محبة الله تعالى ومحبة رسوله صلى الله عليه وسلم التي هي سبب لنيل الأجر العظيم، والبعد عن نار الجحيم، كذلك حرصت السنة النبوية على تكوين المسلم القادر على الاعتماد على نفسه، وتربيته" تربية استقلالية" تؤهله لشق طريقه في الحياة بثقة كاملة في ربه، واعتداد قوي في نفسه، وحرص دائب على ما يصلح أمره وأحواله، وتحقيق طموحاته وآماله قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ}[سورة الرعد: ١١]، وهذه هي الروح الإيجابية الحقة التي تغرسها التربية المحمدية في الفرد بحيث يكون مؤمنًا قويًا قادرًا على التكيف، وذا إرادة فعالة ونفس طموحة، أخرج مسلم في "صحيحه"، (٢٦٦٤)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ"، واستكمالاً لتكوين المسلم الكامل القادر المعتمد على نفسه، النافع لغيره حرصت السنة النبوية على توجيهه إلى إتقان حرفة أو مهنة معينة ليكسب بها رزقه المشروع في الحياة بما يمكنه من الاستقلال الشخصي الحقيقي عن غيره، ويحفظه من الذل والهوان ومسألة الناس، ويجعله قادرًا على تحمل أعباء الإنفاق على أهله وذويه وضرب لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم المثل الأسمى في هذا الشأن، فقد رعى الغنم لأهل مكة، واشتغل بالتجارة، وكان دومًا في خدمة أهله، أخرج البخاري في " صحيحه"،(٣٤٠٦)، ومسلم في " صحيحه"،(٢٠٥٠)، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم بِمَرِّ

الظَّهْرَانِ، وَنَحْنُ نَجْنِي الْكَبَاثَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: "عَلَيْكُمْ بِالْأَسْوَدِ مِنْهُ"، قَالَ: فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَأَنَّكَ رَعَيْتَ الْغَنَمَ، قَالَ: "نَعَمْ، وَهَلْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ رَعَاهَا"، وفي هذا الحديث نلمس اهتمام السنة النبوية بضرورة إلمام وإتقان المسلم لمعرفة حرفة أو مهنة ما، وعدم استصغار شأنها أو احتقارها مهما كان مستواها ما دامت تمكنه من كسب الرزق الحلال، واتقاء ذل السؤال، فالقادر على الإنفاق على نفسه وأهله- مهما قل رزقه - خير من العاطل الاتكالي الذي يسأل الناس أعطوه أو منعوه، أخرج البخاري في " صحيحه"،(٥٣٥٥)، ومسلم في " صحيحه"، (١٠٤٢)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، يَقُولُ: "لَأَنْ يَغْدُوَ أَحَدُكُمْ، فَيَحْطِبَ عَلَى ظَهْرِهِ، فَيَتَصَدَّقَ بِهِ وَيَسْتَغْنِيَ بِهِ مِنَ النَّاسِ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ رَجُلًا، أَعْطَاهُ أَوْ مَنَعَهُ ذَلِكَ، فَإِنَّ الْيَدَ الْعُلْيَا أَفْضَلُ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ"، واليد العليا: المنفقة، والسفلى: السائلة" واليد العليا المنفقة: هي اليد العاملة المنتجة، واليد السفلى السائلة: هي اليد العاطلة المتواكلة.

وهكذا يتبين لنا من خلال ما تقدم أن السنة النبوية المطهرة ترى أن عملية التربية عملية **"رعاية مسؤولة"**، فالراعي سواء أكان أبًا أم مربيًا مسؤول عن رعيته من الناشئين وتولي شؤونهم، وسياسة أمورهم، وتوجيههم وإرشادهم حتى يمكنهم من بلوغ أهداف التنشئة الصالحة السوية المتكاملة التي يسعد بها الفرد، ويكون عضوًا صالحًا خيرًا في مجتمعه، عاملاً على صون تماسكه، وقادرًا على المساهمة في تطويره، وتحقيق غاياته في الرقي والتقدم[٢٣٤]

تُعَدّ التربية عنصرًا أساسيًا في حياة الإنسان، إذ تُسهم في بناء شخصيته وتشكيل قيمه وتوجيه سلوكه نحو ما يُحقق له السعادة في الدنيا والآخرة ولما كانت التربية بهذا القدر من الأهمية، فقد حظيت باهتمام واسع في المصادر الإسلامية، وعلى رأسها القرآن الكريم، الذي لا يُمثّل مجرد كتاب للعبادة أو التشريع، بل هو دستور شامل للحياة، يتضمّن توجيهات تربوية متكاملة تتناول الإنسان في جميع جوانب وجوده: العقلية والروحية والسلوكية. فالقرآن الكريم، الذي أُوحي إلى النبي محمد ﷺ، يُعدّ أعظم هبة أنعم الله بها على البشرية، إذ يحمل في طياته مضامين تربوية عميقة تُشكّل أساسًا لنظام تعليمي يُنمي الإنسان علميًا وأخلاقيًا فهو يرسم للإنسان طريق الهداية، ويحدّد له القيم التي ينبغي أن يتحلى بها، ويبيّن الأهداف التي يسعى إلى تحقيقها، كما يرشد إلى الوسائل التربوية المناسبة للوصول إلى هذه الغايات، فالتربية من الحاجات الأساسية التي لا غنى عنها في حياة الإنسان، إذ تهدف إلى توجيهه نحو الرشد والصلاح في الفكر والسلوك، والهدف الأساسي للتربية متمثلًا في بناء الإنسان وتنمية قدراته بما يحقق الخير له ولمجتمعه وفي هذا السياق، حظيت التربية باهتمام بالغ في الرسالات السماوية، وعلى رأسها الإسلام، الذي جعل من التربية وسيلة لتزكية النفس وإعداد الإنسان الصالح يقول الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾، في دلالة واضحة على أن التزكية

---

٢٣٤ - التربية الإسلامية- https://alssunnah.com/، ونظام التربية والتعليم الإسلامي ودوره في التنمية، الألوكة، https://www.aluKah.net/social/ -٢٠١٨م

والتعليم هما ركيزتان أساسيتان في المنظور التربوي الإسلامي، وتمثّل التربية في المنظور الإسلامي عملية شاملة تهدف إلى تنمية الفكر، وتهذيب السلوك، وتوجيه الإنسان نحو الغاية التي خُلق من أجلها[٢٣٥]

إن العلاقة بين التربية والرعاية هي علاقة تكاملية، حيث لا يمكن أن توجد تربية حقيقية بدون رعاية، ولا يمكن أن تكتمل الرعاية دون توجيه تربوي سليم، وهذا التكامل هو ما يضمن بناء شخصية متوازنة وقوية قادرة على مواجهة تحديات الحياة والمساهمة الإيجابية في المجتمع.

إن التربية كعملية رعاية هي منهج حياة يرتكز على الاهتمام الشامل بالمتعلم، جسدياً ونفسياً وعقلياً وروحياً واجتماعياً، إنها دعوة للمربين والآباء لتبني منظور شمولي يجمع بين توفير الاحتياجات الأساسية وبناء القيم والأخلاق، لإنشاء جيل واعٍ ومسؤول ومؤثر في مجتمعه.

التربية الإسلامية هي نظام اجتماعي يستند ويعتمد على القرآن والسنة، ويشمل الجوانب الروحانية والجسدية والعقلية، بحيث يكون سلوك الإنسان متوافقًا مع عقيدة الإسلام من أجل مصلحة الإنسان في الدنيا والآخرة ولذلك، فإن التربية هي الخطوة الأولى لبناء جيل الإسلام في المستقبل[٢٣٦]

١٨- أسلوب التربية بالترغيب والترهيب وأسلوب النصح والموعظة:

تُعد أساليب التربية من أهم أدوات تشكيل السلوك الإنساني وتوجيهه نحو الفضيلة، وقد تنوّعت في الفكر الإسلامي بين الترغيب والترهيب، والنصح والموعظة، بما يراعي فطرة الإنسان ويستثير وجدانه، فالتربية ليست تلقينًا جامدًا، بل تفاعلًا حيًّا بين المربي والمتربي، تُستخدم فيه الوسائل التي تُلامس القلب والعقل معًا، وهذه الأساليب تُسهم في بناء الضمير الأخلاقي، وتعزيز الرقابة الذاتية، وتثبيت القيم في النفس، وتُعد أساليب التربية من الركائز التوجيهية الأساسية في بناء السلوك الإنساني وضبطه، حيث يُقدّم الفكر الإسلامي مزيجًا تربويًا يتسم بالتوازن بين التأثير الوجداني والمعرفي، من خلال استخدام الترغيب والترهيب والنصح والموعظة، هذه الأساليب بما تحمله من تنوّع عاطفي وعقلي تُشكل منظومة تربوية متكاملة، تُسهم في تفعيل الرقابة الذاتية لدى المتربي، وتُرسّخ القيم الأخلاقية من خلال الإقناع، والتأثير، والتذكير، مما يجعلها من أهم أدوات التربية الإسلامية في بناء الإنسان المتوازن.

١- أسلوب الترغيب والترهيب:

الترغيب هو كل ما يشوق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه.

الترهيب هو كل ما يخيف ويحذر المدعو من عدم الاستجابة أو رفض الحق أو عدم الثبات عليه بعد قبوله.

هذا أسلوب من الأساليب القرآنية يُراعي فيه طبيعة النفس البشرية المجبولة على محبة ما فيه نفعها ومصلحتها والإقبال عليه وكره ما يضرها ويؤذيها ويفسد عليها أمرها والنفور منه، فتجد القرآن **يرغب** الناس في اتباع الهدى من خلال الوعد بالخير المترتب على ذلك، ويُرهبهم من اتباع الباطل من خلال الوعيد المترتب على ذلك أيضًا، ولا شك أن الجمع بين الترغيب والترهيب **مراعاة** للتوازن النفسي عند الإنسان فهو في بعض

٢٣٥ - يراجع: "أسس التربية الإسلامية: دراسة تأصيلية تطبيقية"، (ص٤٥-٥٠)

٢٣٦ - يراجع: " كيف نتعامل مع القرآن الكريم"، (ص٨٧-٩٢)

الحالات أشد استجابة لدواعي المصلحة فينفعه الترغيب وفي حالات أخرى يكون أشد انسياقًا وراء الهوى والشهوات فلا يرعوي إلا بالترهيب، وكان من كرم الله تعالى أن كان الوعد لازمًا والوعيد بخلافه.

يمكننا باستقراء آيات القرآن أن نعرف الترغيب، والترهيب كما يلي:

الترغيب وعْدٌ يصحبه تحبيبٌ وإغراء، بمصلحة أو لذَّة أو متعة آجلة، مؤكدة، خيرة، خالصة من الشوائب، مقابل القيام بعمل صالح، أو الامتناع عن لذَّة ضارَّة أو عمل سيئ ابتغاء مرضاة الله، وذلك رحمة من الله لعباده، والترهيب وعيدٌ، وتهديد بعقوبة تترتَّب على اقتراف إثم، أو ذنب ممَّا نهى الله عنه، أو على التهاون في أداء فريضة ممَّا أمر الله به، أو هو تهديد من الله، يُقصد به تخويف عباده، وإظهار صفة من صفات الجبروت، والعظمة الإلهية؛ ليكونوا دائمًا على حذرٍ من ارتكاب الهفوات والمعاصي، لقد اعتمد القرآن الكريم هذا الأسلوب التربوي، فهو مِن أنجح الأساليب التربوية والدعوية؛ لأنه يعتمد على مبدأ الثواب والعقاب، ومن طبيعة البشر أنها تُقبل على كل أمر تنتفع بعمله، وتبتعد عن كل أمر فيه الضرر والعقوبة.

الترغيب: كل ما يشوق المدعوّ إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه، ونقصد بالترهيب: كل ما يخيف ويحذر المدعوَّ من عدم الاستجابة أو رفض الحق أو عدم الثبات عليه بعد قبوله، والملاحظ أنَّ القرآن الكريم مملوء بما يرغِّب الناس في قبول دعوة الإسلام والتحذير من رفضها، مما يدل دلالة قاطعة على أهمية هذا الاسلوب: أسلوب الترغيب والترهيب في الدعوة إلى الله تعالى، وعدم إهماله[٢٣٧]

القرآن الكريم استخدم الترغيب والترهيب بأسلوب متوازن يُتيح للعقل فرصة الموازنة والاختيار، مما يُنمّي الإرادة الحرة ويُرسّخ المسؤولية الأخلاقية[٢٣٨]وقد أشار النحلاوي إلى أن "أسلوب الترغيب أفضل من أسلوب الترهيب؛ لأنه يخاطب النفس، ويستميل الوجدان، ويعتمد على استثارة الرغبة الداخلية للإنسان، ويمكن الإفادة منه تربويًا إذا اعتمد على الإقناع والمنطق" كما يُضيف أن "الترهيب كوسيلة تأديبية يجب أن يكون مناسبًا لما هو له، وإلا تحول إلى تمرد وانحراف، ويُفضّل أن يُسبق بالمعونة والإقناع"[٢٣٩]

٢- أسلوب النصح والموعظة:

أسلوب النصح والموعظة في التربية: مدخل تربوي أصيل حيث تُعد التربية بالنصح والموعظة من أبرز الأساليب التربوية التي اعتمدها الإسلام في تهذيب النفوس وتكوين الشخصيات، فهي تمثّل لقاءً بين العقل والقلب، وتمنح التربية بعدها الإنساني العميق بعيدًا عن التلقين الجاف أو التوبيخ المباشر فالموعظة تُوقظ الفطرة، وتُحرّك الضمير، وتُهيّئ المتربي للتفاعل مع القيم بصورة واعية ومنفتحة.

النصح والموعظة من أهم أساليب التربية، لأنها تُخاطب العقل والوجدان، وتُسهم في بناء القناعة الداخلية، وتُرسّخ القيم دون إكراه، وهي أسلوب الأنبياء في الدعوة والتربية، والموعظة الحسنة تُعد من أنجع الوسائل التربوية، لأنها تُقدّم المعنى بأسلوب مؤثر، وتُثير التأمل، وتُهيّئ النفس لقبول التغيير[٢٤٠]

---

٢٣٧ - ينظر: «أصول الدعوة» (ص٤٣٧)، و«أساليب التربية والدعوة والتوجيه من خلال سورة إبراهيم» (ص٤١-٤٩)، و "عقيدة التوحيد في القرآن الكريم"،(ص٣٥١-٣٥٢)

٢٣٨ - ينظر: "التربية القرآنية للإنسان"،(ص٧٦)

٢٣٩ - ينظر: "التربية الإسلامية: أصولها ومنهجها ومعلمها"، (ص ٥٨-٥٩)

٢٤٠ - ينظر: "أساليب التربية في الإسلام"، (ص ١١٢)

النصح لا يُؤتي ثماره إلا إذا اقترن بالحكمة والرفق، فالمربي الناجح هو من يُقدّم النصح بأسلوب يُراعي حال المتربي، ويُشعره بالاحترام لا بالتوبيخ[٢٤١]وفي إطار شمولي، يرى د. دراز أن "الأساليب التربوية في الإسلام تقوم على التوازن بين الترغيب والترهيب، وبين النصح والموعظة، بما يُراعي طبيعة النفس البشرية، ويُسهم في بناء الشخصية المتزنة"[٢٤٢]

يُعد النصح والموعظة من أرقى أساليب التربية في الإسلام، لما لهما من أثر بالغ في تهذيب النفس، وتوجيه السلوك، وترسيخ القيم الأخلاقية في وجدان المتعلم، فالموعظة ليست مجرد خطاب عاطفي، بل هي وسيلة تربوية تُخاطب العقل والوجدان، وتُوقظ الضمير، وتُهيّئ النفس لقبول التغيير.

وهكذا، فإن أسلوب النصح والموعظة يُعد من أدق الأساليب التربوية وأكثرها تأثيرًا، لأنه يُخاطب الإنسان من داخله، ويُوقظ فيه فطرته، ويُرشده إلى الخير دون إكراه، مما يجعله من أهم أدوات التربية الإسلامية في بناء الشخصية المتزنة، الواعية، والمسؤولة، ويتّضح أن التربية بالنصح والموعظة ليست أسلوبًا ثانويًا أو ظرفيًا، بل هي أسلوب تأسيسي في المنهج التربوي الإسلامي، لأنها تُعيد الاعتبار للجانب الإنساني في العلاقة بين المربي والمتربي، وتُفعّل دور الكلمة الهادئة في زراعة الفضيلة، وإذا اقترنت بالحكمة والقدوة والأسلوب المؤثر، فإنها تتحوّل من توجيه إلى بناء، ومن مجرد كلام إلى سلوك يترسّخ، ومن توبيخ إلى دعوة بالتي هي أحسن، وفعالية الموعظة متوقفة على توفر شروطها، كالإخلاص، وانتقاء الوقت المناسب، والأسلوب المؤثر، ولا ريب أن الوعظ عمل جليل، وله في الإسلام مقام رفيع، والوعظ هو الدعوة إلى ما فيه خير وصلاح، والتحذير مما فيه شر وفساد، والواعظ هو الذي يرشد الجاهلين، وينبه الغافلين، ويعالج النفوس الطائشة مع أهوائها؛ ليعيدها إلى فطرتها السليمة من الإقبال على الفضائل، والترفع عن الرذائل، ولكن القيام بهذا العمل جهاد يحتاج إلى المعية المهذبة، ودراية بالطرق الحكيمة، علاوة على العلم الذي يميز به بين الحق والباطل، ويفرق به بين المعروف والمنكر، ثم إن العلم والنباهة، وحكمة الأسلوب لا تأتي بثمرتها المنشودة إلا أن يكون الواعظ طيب السريرة، مستقيم السيرة[٢٤٣]

تكامل الأساليب التربوية في بناء الإنسان، أساليب التربية الإسلامية، وعلى رأسها الترغيب والترهيب والنصح والموعظة، تُشكّل منظومة متكاملة تهدف إلى بناء الإنسان المتزن، وتوجيهه نحو الفضيلة دون إكراه أو تهميش لوجدانه، وهذه الأساليب ليست متنافرة، بل تُكمّل بعضها بعضًا، وتُراعي الفروق الفردية، وتُخاطب الإنسان في عقله وروحه ووجدانه، مما يجعلها من أنجع الوسائل التربوية في الفكر الإسلامي، القادرة على صناعة الإنسان الراشد، المسؤول، والمتفاعل مع قيم الخير والعدل والرحمة.

وعن أهمية التوازن بين هذه الأساليب يشير النحلاوي إلى أن: "الترغيب يُستثير الرغبة الداخلية، والترهيب يُضبط السلوك، والنصح يُوجّه العقل، والموعظة تُلامس الوجدان، وكلها أدوات تربوية تُسهم في بناء الضمير الأخلاقي"[٢٤٤]

---

٢٤١ - ينظر: "أصول التربية الإسلامية وأساليبها"، (ص ١٣٤)

٢٤٢ - ينظر: "التربية الإسلامية بين النظرية والتطبيق"، (ص ١٠١)

٢٤٣ - ينظر: «أدب الموعظة» (ص٤)

٢٤٤ - ينظر: "التربية الإسلامية: أصولها ومنهجها ومعلمها"، (ص٥٨-٥٩)

الخاتمة:

تم استعراض مجموعة متكاملة من القيم والفوائد التربوية، التى يمكن تلخيصها فى النقاط التالية:

١- السنة النبوية مصدر للتربية وبيان موقع السنة النبوية وأهميتها كمصدر من مصادر التربية الإسلامية، وأن منهج النبى ﷺ هو المنهج المتوازن الكامل الصالح لتربية الأجيال فى كل زمان، والتأكيد على أن السنة النبوية هى المنهج العملى لتطبيق مبادئ الإسلام فى التربية، وتقديم نماذج حية للسلوك القويم.

٢- العقيدة أساس كل خير ومنبع كل صلاح، فالإيمان قاعدة كل محبة، والتقوى عماد كل ترابط وتقدم وتطور.

٣- حقيقة المعروف والمنكر: ضرورة التمييز بين الخير والشر، وغرس هذا المفهوم فى نفوس الأجيال لبناء وعى أخلاقى سليم، والمعروف هو كل فعل عرف فاعله حسنه أو دل عليه، وأما المنكر فهو كل فعل عرف فاعله قبحه أو دل عليه.

٤- قيمة بذل المعروف: أهمية العطاء والإحسان للآخرين كركيزة للتكافل الاجتماعى وبناء مجتمع متراحم.

٥- شمولية الدين الإسلامى: إبراز أن الإسلام ليس مجرد عبادات، بل هو نظام حياة شامل يغطى جميع جوانب الوجود الإنسانى.

٦- قيمة العقيدة والدين الإسلامى للبشرية ودور العقيدة فى توفير الطمأنينة، وتوجيه الإنسان نحو الصلاح والخير.

٧- شمولية العبادة فى الإسلام وبيان كثرة طرقها وتوسيع مفهوم العبادة ليشمل كل عمل صالح، مما يعزز من ارتباط الفرد بدينه فى كل تفاصيل حياته.

٨- قيمة الإحسان فى الإسلام والتأكيد على الإتقان والجودة فى العمل والتعامل، كأعلى مراتب العبادة والسلوك.

٩- قيمة وشمولية الصدقة فى الإسلام وبيان أن الصدقة تتجاوز الجانب المادى لتشمل كل أنواع العطاء، مما يعزز من روح التكافل بين أفراد المجتمع.

١٠- قيمة شكر الناس على المعروف وأثره فى تنمية العلاقات وأهمية التقدير والامتنان فى بناء علاقات إنسانية قوية ومجتمع متماسك.

١١- التربية الاجتماعية فى الإسلام والتركيز على البعد الجماعى للتربية، وبناء مجتمع صالح ومتعاون.

١٢- قيمة مكارم الأخلاق حيث أن الأخلاق الحسنة جوهر التربية الإسلامية وأساس صلاح الفرد والمجتمع.

١٣- وسطية الأمة وشهادتها على الناس وأهمية التوازن والاعتدال فى الفكر والسلوك، وتقديم النموذج الأمثل للإسلام، ومما يشكل عظمة أمة الإسلام، وشرفها وامتيازها هو أن الله جعلها "أمة وسطا" قائمة على الإيمان بالله والأخوة فى الله، داعية إلى الخير، آمرة بالمعروف وناهية عن المنكر، أمة موحدة، متميزة بالتزامها بالقيام بمقتضيات كل هذا، وتبعاته، وتكاليفه.

١٤- ترسيخ مفاهيم العدل والسلام: ضرورة غرس قيم العدل والسلام كركائز أساسية لبناء مجتمعات آمنة ومستقرة.

١٥- القيم التربوية: التأكيد على أن القيم هى التى توجه سلوك الأفراد وتصرفاتهم نحو الصلاح، واستعراض المنهج التربوى الشامل الذى يراعى الفروق الفردية ويجمع بين الترغيب والترهيب.

١٦- العلاقة بين التربية والإسلام و بيان أن التربية جزء لا يتجزأ من الإسلام، وأن الإسلام يقدم إطارًا تربويًا متكاملاً.
١٧- التربية عملية رعاية شاملة للجسد والعقل والروح، وليست مجرد تلقين.
١٨- أسلوب التربية بالترغيب والترهيب وأهمية الموازنة بين التشجيع والتحذير في توجيه السلوك وبناء الشخصية، وأهمية النصح والموعظة.
١٩- أساليب التربية الإسلامية تتنوع وتجمع بين النظرية والتطبيق.

إن القيم والفوائد المستنبطة من هذا البحث تؤكد على أن المنهج التربوى الإسلامى يقدم إطارًا فريدًا ومتوازنًا، ويتضح من خلال حديث النبى ﷺ: "كل معروف صدقة" ليس مجرد توجيه أخلاقى، بل هو منهج تربوى شامل يعيد صياغة العلاقة بين الفرد والمجتمع على أساس من الرحمة، والبذل، والمسؤولية، فقد كشف لنا هذا الحديث عن اتساع مفهوم الصدقة ليشمل الأقوال والأفعال والنوايا، مما يحول التربية إلى رعاية مستمرة تعنى بالإنسان فى وجدانه وسلوكه، وترسخ فيه القيم التى تسهم فى بناء مجتمع متكافل ومتراحم.
وفى ضوء ما تقدم، يتضح أن التربية فى الإسلام هى عملية شاملة ومتكاملة، تتجاوز حدود التلقين لتشمل بناء الشخصية الإنسانية فى أبعادها الروحية، والعقلية، والجسدية، والاجتماعية التربوية، والحديث ينمى فى الفرد روح المبادرة، والانتماء، والإحساس بالآخرين، ويربيه على أن يكون فاعلا للخير فى كل حال، دون انتظار مقابل، مما يجسد التربية الإسلامية بوصفها عملية تزكية وتكوين، لا تلقينًا ولا تقييدًا، وهكذا، فإن "كل معروف صدقة" هو قطاف تربوى ناضج من شجرة النبوة، يثمر فى كل قلبٍ حى، ويسهم فى بناء الإنسان الراشد، والمجتمع الصالح، والحضارة المتزنة، فقد أخرج هذا الحديث من رحاب الصدقة المالية إلى فضاء أوسع، يشمل كل فعل طيب، وكل كلمة حسنة، وكل تصرف إنسانى يحمل فى طياته الإحسان، وعلمنا هذا الحديث أن الإحسان ليس فعلا استثنائيا، بل عادة يومية ، تتجلى فى ابتسامة، ومساعدة، وستر، وتسامح، وتعليم، ورفق بالحيوان، كما بين أن الصدقة ليست محدودة بالجاهزية المالية، بل تشمل القدرة النفسية، والجسدية، والاجتماعية، وهذا يعزز ثقافة العطاء الشاملة، ويشعر كل فرد – غنيا كان أو فقيرا – بأنه قادر على الإسهام فى بناء مجتمعه، والتربية على التراحم، ونشر ثقافة الإيجابية، وتحصين المجتمع من القسوة والأنانية فالإنسان الذى يدرب نفسه على أن كل فعل معروف هو صدقة، يصبح أكثر تفاعلا مع محيطه، وأكثر حضورًا فى مواقف الخير، وأكثر وعيًا بمسؤولياته الاجتماعية وهذا ما يتوافق مع مقاصد الشريعة فى حفظ النفس، والمال، والعقل، والدين، والعرض، والتربية على هذا المفهوم الواسع للصدقة، هو استثمار روحى واجتماعى كبير، يعيد إحياء روح التراحم فى المجتمع، ويعزز القيم الإنسانية الأصيلة التى جاء بها الإسلام.

واللّه الكريم أسأل التوفيق والإنابة والإعانة والهداية والصيانة، وتيسير ما أقصده من الخيرات، والدوام على أنواع المكرمات، والجمع بيني وبين أحبابي في دار كرامته وسائر وجوه المسرات، نسأل اللّه المعونة على ذلك بفضله وطوله، وقوته وحوله، وعلى اللّه الكريم اعتمادي وإليه تفويضي واستنادي، حسبي اللّه ونعم الوكيل، لا حول ولا قوة إلا باللّه العزيز الحكيم، توكلت على اللّه، اعتصمت باللّه، استعنت باللّه، وفوضت أمري إلى اللّه، واستودعت ديني ونفسي ووالديَ وإخواني وأحبائي وسائر من أحسن إلي وجميع المسلمين، وجميع ما أنعم به علي وعليهم من أمور الآخرة والدنيا، فإنه سبحانه إذا استودع شيئا حفظه ونعم الحفيظ، وما توفيقي إلا باللّه عليه توكلت وإليه أنيب[٢٤٥]

[٢٤٥] - مستلةٌ من «خلاصة الأحكام» (١/ ٦١)، و«الأذكار» للنووي (ص٥)، و«الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي» (ص١٧٢)